اللف والنشر في الذكر الحكيم

مواقعه ـــ أسراره

تأليف

دكتور / إبراهيم صلاح الهدهد

أستاذ البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية ـــ القاهرة

جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م

اللهم إني أرفع إليك أكف الضراعة أن تكشف الغمة عن هذه الأمة ، وأن ترد لها عزها ،فقد تداعت عليها الأمم ، وتبارت عليها السهام ،وليس لها من نصير سواك ، ربنا إن فيها من يسبح بحمدك ،ويقدس لك ،وأنت بكل شئ عليم ، وصل يارب على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأمته ،وبعد

فهذا بحث بلاغي في الذكر الحكيم ،سميته (اللف والنشر في الذكر الحكيم ، مواقعه ــ أسراره) يحاول هذا البحث استشراف مرامي هذا الأسلوب في الكتاب الحكيم ،والكشف عن دقائقه وإيحاءاته ، وسبر مسالكه ، وفقه دروبه ، فهو من الأساليب التي يتكأ فيها على فطنة المتلقي ، ويشرك المتلقي في فقهه إشراكا بينا ، فمن أهم شرائطه عدم التعيين ثقة بعقل السامع ؛لذا كان أسلوبا مميزا ، وحينما نتصفح كتب البلاغيين قديما وحديثا ، نجد أن هذا الأسلوب قليل الشواهد ، على الرغم من كثرته في البيان العربي.

وقد جمعت في هذا البحث أربعين موضعا للف والنشر في الذكر الحكيم ، وقد كثرت التفاسير التي تولي الجانب البياني الاهتمام في تراثنا ، وعلى كثرتها لم يجد هذا الأسلوب ما يستحقه من البحث والدرس، والوقوف على نكاته وأسراره ، مع ما في هذا اللون من الدقائق والرقائق ، وقد سلكت في معالجة هذا البحث منهجين ، المنهج التاريخي كان هو السبيل لمعالجة هذا المصطلح على مر التاريخ ، فقد تتبعت في التمهيد هذا المصطلح في التراث البلاغي واللغوي بدءا بأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) وانتهاء بالمعاصرين ، وقد رأيتهم يرددون شاهدا واحدا على اللف والنشر

المرتب (القصص / آية/ ٧٣) وأخرى شاهدا للف والنشر المجمل (البقــرة /١١١) وتناقل القدماء والمحدثون هاتين الآيتين ، دون أن يقفوا على أسرارهما إلا فيما ندر من كتب التراث، وقد بينت ذلك في موضعه من الدراسة .

وفي فصول البحث الثلاثة اتبعت المنهج التحليلي لمعالجة المواضع التي وقع فيها هذا الأسلوب في الذكر الحكيم ، وعند كل موضع ذكرت أقوال السلف التي تبين أن الأسلوب من اللف والنشر ، ثم أتبعت ذلك بالكــشف عن علاقة الأسلوب بالسياق ، وكان النظر في السياق أكبر معين على فقــه أسرار الأسلوب ، ثم أتبعت ذلك بالكشف عن أسرار نظم الأسلوب ، وقد خرج البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

التمهيد : جعلته لتعريف المصطلح في اللغة والاصطلاح، وتتبعــت المسيرة التاريخية لهذا المصطلح ، وبينت وجه تسميته (اللف والنشر) وأقسام اللف والنشر ، والمفاضلة بين أقسام اللف والنشر ، والفرق بين اللف والنشر والألوان البديعية الأخرى التي تقاربه ، والأسرار البلاغية العامة لهذا الأسلوب التي تكمن وراء كل أسلوب ، ثم يبقى لكل أســلوب إيحــاءات تخــصه ، وإضاءات تشع منه .

الفصل الأول : اللف والنشر المرتب في الذكر الحكيم ، مواقعه — أسراره ، وقد وقع هذا الأسلوب في خمسة عشر موضعا من الذكر الحكيم ، وقد بدأت الفصل بتوطئة جمعت فيها مواضع من الذكر الحكيم ذكر العلماء أنها من اللف والنشر ، ودونت مواطن أقوالهم في تراثهم إزاء كل موضــع ؛ إتماما للفائدة لمن أراد الرجوع إلى ذلك في مظانه، وذكرت أنني استبعدتها إما

لتكلف إجراء الأسلوب فيها ، وإما لاختلاط مفهوم اللف والنشر بغيره عند من نص على أن الموضع من اللف والنشر، وقد نهجت ذلك النهج في الفصلين الثاني والثالث .

الفصل الثاني : اللف والنشر غير المرتب في الذكر الحكيم، مواقعه ــ أسراره ، وقد وقع هذا الأسلوب في عشرين موضعا من الذكر الحكيم .

الفصل الثالث : اللف والنشر المجمل في الذكر الحكيم ، مواقعه ــ أسراره ، وقد وقع هذا الأسلوب في خمسة مواضع من الذكر الحكيم.

الخاتمة : لأهم نتائج البحث ، وثبت بأهم المصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

هذا ، وإني أسأل الله الأجر والقبول ، وهذا جهدي لم أدخر فيه وسعا، فإن كان توفيق ، فذاك من الله فضل لا يقادر قدره ، وإن يكن غير ذلك فمن عجزي وتقصيري ، وذاك شأن الإنسان ، وإني أستغفر من خطأ وقع دون قصد رغم الجهد في تحاميه ، والاجتهاد في تحاشيه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته .

كتبه

إبراهيم صلاح الهدهد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
في كلية اللغة العربية ــ القاهرة
جامعة الأزهر الشريف

تمهيد

اللف والنشر من المحسنات المعنوية عند البلاغيين ، وهذا المصطلح يعرف باسمين في كتب القدماء (اللف و النشر)و(الطي و النشر) لذا سنعرض للألفاظ الثلاثة (اللف ، الطي ، النشر) ولهذا المصطلح أسماء أخرى في بعض كتب القدماء،لكن ما ذكرناه هو الأشهر.

اللف : لغة : من لف الشئ يلفه لفا : جمعه ، و لف الكتيبتين : خلط بينهما بالحرب ، و لف الشئ بالشئ : ضمه إليه ،ووصله به ،واللفافة : ما يلف على الرجل و غيرها ،والألفاف : الأشجار يلتف بعضها ببعض ، و في التنزيل العزيز : (وجنات ألفافا) (النبأ / ١٦) واللفيف : القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحدا ([1])

الطيّ : لغة : من طويت الصحيفة أطويها طيا ،ويقال : طوى الحديث : كتمه ،وطوى كشحه على أمر أخفاه ،ومنه : طويت الفلاة ، وفي حديث السفر (اطو لنا الأرض) أي : قربها لنا ،وسهل السير فيها حتى لا تطول علينا ، فكأنها قد طويت ، وفي الحديث (أن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار ،وطوى الشئ طيا :ضم بعضه على بعض ،أو : لف بعضه فوق بعض ،والطي : ضد النشر ،والطاوي من الظباء : الذي

([1]) ينظر المفردات في غريب القرآن ،ولسان العرب ،و القاموس المحيط ،ومختار الصحاح مادة (ل ف ف)

يطوي عنقه عند الربوض ،ثم يربض ([1]) وحين نتدبر هذين اللفظين نراهما متقاربين دلالة حيث يدوران على الضم والجمع ، وإن كان لكل منهما استخدامات أخرى ؛ ولتقاربهما الذي ذكرناه يكتفى باستخدام الأشيع منهما في كتب البلاغيين ،وهو (اللف والنشر) .

النشر : لغة : من نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث : بسطها ، والنشر : الحياة ،ويقال : انتشر الخبر : انذاع ،والنشر : خلاف الطي ([2])

اللف والنشر اصطلاحا : هو ذكر متعدد على التفصيل ،أو الإجمال ،ثم ما لكل واحد من غير تعيين ؛ ثقة بأن السامع يرده إليه ([3]) وهذا التعريف هو الذي استقر عليه البلاغيون ، وأوردوا له شرحا وتفصيلا ، ومثلوا له بشواهد ، من القرآن والشعر .

المسيرة التاريخية لهذا المصطلح

هذا المصطلح شأنه شأن كثير من المصطلحات البلاغية التي مرت بمراحل تاريخية ، حتى استقر ضابطها، ونحن نتتبع مصطلح اللف والنشر بدءا بأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) وانتهاء

([1]) ينظر المفردات في غريب القرآن و لسان العرب و القاموس المحيط و النهاية في غريب الحديث و الأثر ،ومختار الصحاح و المعجم الوسيط مادة (ط و ى) و الكليات لأبي البقاء الكفوي ٥٨٥ .

([2]) ينظر المفردات في غريب القرآن ،ولسان العرب ،والقاموس المحيط ،ومختار الصحاح ،والمعجم الوسيط مادة (ن ش ر)

([3]) ينظر تلخيص المفتاح وشروحه ٤ / ٣٢٩ و ما بعدها .

بالمعاصرين، وقد وجدت أسماء متعددة لهذا المصطلح في كتـــب القـــدماء ؛ووفاء بحقه نعرض لكل ذلك بالتفصيل .

١ــ أبوعبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هــ) : أورد أبوعبيدة قوله : ـــــ تعالى ـــ (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا مـــن فضله ولعلكم تشكرون) (القصص / ٧٣) ثم قال : " مجازه : لتسكنوا في الليل ،ولتبتغوا في النهار من فضل الله " ([1]) وهو تأويل للآيـــة علـــى اللف والنشر دون ذكر لمصطلحه ، ولابيان لأسراره .

٢ ـــ المبرد (ت : ٢٨٥هــ) يورد المبرد ضابطا للمـــصطلح دون أن يذكر اسمه فيقول : " والعرب تلف الخبرين المختلفين ،ثم ترمي بتفسيرهما جملة ؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره ثم ذكر آيـــة القـــصص (٧٣) وماذكره المبرد لايبعد عما استقر عليه مصطلح اللف و النشر بعد ذلك .

ثم عاد إلى ذكر ذلك مرة أخرى في تضاعيف حديثه عن التشبيه المصيب في قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

حيث قال : " فهذا مفهوم المعنى ،فإن اعترض معترض ،فقـــال : فهـــلا فصل فقال : كأنه رطبا العناب ،وكأنه يابسا الحشف ؟ قيل له : العـــربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلـــك مـــن التكرير عيا ، ثم ذكر آية القصص (٧٣)ثم علق قـــائلا : علمـــا بـــأن

([1]) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٠/٢ تحقيق محمد فؤاد سزكين ،ط الخانجي دون تاريخ .

المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب " ([1]) فالمصطلح ثابت عنده ، بدليل أنه عند عرض المثال الشبيه ، وقال عنده ما قاله عند الأول.

٣ ــ ابن فارس (ت : ٣٩٥هـ) نجد في كتابه (الصاحبي) بابا عنوانه " باب جمع شيئين في الابتداء بهما ،وجمع خبريهما ،ثم يرد إلى كل مبتدأ به خبره " ثم يعرض أمثلة منها قول القائل : (إني وإياك على عدل أو على جور) فجمع شيئين في الابتداء ،وجمع الخبرين ،ومراده : إني على عدل ،وإياك على جور ([2]) وكما نرى فإن تعريفه يندرج تحته قسم واحد من اللف والنشر ،وهو اللف والنشر المرتب فيما عرف بعد ذلك ، كما أنه ساق تحت هذا الباب شواهد لايصدق عليها مفهوم اللف والنشر ، منها ما هو من قبيل إسماع الخصم الحق على وجه لايورث مزيد غضب ،ومنها ما هو غير ذلك ([3])

٤ــ ابن رشيق (ت:٤٥٦هـ) أدخل ابن رشيق أمثلة اللف والنشر في المقابلة ، حيث ذكر أن المقابلة أصلها : ترتب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا ،وآخره ما يليق به آخرا ،ويأتي في الموافق بما يوافقه ،وفي المخالف بما يخالفه ،ثم ساق أمثلة منها قول امرئ القيس : :كأن قلوب الطير . . . ثم علق عليه قائلا : قابل الرطب أولا

([1]) ينظر الكامل في اللغة و الأدب للمبرد ١/٧٥، ٢ / ٤١،٤٠ ، ط ، مؤسسة المعارف بيروت ، دون تاريخ .

([2]) الصاحبي لابن فارس ٤٠٩ ومابعدها تحقيق السيد أحمد صقر ط عيسى الحلبي دون تاريخ .

([3]) ينظر المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي ١٣٢ وما بعدها د/ فريد النكلاوي ط الأمانة ١٤٠٦هـ .

بالعناب مقدما ،وقابل اليابس ثانيا بالحشف تاليا ، ثم ساق آية القـــصص (٧٣) وذكر أنها من معجز المقابلة ([1]).

وقد تابعه في ذلك ابن أبي الأصبع (ت:٦٥٤هـــ) حيث عقـــد بابا سماه " صحة المقابلات " وعرفها بقوله : " صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي ، فإذا أتى بأشـــياء في صـــدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب ،بحيث يقابل الأول بـــالأول ،والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق ،ومـــتى أخـــل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة ،وقد تكون المقابلة بغير الأضـــداد " وقد فرق بين المقابلة والمطابقة ،وأورد شواهد منها ما يندرج تحت اللـــف والنشر، ومنها ما يندرج تحت المقابلة ([2]) على غرار ما صنع ابن رشيق .

وتابعه السجلماسي (ت : بعد ٧٠٤هـــ تقريبا) فقـــد ذكـــر المقابلة ،ثم عرض تحتها شواهد للف والنشر،وعرف المقابلة بقوله : " هي القول المركب من جزأين بسيطين ثانيين كل جزء منـــهما مركـــب مـــن جزأين أولين ، و لجزء من البسيطة الأولى التي من البسيطة الأخرى للثاني وضع ،ونسبة ،فحوذي ببسائط أحد الجزأين بسائط الأخـــر ، وقوبـــل بأجزاء إحدى الجنبتين أجزاء الأخرى ،فأرصد الأول للأول ،وقوبل بـــه

([1]) ينظر العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده لابن رشيق ٢ / ١٥ وما بعدها تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل بيروت .

([2]) تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ١٧٩ وما بعدها تحقيق د / حفني شرف ط المجلس الأعلى للشؤون الإســـلامية ، مصر، بديع القرآن له تحقيق د/حفني شرف ،ط ، دار نهضة مصر دون تاريخ .

،وأرصد الثاني للثاني ،وقوبل به على الترتيب الواجب ،والنظام الطبيعي ،ثم أورد تعريف ابن رشيق وأورد آية القصص (٧٣) شاهدا لذلك ([1])

٥ــ ابن سنان الخفاجي (ت : ٤٦٦هــ) لم يصرح بالمصطلح ،لكنه قال : " ومن التناسب أيضا حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ؛ليكون ما يرجع إلى المقدم مقدما ، وما يرجع إلى المؤخر مؤخرا ،ومن ذلك قول الشريف الرضي :

قلبي وطرفي منك : هذا في حمى * قيظ ،وهذا في رياض ربيع

فإنه لما قدم قلبي وجب أن يقدم وصفه بأنه في حمى قيظ ، فلو كان قال : طرفي وقلبي منك ،لم يحسن في الترتيب أن يؤخر قوله : في رياض ربيع ، والطرف مقدم ([2]) وما ذكره يمكن أن يندرج تحت اللف والنشر المرتب.

٦ــ الفخر الرازي (ت : ٦٠٦هــ) هو أول من ذكر المصطلح باسمه ــ فيما اطلعت عليه من مراجع ــ حيث قال : " الوجه التاسع : اللف والنشر ،وهو أن تلف شيئين ،ثم ترمي بتفسيرهما جملة ؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ماله،وساق آية القصص (٧٣)شاهدا لذلك ([3])

([1]) ينظر المترع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي ٣٤٤ وما بعدها تحقيق د/ علال الغازي ، ط ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ١٤٠١هــ .

([2]) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ١٩١، ١٩٢ ط ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٢هــ .

([3]) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي ٢٨٩ ، ٢٩٠ تحقيق د / بكري شيخ أمين ، ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

وقد تابعه في تسمية المصطلح وضابطه مع تغييرات لاتمس الجوهر السكاكي (ت : ٦٢٦هـ) فعنده : " اللف والنشر : أن تلف بين شيئين في الذكر ،ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد ، وبآخر من غير تعيين ؛ ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ما هو له ([1]) وتابعه ابن مالك (ت : ٦٨٦هـ) ([2])

٧ ــ الخطيب ومن تابعه قديما وحديثا : ثم استقر المصطلح على يد الخطيب (ت:٧٣٩هـ) حيث عرفه بقوله : " هو ذكر متعدد على التفصيل ،أو الإجمال ،ثم ما لكل واحد من غير تعيين ؛ ثقة بأن السامع يرده إليه"([3]) وتابعه (الطيبي،ت : ٧٤٣هـ)و(العلوي ، ت : ٧٤٩ هـ) و (السبكي ، ت : ٧٧٣هـ) و (البابرتي ، ت : ٧٨٦هـ) و (التفتازاني ، ت : ٧٩٢هـ) و (السيوطي ، ت : ٩١١هـ) وقد ذكر في التحبير أن هذا النوع من زياداته ، ويبدو أنه يريد أنه أول من جعله ضمن علم التفسير، و(العصام ، ت : ٩٥١هـ) و(العباسي، ت : ٩٦٣هـ)و(الحسين بن عثمان المفتي ،ت: ١٠٥٩هـ)و(المغربي ،ت : ١١١٠هـ) و(المنياوي ،ت:١١٣٠هـ)و(المترلي) و(البيباني ،ت : ١٣١٠هـ) و(الدمنهوري،ت : ١١٩٢هـ)و(الشربيني) ([4]) كما

([1]) مفتاح العلوم للسكاكي ٤٢٥ تحقيق نعيم زرزور ،ط، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ .

([2]) المصباح لابن مالك ٢٤٦ تحقيق د / حسني عبد الجليل ، ط ، مكتبة الآداب ، دون تاريخ .

([3]) ينظر تلخيص المفتاح ٤ / ٣٢٩ وما بعدها ، و الإيضاح ٢٩/٤ ، ٣٠ ، ومعه بغية الإيضاح ، ط ، مكتبة الآداب ، دون تاريخ .

([4]) ينظر على الترتيب المذكور أعلاه التبيان للطيبي ٣٩٩ وما بعدها ، تحقيق د / عطية مطر الهلالي ، ط ، مكتبة النهضة العصرية ، بيروت ١٤٠٧هـ ، الطراز للعلوي ٤٠٤/٢ وما بعدها ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ،

لم تخرج جهود المحدثين والمعاصرين في التعريف على ما قرره الخطيب ([1]) ولا أعرف أحدا من المعاصرين سماه " الطي و النشر "سوى د / بدوي طبانة،ود / أحمد مطلوب ([2]) وأوسع القدماء و المحدثين حديثا عن اللف والنشر هو ابن حجة الحموي (ت : ٨٣٧هـ) لكنه سماه في العنوان " الطي والنشر " وفي تضاعيف حديثه عنه ، سماه " اللف والنشر " وقد عرض له شواهد حتى وصل في الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب

دون تاريخ ، شرح التلخيص للبابرتي ٦٣١، ٦٣٢ ، عروس الأفراح ٣٢٩/٤ وما بعدها ، مختصر السعد ٣٢٩/٤ وما بعدها و المطول ٤٢٦وما بعدها ، والإتقان ٩٣/٢، ٩٤ ، ط ، دار نهر النيل بمصر ، دون تاريخ و التحبير في علم التفسير ١٣٦ ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨هـ ، وشرح عقود الجمان ٢١٨ ، ٢١٩ ، ط ، مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ ، و الأطول للعصام ٢ / ١٩٦وما بعدها ، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ٣٧٧/٢ وما بعدها ، وخلاصة المعاني للمفتي ٤٢٢ وما بعدها تحقيق د / عبد القادر حسين ط ، الناشرون العرب ، السعودية ، دون تاريخ ، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ٣٢٩/٤ ، وحاشية الشيخ مخلوف المنياوي على شرح حلية اللب المصون ١٦٧ ، ط ، مصطفى الحلبي ١٣٥٧ هـ ، والأصول الوافية ٢٠٨، ط ، التقدم العلمية ١٣٢٣هـ ، ومعه حسن الصنيع ١٧٥ ، وفيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح للخطيب الشربيني ٢٧٧/٣ وما بعدها ، ط ، مدرسة والدة عباس الأول ١٣٢٣هـ ، و حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري ١٣٩ ط / مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ

([1]) ينظر علوم البلاغة للمراغي ٣٣٠ ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ هـ ، والصبغ البديعي ٣٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٨٠ د / أحمد موسى ، ط ، دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ ،والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د / محمد أبو موسى ٥٧٩ وما بعدها ، ط ، وهبة ١٤٠٨هـ ، وعلم البديع ١٧٥ وما بعدها د / عبد العزيز عتيق ، ط ، دار النهضة العربية ن بيروت ١٤٠٥هـ ، وفن البديع ٧١، وما بعدها د / عبد القادر حسين ط ، دار الشروق ١٤١٥هـ ، دراسات تطبيقية في علم البديع ٧١ وما بعدها ، د / فتحي فريد نشر المؤلف ، دون تاريخ ، ألوان من البديع ١٠٨ وما بعدها د / عبد الله عليوه ، ط ، دار الأرقم ، ١٤١٤هـ .

([2]) ينظر معجم البلاغة ٣٩٢،٣٩٣ ،٦١٨ ط ، دار المنارة والرفاعي ، السعودية ١٤٠٨هـ ، ومعجم المصطلحات البلاغية و تطورها ٥٢٥ وما بعدها د / أحمد مطلوب ، ط ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٦ م .

إلى اثني عشر ، غير أنه علق على ذلك بأنه تكلف وتعسف ، وأحسنه عنده ماجاء غير متكلف ([1])

وخلاصة القول أن هذا اللون من المحسنات البديعية المعنوية ، عرفه القدماء تطبيقا قبل أن يعرفوه مصطلحا ،وأول من طبقه ، وعرّفه دون أن يذكر المصطلح (المبرد) وكان (الرازي) أول من وضع المصطلح ، وقد ورد المصطلح باسمين في كتب القدماء و المحدثين (اللف والنشر) وهو الشائع ، و (الطي والنشر) ولم يذكره بهذا الاسم من القدماء سوى ابن حجة ، على أنه لم يهمل استعمال المصطلح الأول ، ومن المحدثين ، د / بدوي طبانة ، ود/ أحمد مطلوب ، من هنا ندرك أن ،د / بدوي طبانة حينما قال : " اللف والنشر : تسمية بعض البلاغيين للطي والنشر " ([2])لم يخالفه الصواب ، لأنه على عكس واقع التراث .

كما تبين لنا من استعراض التراث أن ابن رشيق ،وابن أبي الأصبع ،والسجلماسي يطلقون مصطلح المقابلة على شواهد اللف والنشر ، وهو خلط كما سيأتي بيانه .

([1]) ينظر خزانة الأدب لابن حجة ١٤٩/١ وما بعدها تحقيق عصام شعيتو ، ط ، دار الهلال ، بيروت ١٩٩١م .
([2]) ينظر معجم البلاغة العربية ٦١٨ .

وجه تسميته " اللف والنشر "

قال المغربي : " ناسب أن يسمى لفا لأن الحال المبينة أولا ملفوفة ، أي : لم تذكر ،ولم تنشر لعدم بيانها ،وناسب أن يسمى نشرا ، أي : بيانا لما انطوى أولا ، أي : انبهم ،وسمي المنبهم ملفوفا ؛ لأن الملفوف منبهم في دخيلائه ،وسمي المتبين منشورا ؛ لأن المنشور تبينت دخيلاؤه ،فهو من باب تسمية اللازم بالملزوم ،وصار حقيقة عرفية " ([1]) وقالوا أيضا : " كأن وجه تسمية الأول باللف أنه لما طوى فيه حكمه ؛ لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به ، ثم لما صرح به في الثاني ، فكأنه نشر ما كان مطويا ،فسمي نشرا " ([2])

أقسام اللف والنشر

ينبغي تحرير القول في أقسام اللف والنشر ؛ لأن الناظر في التراث البلاغي يرى أقساما متعددة ،وأسماء متنوعة ،ولقد كان ابن مالك أول من التفت إلى تقسيم اللف والنشر ،فهو عنده قسمان (مرتب ومعكوس) ([3]) وقد اختلف البلاغيون في أقسامه ، وفي تسميتها ، ولم يخرج حديثهم عن تقسيمه ثلاثة أقسام (مفصل وتحته أنواع ــ ومجمل، وأضاف بعضهم نوعا ثالثا وصفه بلطف المسلك دون أن يذكر له اسما)

([1]) مواهب الفتاح ٣٣١/٤ .

([2]) حاشية المنياوي ١٦٧ .

([3]) المصباح لابن مالك ٢٤٦ .

أولا : المفصل ، وتحته أنواع :

أ ــ اللف والنشر المرتب: وهو أن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف ،والثاني للثاني ،وهكذا إلى الآخر ،ومثاله قوله : ــ تعالى ــ (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (القصص / ٧٣) ([١])

ب ــ غير المرتب ،(عند جمهور البلاغيين) (أو: (المشوش) عند البابرتي، وهو أول من ذكر هذا المصطلح) ([٢]) وتحته أنواع :

١ــ معكوس الترتيب، أو عكس الترتيب (عند جمهور البلاغيين)وقد سماه السبكي (الملفوف) ([٣]) وهو أن يكون الأول من النشر للآخر من اللف ،والثاني من النشر للذي يليه الآخر من اللف ،والثالث من النشر للذي يليه ما قبل الآخر من اللف ،وهكذا ،ومنه قول ابن حيوس :

كيف أسلو ،وأنت حقف وغصن * وغزال، لحظا،وقدا، وردفا

فــ (لحظا) يعود على الغزال،وهو الآخر من اللف عاد إليه أول النشر (قدا) هذا عائد إلى الغصن ،وهو الذي يليه الآخر من اللف ،عاد إليه ما

([١]) تلخيص المفتاح و شروحه ٣٢٩/٤وما بعدها .

([٢]) شرح التلخيص للبابرتي ٦٣١،٦٣٢ .

([٣]) عروس الأفراح ٣٣١/٤ . والملفوف : مصطلح أطلقه د / بدوي طبانة على نوع من التشبيه ، وهو الذي يتعدد فيه المشبه و المشبه به وتتحد الأداة ،ويؤتى أولا بالمشبهات على طريق العطف أو غيرها ، ثم بالمشبهات بها كذلك ، وذكر قول امرئ القيس : كأن قلوب . . . ، ينظر معجم البلاغة العربية ٦٢٠ ، د/ بدوي طبانة ، وهو من اللف والنشر كما هو مقرر عند البلاغيين .

بعد الأول من النشر و(ردفا) عائد إلى الحقف ،وهو الأول من اللف عاد إليه الذي يلي ما بعد الأول من النشر .

٢ ــ مختلط الترتيب (عند سعد الدين التفتازاني ، والسيوطي ، والعصام ، والمفتي ، والمنياوي) ([1]) وهو المشوش عند (الدسوقي) حكاية عن غيره ([2]) وهو أن يعود الأول مثلا من النشر للآخر من اللف، ويكون الثاني منه للأول من اللف ، والآخر منه للوسط من اللف ،كقولنا : هو شمس وأسد وبحر جودا وبهاء وشجاعة .

٣ ــ أضاف الزمخشري نوعا رابعا ، أيده السعد وغيره غير أنهم لم يضعوا له اسما ، وعرفوه بقولهم : هو أن يذكر متعدد على التفصيل ،ثم يذكر ما لكل ،ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال ملفوظا أو مقدرا ،فيقع النشر بين لفين ،أحدهما مفصل ،والآخر مجمل ، واستشهد له بقوله : ــ تعالى ــ (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ،ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة و لتكبروا الله على ماهداكم و لعلكم تشكرون) (البقرة /١٨٥) قال صاحب الكشاف : الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره (ولتكملوا . . .) شرع ذلك يعني : جملة من أمر

([1]) ينظر المطول ٤٢٦،٤٢٧ ،شرح عقود الجمان ٢١٨،والتحبير ١٣٦ ، والأطول ١٩٨/٢ ، خلاصة المعاني ٤٢٣: ٤٢٥ ،حاشية المنياوي ١٦٧ .

([2]) حاشية الدسوقي على مختصر السعد ٣٣١/٤ .

الشاهد بصوم الشهر ، وأمر المرخص له بعدة مـا أفطـر فيـه ،ومـن الترخيص في إباحة الفطر ،فقوله : (لتكملوا) علة الأمر بمراعاة العدة ، و (لتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء،والخروج من عهدة الفطـر (ولعلكم تشكرون) أي:إرادة أن تشكروا؛ علة الترخيص والتيسير" ([1])

ثانيا : المجمل (عند جمهور البلاغيين) وهو اللف التقديري عند الطيبي ([2]) و المشوش عند السبكي ([3]) وهو أن يكون ذكر المتعدد على الإجمال ، ومثلوا له بقوله : ـ تعالى ـ (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . . .) (البقرة / ١١١) فإن الضمير في (قالوا) لليهـود والنصارى ،فذكر الفريقان على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهمـا ،ثم ذكر ما لكل منهما ، أي : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، و قالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نـصارى ،فلـف بـين الفريقين ،أو القولين ؛ إجمالا لعدم الالتباس .

وقد أجمع البلاغيون على أنه لايتصور فيه ترتيب ،ولاعكـسه ، غير أن السيوطي رأى أن الإجمال قد يكون في النشر ، لا في اللف ، بأن يؤتى بمتعدد ، ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهمـا نحـو (وكلـوا

([1]) ينظر الكشاف ١/ ١٧٢ ، والمطول ٤٢٧ .

([2]) التبيان للطيبي ٤٠١ .

([3]) عروس الأفراح ٤ / ٣٣٣.

واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.. .) (البقرة / ١٨٧) ولم يضف المحدثون جديدا إلى الأقسام .

المفاضلة بين أقسام اللف والنشر :

لا أعرف أحدا في القدماء و المحدثين عرض لذلك غير السيوطي حيث قال : " واختلف : هل الأفضل المرتب أو غيره الشامل للمعكوس والمشوش ، فالشلوبين على الأول ،وابن رشيق على الثاني ،قال الشيخ عز الدين بن جماعة ، و الحق عندي أن الأول أراد لغة ، و الثاني أراد بلاغة " ([1]) و الحق ـــ فيما أرى ـــ أن البلاغة ليست لأسلوب لذاته ، وإنما البلاغة في وفاء الأسلوب بحق السياق والمقام ، وقد أفردت لهذا الموضوع بحثا مطولا بينت فيه أن السياق ذو أثر بالغ في اصطفاء الأساليب ، وطبقت فقه ذلك على البيان القرآني والسنة النبوية ، والشعر العربي ([2])

([1]) شرح عقود الجمان ٢١٨ .

([2]) ينظر للمؤلف : أثر السياق في اصطفاء الأساليب ، دراسة بلاغية ، ط ، الجريسي ٢٠٠٢ م

اللف والنشر ، وألوان بديعية تقاربه

يجري الخلط بين اللف والنشر،وبعض الأساليب عند بعض أهـــل العلم ، وسنعرض للأساليب التي تقارب اللف والنـــشر في وجـــه مـــن الوجوه ، لتبيين الفرق بينها ، وبين اللف والنشر .

الفرق بين اللف والنشر والمقابلة :

أسلفنا القول أن ابن رشيق وابـــن أبي الأصـــبع والـــسجلماسي ،خلطوا بينهما ،ويبدو أن مفهوم المقابلة كان متوسعا فيه عند ابن رشيق ، فقد قال : " وأكثر ما تجئ المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة " ([1]) قوله : أو أكثر، يعني أن المقابلة عنده يمكن أن تكـــون بغير الأضداد ، وهو مخالف لما استقر عليه مفهوم المقابلة عنـــد جمهـــور البلاغيين بعده .

و المقابلة : هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب،ولو تدبرنا آية القصص: ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تـــشكرون﴾ (القـــصص / ٧٣) والتي ساقها العلماء الثلاثة شاهدا على المقابلة ، لتبين لنـــا الأمـــر ، لأن الأضداد المذكورة في الآية يوجد منها ضدان في كل طـــرف ، (الليـــل والنهار) (لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) و مبنى الأمر في المقابلة على

([1]) العمدة ١٥/٢ .

توافق المذكور في كل طرف ، ثم مقابلة ذلك على الترتيب ، وحتى تكون الآية على نهج المقابلة ينبغي أن تكون هكذا : ومن رحمته جعل لكم النهار لتبتغوا من فضله والليل لتسكنوا فيه .

الفرق بين اللف والنشر والتقسيم :

التقسيم عند جمهور البلاغيين : هو ذكر متعدد ،ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين ، والقيد الموجود في هذا التعريف (على التعيين) يقابله ضده في اللف والنشر (من غير تعيين) وقد أكد البلاغيون على أن المراد من التعيين إنما هو بحسب اللفظ ، لا بحسب المعنى ؛ لأنه إن كان المراد التعيين من خارج فكل لف ونشر كذلك ([١]) فمبنى اللف والنشر على خلو التركيب من القرائن اللفظية التي تعين كل طرف من النشر لما له من اللف ، على العكس من التقسيم الذي يشترط فيه وجود القرينة اللفظية المعينة ؛ لذلك قال العصام ــ معلقا على قول المؤلف في تعريف اللف و النشر (من غير تعيين) ــ " احترز به عن التقسيم مطلقا بأن لايقصد المتكلم إلى معين ، وإن كان قاصرا في التعيين غير واف بما قصده ، و بهذا يفرق بين التقسيم المختل واللف والنشر " ([٢])

([١]) ينظر مواهب الفتاح ٤ / ٣٣٨ ، و عروس الأفراح ٣٣٧/٤ ، ٣٣٨ و حاشية الدسوقي على مختصر السعد ٣٣١/٤ .

([٢]) الأطول ٢ / ١٩٦ .

الفرق بين اللف والنشر والجمع مع التفريق :

خلط بينهما يحيى بن حمزة العلوي حيث قال : ــ وهو يتحدث عن اللف والنشر ــ " وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق " ([١]) وليس الأمر كذلك ، لأن الجمع مع التفريق عند جمهور البلاغيين : هو أن يدخل شيئان في معنى واحد ،ويفرق بينهما من جهتي الإدخال ، و ذلك كقول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوئها * وقلبي كالنار في حرها

ومنه قوله : ــ تعالى ــ (و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة . . .) (الإسراء / ١٢)

([١]) الطراز ٢/٤٠٤ .

الفرق بين اللف والنشر والجمع مع التقسيم :

ربما يخلط بين هذين اللونين ، و لكن الفرق بينهما يتـــضح مـــن تذكر تعريف الجمع مع التقسيم ، وهو عند جمهور البلاغيين : جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه ،أو تقسيمه ثم جمعه ، ومن الأول قول المتنبي :

حتى أقام على أرباض خرشنـــــة * تشقى به الروم و الصلبان و البيع
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

ومن الثاني قول حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعـــوا
سجية تلك فيهم غير محـــدثة * إن الخلائق ـــ فاعلم ـــ شرها البدع

الفرق بين اللف والنشر والجمع مع التفريق والتقسيم :

ويجري الخلط بينهما عند المفسرين ، ومثاله قوله : ـــ تعـــالى ـــ (يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شـــقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت الـــسموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين ســـعدوا ففـــي الجنـــة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطـــاء غـــير مجذوذ) (هود / ١٠٥:١٠٨) فقوله (نفس) متعدد معنى لكونه نكرة في سياق نفي ، وأما التفريق ففي قوله: (فمنهم شقي وســـعيد) وأمـــا التقسيم ، ففي قوله (فأما الذين شقوا . . . إلى آخر الآية) ([1])

([1]) ينظر تلخيص المفتاح و شروحه ٣٤٢،٣٤٣/٤ .

الأسرار البلاغية العامة لأسلوب اللف والنشر

يكتنز هذا الأسلوب أسرارا بلاغية عامة تذكر في كل أسلوب ، ثم يمتاز كل أسلوب بخصائص بلاغية حسب موقعه وسياقه ، ومن تعريف البلاغيين للأسلوب نرى أنهم قد أجمعوا قديما وحديثا على أن عدم التعيين مرجعه إلى الثقة في السامع ، وهذا يعني أن هذا الأسلوب يعتمــد علــى الإثارة ، وتحريك الذهن ، مما يجعل المعنى أقــوى في الإثبــات ، وأعلــق بالفؤاد ، كما أن في هذا الأسلوب اعتدادا بعقل المتلقي ، وكأنــه مــن الأساليب الخاصة التي يلقى بها على خبير بأساليب العرب ، إذ هو يــدل على ذكاء العربي ، وحدة قريحته .

كما أن هذا الأسلوب يفيد الإيجاز ؛ لذا علق الإمام عبد القاهر على قول امرئ القيس : كأن قلوب الطير رطبا ويابسا .. . قائلا : " إنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ ،وحسن الترتيب فيــه ،لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه " ([1])

([1]) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ١١٣ .

وقد ذكر بعض الباحثين أن هذا الأسلوب " يضاعف فعالية الذهن ، إذ ينشر أمامه مجموعة أشياء يتصل بكل منها شئ ، لكنه يبهم عليه أول الأمر نسبة الشئ إلى أصله ، فيدعه يلهث وراء هذه المعرفة ، حتى إذا استطاع الذهن تحصيل العلاقة بين كل فرد من أفراد المتعدد ، والشئ المتصل به أدركته بهجة التعرف ،ولذة التوصل ،والأمر هنا لا يختلف كثيرا عما يحدث عندما يرى أحدنا ابنين لا يعرفهما لصديقين من أصدقائه ثم يأخذ في التفرس والتعرف إلى أن يستطيع نسبة كل منهما إلى صديق من أصدقائه ، فإذا أفلح في ذلك أدركته نشوة خاصة " (1)

يمكننا أن نقول : الأسرار العامة وراء كل أسلوب ورد على اللف والنشر هي على النحو التالي :

١ ــ إثارة وتحريك ذهن السامع .

٢ ــ الاعتداد بعقل السامع بإشراكه في استنباط المعنى .

٣ ــ الحصول على المعنى بعد التعب،وذلك أثبت له في النفس ، وأعلق في الفؤاد .

٤ ــ الإيجاز والاختصار .

ويبقى لكل أسلوب في سياقه أسرار تخصه ، و إيحاءات تشع منه، ولا يظهر ذلك جليا إلا بتأمل كل موضع ، وملابساته من السياق المقالي، والسياق الحالي ؛ لذا سوف نستغني عن ذكر هذه الأسرار العامة المذكورة هنا عند تحليل المواضع ، ونولي الاهتمام لما في كل موضع من الخصائص والإيحاءات التي توجد فيه ، ولا توجد في غيره .

---

(1) المفصل في علوم البلاغة ٥٧٩ ، ٥٨٠ د / عيسى علي العاكوب ، ط ، دار القلم ، الإمارات ١٤١٧هـ .

الفصل الأول

اللف والنشر المرتب في الذكر الحكيم

مواقعه ــ أسراره

توطئة

وقع اللف والنشر المرتب في خمسة عشر موضعا من الذكر الحكيم ، هي التي يتضح فيها إجراء هذا الأسلوب دون تكلف، وقد ورد في كتب التراث النص على مواضع أخر إجراء الآيات فيها على اللف والنشر المرتب تكلف ــ فيما أرى ــ لذا استبعدها من البحث ، ويحسن إيرادها في هذه التوطئة مع الإشارة إلى مظانها من كتب التراث ، بغية الإفادة .

١ ــ قصة موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ (الكهــف / ٧١:٨٢) نــص الــصاوي علــى أنها مــن اللــف والنــشر المرتــب (ينظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢٢/٣)

٢ ــ قال : ــ تعالى ــ (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لــسان صدق عليا) (مريم / ٤٩:٥٠) نص الشيخ زادة على أنها من اللــف والنشر المرتب (ينظر:حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٢٩١/٣)

٣ ــ قال : ــ تعالى ــ (قل لا أملك لنفسي نفعا ولاضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنــا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الأعراف /١٨٨) عدها السجلماسي مــن صور المقابلة ، وهو مصطلح يرادف اللف والنشر عند البلاغــيين كمــا مضى في التمهيد (ينظر : المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي / ٣٤٦)

٤ــ قال:ــ تعالى ــ (يوم يأتِ لاتكلم نفس إلا بإذنــه فمنــهم شــقي وسعيد) (هود ١٠٥ :١٠٨) نص البقاعي أن الآيات من اللف والنشر المرتب ، وهي عند البلاغــيين مــن الجمــع مــع التقــسيم والتفريــق (ينظر : نظم الدرر ٣/ ٥٧٩ ، شروح التلخيص ٤/ ٣٤١ ، نهاية الإيجــاز في درايــة الإعجــاز للفخر الرازي ٢٨٩)

٥ــ قال : ــ تعالى ــ (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهــم لايفرطون) (الأنعام / ٦١) ذكر الشهاب أن الآية يمكن أن تكون مــن اللف والنشر المرتب على تأويل ، ومن غير المرتب علــى تأويــل آخــر (ينظر : الشهاب على البيضاوي ٧٦/٤)

مواضع اللف والنشر المرتب في الذكر الحكيم
دراسة تحليلية

١ـ قال : ـ تعالى ـ ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (البقرة/٢١٧)

أوردها السجلماسي شاهدا على المقابلة ، وهي تـرادف اللف والنشر عند البلاغيين يقول في الآية : " قابل قوله (ومن يرتدد منكم عن دينه) بقوله : (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) وقابل قوله : (فيمت وهو كافر) بقوله : (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ([١]) والآية على هذا التأويل من اللف والنشر المرتب .

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله : (فيمت وهو كافر) معطوف على فعل الشرط ، وقوله : (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) معطوف على جواب الشرط (فأولئك حبطت أعمالهم في

([١]) المنزع البديع ٣٤٦،٣٤٧.

الدنيا والآخرة) وعليه فقد اختلفوا : هل مجموع الأحكام المـــذكورة : (حبوط العمل والخلود في النار) أثر للردة ، أم أثر للردة والموت علـــى الكفر ؟ وقد ذهب الإمامان أبو حنيفة ومالك ـــ رضي الله عنهما ـــ إلى أن مجرد الارتداد يوجب الإحباط ، وذهب الإمام الشافعي ـــ رضـــي الله عنه ـــ إلى أن الإحباط وغيره أثر للردة والموت عليها ، وثمرة الخـــلاف تظهر فيمن صلى ، ثم ارتد ، ثم أسلم ، والوقت باق ، فإنه يلزمه عنـــد الإمام أبي حنيفة قضاء الصلاة ، خلافا للشافعي ، وكذا الحج واختلـــف الشافعية فيمن رجع إلى الإسلام بعد الردة ، هل يرجع له عمله بثوابـــه ، أم لا ؟ فذهب بعضهم إلى الأول ، فيما عدا الصحبة ، فإنها ترجع مجردة عن الثواب ، وذهب الجل إلى الثاني ، وأن أعماله تعود بلا ثـــواب ، ولا فرق بين الصحبة و غيرها " ([1])

والذي أبصره أن إجراء الآية على اللف والنشر هو الموافق لرأي أبي حنيفة ، وهو الألصق بالسياق ؛ لأن المرتد على قـــسمين ، إمـــا أن يستتاب فيتوب ، وإما أن يستتاب فيبقى على كفره ، فعلى عدم إجـــراء الآية على اللف والنشر يعاقب الثاني ، ولا يعاقب الأول ، وهي جريمـــة تستحق العقوبة ؛ فالأعلى ما ذهب إليه الإمامان أبو حنيفة ومالك ؛ لـــذا قال ابن العربي : " قال علماؤنا : إنما ذكر الموافاة { أي : الحالة التي يختم

([1]) ينظر الكشاف ٣٥٧/١ ، مفاتيح الغيب ٣٩٢/١ وما بعدها ، الجـــامع لأحكـــام القـــرآن للقرطبي ٣٢/٣وما بعدها ، و أنوار التنزيل للبيضاوي ٥٢٣/١ ، وحاشية محيي الدين شـــيخ زادة على البيضاوي ١/ ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وروح المعاني ٥٠٥/١ .

بها عمر الإنسان } شرطا هاهنا ؛ لأنه علق الخلود في النار عليها ، فمن أوفى على الكفر خلده الله في النار بهذه الآية ، ومن أشرك حبط عمله بالآية الأخرى ، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين ، وحكمين متغايرين ، قال ابن عاشور : يريد أن بين الشرطين والجوابين هنا توزيعا ، فقوله : (فأولئك حبطت . . .) جواب لقوله :(ومن يرتدد . . .) وقوله : (وأولئك أصحاب النار . . .) جواب لقوله : (فيمت وهو كافر) ولعل في إعادة (وأولئك) إيذانا بأنه جواب ثان ، وفي إطلاق الآي الأخرى ([1]) عن التقييد بالموت على الكفر قرينة على قصد هذا المعنى من هذا القيد في هذه الآية ([2]) وبناء على ما مضى تكون الآية من اللف والنشر المرتب .

علاقة الأسلوب بالسياق

ورد الأسلوب في سياق الحديث عن الجهاد ،وإلحاح الكافرين على رد المؤمنين عن دينهم وفتنتهم ، وجاء الأسلوب عقابا لمن افتتن ، فالسياق المقالي دل على حال الشدة ، والتناهي في الفتنة التي يكون عليها المؤمنون ، فليست الحال حالا معتادة ، فجاء أسلوب اللف والنشر ليلائم الحال غير المعتادة ، كما أن مجيئ الأسلوب على اللف والنشر فيه

([1]) يشير إلى قوله : ـــ تعالى ـــ (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) (المائدة /٥) وقوله : (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) (الزمر/ ٦٥) وقوله : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (الأنعام / ٨٨)

([2]) التحرير و التنوير ٣٣٣/٢ ، ٣٣٤ .

زيادة تهديد ووعيد ، حيث ذكر العاقبة كلها في جانب ، والإثم الموجب في جانب ليقع الظن في أول النظر أن عقوبة المرتد إحباط الأعمال والخلود في النار ،فيكون ذلك أزجر له ،وهو الملائم للسياق الكاشف عن استعار محاولة الكافرين رد المؤمنين عن دينهم (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) ومجابهة مثل هذا الموقف تكون بالوعيد الشديد ،والتهديد لمن يقع أسيرا لهذه المحاولة الشديدة ،ولو لم يجئ الأسلوب على نهج اللف و النشر لما كان فيه هذه الملاءمة للسياق ، قل مثلا : ومن يرتدد منكم عن دينه فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة فيمت وهو كافر وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، ألا ترى أن نبرة الزجر أهدأ مما جاء عليه الأسلوب،ويكون مجيئه على هذا النحو غير كاشف عن استعار محاولة رد المؤمنين غير الهادئة .

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب الكريم مبنيا على الشرط ، وفي مجيئه كذلك ملاءمة للمقصد والغرض ، حيث إنه حديث عن إثم وعاقبة ، و يناسبه أسلوب الشرط ؛ لأنه جزاء عاقبة إحداث شرط ، وجاء الفعل غير مدغم (يرتدد) على العكس مما جاء في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . . .) (المائدة / ٥٤) " للإشارة إلى أن الحبوط مشروط بالكفر ظاهرا باللسان وباطنا بالقلب ، فهو مُلِيح بالعفو عن نطق اللسان مع

طمأنينة القلب " ([1]) وهو الملائم لحال استعار محاولة رد الكافرين المؤمنين عن دينهم " وأشارت قراءة الإدغام في المائدة إلى أن الصبر أرفع درجة من الإجابة باللسان ، وإن كان القلب مطمئنا " ([2]) كما أن الفعل جاء بصيغة الافتعال (يرتدد : يفتعل) دلالة على أن الرجوع عن الإسلام تكلف لمخالفة إلف النفس وفطرتها ، وهو الملائم للإضافة في قوله قبل الفعل : (دينكم) وبعده (عن دينه) كما أن في مجيئ هذا القيد (منكم) إمعانا في الوعيد والتهديد ، لما في المواجهة بالتهديد من إعلائه ، تحس هذا لو قلت : ومن يرتدد عن دينه ، وحذفت القيد (منكم) وهو الفرق الذي تحسه بين قوليك لأولادك : من يرسب أعاقبه ، ومن يرسب منكم أعاقبه .

(فيمت) في مجيئ الفعل بفاء العاقبة إعلاء لنبرة التهديد ، ومنه أخذ الجمهور ([3]) أن المرتد يستتاب لثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل ، فالفاء تفيد أن الموت يعقب الارتداد ، ولا أزجر في المنع من الفعل من معرفة أن عقوبته الموت السريع ، وفي مجيئ القيد جملة حالية اسمية (وهو كافر) تبشيع لهاته الحالة ، وإيحاء باستمراره عليها وثبوته على الكفر ، وفيه إشعار بعلية الحكم ، وهذا من أسرار مجيئ الأسلوب على اللف والنشر ؛ لما فيه من الإيحاء بأن الأجل غير مضمون ، ولا لحظة ، فما يدري المرتد

([1]) نظم الدرر ٤٠٦/١ .

([2]) نظم الدرر ٤٠٦/١ .

([3]) التحرير و التنوير ٣٣٥/٢ .

لعله يرتد فيموت دون أن يكون لديه أدنى وقت للرجوع للتوبة ، وهـــذا ما يفيده أسلوب اللف والنشر جريا على لاحب التهديد والوعيد.

ثم جاء الجواب جملة اسمية ،وعرف المسند إليه باســـم الإشـــارة الموضوع للبعيد ؛ إبعادا للمرتدين عن رحمة الله على وجه ثابت دائـــم ، وجاء المسند فعلا ماضيا تحقيقا للوقوع ، وقدم المسند إليه علـــى خـــبره الفعلي ؛ تأكيدا على خسرانهم ، وجاء هذا القيد (في الدنيا والآخـــرة) إمعانا في التهديد ببيان الخسران في الدارين ؛ لأن المرتد يرد دين الله طمعا في دنيا الكافرين من المنافع و المصالح ، فدل النص الكريم على خـــسارته في الدارين ، وجاءت الجملة الثانية مشحونة بما شحنت به الجملة الأولى ، وقد ذكرهم بعنوان الصحبة (أصحاب النار) إشعارا بملازمتـــهم لهـــا وقد" دل بالصحبة على أنهم أحق الناس بها،فهم غير منفكين عنـــها " ([1]) ثم ضاعف من التهديد بنظم جملة عقبها على نهـــج كمـــال الاتـــصال ؛ توكيدا لها (هم فيها خالدون) لأن الصحبة تدل على الملازمة والخلـــود تلويحا ، فجاءت هذه الجملة لتؤكد على ذلك تـــصريحا ، وبـــني الكـــل بالجملة الاسمية ؛ تلاؤما مع الخلود والدوام ، وفي بناء الأسلوب على هذا النحو من اللف والنشر ؛ تمتين للوعيد ؛ وإعلاء للتهديد ، لما فيـــه مـــن حاجة إلى التأمل في فقه مراميه ، ورد كل من النشر إلى ماله في اللـــف ، وهو الملائم لحال الفتنة والتخليط ، وإحاطة الشبهة والإغراءات ، وهـــو مما يحتاج إلى تأمل وإرجاع بصر ، وجلاء بصيرة ردا للشبهة ، فقد جـــاء

([1]) نظم الدرر ٤٠٧/١ .

كل على مقتضى مقامه ، ولو جاء غير هذا الأسلوب في هذا السياق لما كانت له هاتيك المرامي ، ولا أوحى بتلك المقاصد .

٢ـ قال : ـ تعالى ـ ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾الأنعام / ١٥:١٧)

ذكر الشهاب أن الآيات كاللف والنشر حيث قال : إن قوله : ـ تعالى ـ (وإن يمسسك . . .) " داخل في حيز (قل) والخطاب للرسول ـ ﷺ ـ أو عام لكل من يقف عليه ، وهو كاللف و النشر ، فمس الضر ناظر إلى قوله : (إني أخاف . . .) ومس الخير إلى قوله : (من يصرف عنه يومئذ . . .) [1]

وقد نص الآلوسي على أن " الآية من قبيل اللف والنشر فإن مس الضر ناظر إلى قوله : ـ تعالى ـ (إني أخاف . . .) ومس الخير ناظر إلى قوله : ـ سبحانه ـ (من يصرف عنه . . .) وهي على ذلك داخلة في حيز (قل) و الخطاب عام لكل من يقف عليه أو لسيد المخاطبين ـ ﷺ ـ " [2] ولا أعرف أحدا من المفسرين أشار إلى أن الآية من قبيل اللف والنشر سوى هذين الشيخين ، و الظاهر أن الآيات

(1) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٣٥/٤.

(2) روح المعاني ١٠٨/٤ .

من قبيل اللف و النشر ، فاللف في الآيتين الأوليين ، و النشر في الآية الثالثة ، وما دام الكل داخلا في حيز فعل الأمر (قل) فهو قول واحد ، فصح أن تكون الآيات من اللف و النشر .

علاقة الأسلوب بالسياق

الأسلوب ورد في سورة الأنعام ، وسورة الأنعام هي الخامسة والخمسون نزولا ، و تعكس تراكيب السورة تسليته ـ ﷺ ـ ولقد كانت فترة حرجة في الدعوة ؛ لذا نرى نظير الأسلوب يذكر في سورة يونس ، وهي السابقة في النزول على سورة الأنعام ، فيونس هي الواحدة والخمسون نزولا ، وفيها (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (يونس / ١٠٦،١٠٧) والموضعان يدلان على الإقرار بإثبات كمال القدرة لله وحده ،وهو في التوحيد من الذروة ، وهو ما توفرت السورة على إثباته .

وقد سيقت الآية في مقام تخويف المجترئين على الله ، و بيان أنه لا يعفى من ارتكب معصية من عقوبة حتى لو كان أحب الناس إليه ؛ لذا جاء الخطاب موجها له ـ ﷺ ـ مرادا به الأمة ، قال البقاعي : " ولما كان المقام للخوف قدمه فقال : (إني أخاف . . .) أي شئ مما تريدون

مني أن أوافقكم فيه بما أمرت به أو نهيت عنه " ([1]) وهو يـــشير إلى مـــا سبق الآية من الاستفهام الإنكاري (قل أغـــير الله أتخـــذ وليـــا . . .) (الأنعام / ١٤) فالتراكيب دالة على أن الحال كان حال مجادلة ، وحال هجوم عليه ــ ﷺ ــ وهذا الاستفهام الإنكاري دال على دعوتهم لـــه ــ ﷺ ــ أن يعبد آلهتهم يوما ، و يعبدوا إلهه يوما ، فأنكر عليه هذا ، و ترى لفظ (قل) تكرر كثيرا في سورة الأنعام بما لا نظير له في ســـورة أخرى من الذكر الحكيم فلم تكن الحال هادئة ، و إنما كانت حال هجوم وجدل حول التوحيد ، وهذا الحال يلائمه أسلوب يحتاج تمهـــلا في فقـــه مراميه ، وتأنيا في استنباط مقاصده ، ومراجعة الأسلوب لفقهه قد يـــرد النفس عن هواها ؛ لأن الكل مقر أن مس الضر وكشفه مـــن الله ، ثم إن حال النفس وقت مس الضر ليست حالا مستقرة تلائمهـــا الأســـاليب المباشرة ، من أجل ذلك كله كان أسلوب اللف والنـــشر هـــو الملائـــم للحال والمقصد والغرض ؛ إثارة للمخاطب ، وتنشيطا للذهن .

من أسرار نظم الأسلوب

أصل الكلام في غير القرآن : قل إني أخاف ــ إن عـــصيت ربي ــ عذاب يوم عظيم وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ومـــن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وإن يمسسك بخـــير فهـــو على كل شئ قدير ، لكن الذكر الحكيم ورد بيانه على هـــذا الترتيـــب

([1]) نظم الدرر ٥٩٨/٢ .

للطائف نذكر بعضها ، فقد جاء الخطاب من الله (قل) لنبيه ـــ ﷺ ـــ وبإسناد الخوف إلى النبي ـــ ﷺ ـــ (إني أخاف) بأسلوب مؤكد ،وفي ذلك تخويف لغيره من المخاطبين ، لأنه إن كان خائفا ، وهو بهذه المنزلة ، فإنه ينبغي أن يكون غيره أخوف ، وجاءت الجملة الاعتراضـــية ـــ إن عصيت ربي ـــ بأسلوب الشرط ، و إن المنبهة على قلة تحقق مـــدخولها ، وبدخولها على الماضي الذي يؤكد أنه مما يتطرق إليه الشك أنه سيعـــصي ربه مستقبلا ، وتتأمله لو قلت مكانه : إن أعص ربي ، وفيه توكيد أنه لم يعص ربه فيما مضى ، وفي العدول عن اسم الجلالـــة إلى غـــيره (ربي) إيماء إلى أن عصيانه أمر قبيح ؛ لأنه المنعم عليه فكيف يعـــصيه ، وقـــد حذف جواب الشرط إلماعا إلى أنه لم تكن معصية حتى يكون عـــذاب ، ومع كل ذلك جاءت الجملة معترضة ؛ تنبيها على سبب الخـــوف مـــن العذاب .

وفي إضافة العذاب إلى اليوم تهويل على ما جرت به عادة العرب ، وقد تظاهر هذا التركيب على التخويف من المعصية التي خصها العلماء بالشرك في هذا السياق ، حيث سبقت بقوله : ـــ تعـــالى ـــ (قـــل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) (الأنعام /١٤) وقدم الحديث عن الخوف من العذاب ؛ تلاؤمـــا مـــع الغـــرض ،وهـــو التخويف والترهيب والشرك ، ثم جاء بعده قوله : ـــ تعـــالى ـــ (مـــن يصرف عنه . . .) تأكيدا على فضل الله على عباده ، ألا ترى في نـــور

هذا التركيب كيف كان العذاب نفسه مخيفا مرعبا ، ولم يكن لأحـــد أن يمنعه ، و أنه لاحتشاده لإصابة العاصي احتاج إلى تدبير ، ألا تبـــصره في قوله : ـــ تعالى ـــ (من يصرف عنه) وكيف كان مستعليا عليه متمكنا منه قاصدا إياه ؟ لذا لم يقل ربنا : من يرحم منـــه ، وقـــد بـــني الفعـــل (يصرف) للمفعول زيادة في التخويف ، و توفيرا للعناية على الفعـــل ، قل مكانه : من يصرفه الله عنه . . . ألا ترى هذه الإطالة الـــتي تطيـــل الفصل بين البشارة والنذارة ؟ويؤيد ذلك مجيئ جواب الشرط بـــ (قد) الداخلة على الماضي تأكيدا لارتباط تحقق رحمة الله بصرف العذاب عنه ، وللإيحاءات التي ذكرت في تحليل الشرط ذيل الكلام بقوله : (وذلـــك الفوز المبين) تأكيدا لإظهار فضل الله ؛ تناسبا مـــع ذلـــك الاحتـــشاد للعذاب وتمكنه منه تمكن المستعلي على العاصي .

ثم جاء النشر بعد ذلك رادا أمر حالي الضر والخير إلى الله ـــ عز وعلا ـــ وقد بدأ بذكر الضر ، لأنه الألصق بـــسياق الترهيـــب ، قـــال الشهاب : " وتقدم مس الضر على مس الخير لاتصاله بمـــا قبلـــه مـــن الترهيب الدال عليه (إني أخاف . . .) ([1]) وجاء التعـــبير بـــــ (إن) داخلة على المضارع في الضر والخير، وعبر بالمس وهو المس الخفيـــف ؛ تأكيدا لإثبات كمال قدرة الله ، تنبيها بالأدنى على الأعلى ، فإذا ما كان المس الخفيف لكليهما منسوبا إلى الله وحده،فنسبة ما فوقه أعلى وآكد .

([1]) حاشية الشهاب ٣٥/٤ .

ونلحظ هنا أن المسند إليه لفظ الجلالة (الله) وفي التعـــبير بـــه إظهار للمهابة ، و تنبيه إلى إثبات التفرد بالألوهية ،وترى في قوله : ـــــ تعالى ـــ (فلا كاشف له . . .) تعظيما لأمر الضر ، و تنبيهـــا علـــى إحاطته لصاحبه ، و تمكنه منه و سيطرته عليه سيطرة الغطاء على المغطى ففي الكلام مجاز ، وقد جاء بأسلوب القصر في جواب الشرط ؛ تأكيـــدا فثبات التفرد بالألوهية ، وإلا فكان يمكن أن يقال : و إن يمســـسك الله بضر يكشفه ، وهو كلام فاسد لا يلائم هذا السياق علـــى الإطـــلاق ، وترى قوله : (فلا كاشف له إلا هو) يتناغم مع قوله : (من يـــصرف) حيث ترى في الطرفين تمام تمكن الضر من صاحبه ، وفي كل هذا تصوير لعظيم فضل الله ، وإثبات كمال القدرة له ؛ لذا جاء جواب الـــشرط في الجملة الثانية من النشر (فهو على كل شئ قدير) ولم يقل : فهو بعباده رحيم ، كما يوهم به النظر في الآية دون إبصار سياقها ، كما أن أسلوب النشر جاء مبنيا على تمييز الحالين خير تمييز ، وفي مجيـــئ الحـــالين علـــى التضاد خير بيان لكمال قدرة الله ، كما أن مجيئ الأسلوب علـــى نهـــج اللف والنشر يلائم حال الـــنفس تجـــاه الـــضر والخـــير ،فهـــي بهمـــا ملفوفة،وبينهما محصورة ، فكان اللف والنشر والطباق أنسب الأساليب تعبيرا عن حالها .

٣ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك البــصار وهو اللطيف الخبير ﴾(الأنعام / ١٠٣)

الآية من اللف والنشر عند الزمخشري ، وقد تابعه كــثير مــن المفسرين حيث قال:"(اللطيف) يلطف عن أن تدركه الأبصار (الخبير) بكل لطيف ، فهو يدرك الأبصار ، و لا تلطف عن إدراكه ، وهذا مــن باب اللف " وقد رد الشهاب كل طرف إلى ماله ، حيث قال : " فــإن اللطيف يناسب كونه غير مدرَك ، والخبير يناسب كونه مدرِكا ، وكذلك الشيخ زادة ، وقد نص الصاوي على أنه لف ونشر مرتب [1] وذكر ابن عاشور أنه من الاحتراس على أن معنى اللطيف : الرفيق ، وأنه من محسن اللف والنشر على أن معنى اللطيف : الذي لايدرك " [2] فالآيــة مــن اللف و النشر المرتب ، وتقديره : لاتدركه الأبصار وهو اللطيف، وهــو يدرك الأبصار وهو الخبير .

علاقة الأسلوب بالسياق

---

(1) ينظر الكشاف ٢/ ٤١ ، أنوار التتريل للبيضاوي بهامش الشهاب ١٠٩/٤ ، والشهاب على البيضاوي ١٠٩/٤ ، وزادة على البيضاوي ١٩٦/٢ ، وحاشية الصاوي على الجلالين ٣٤/٢ ، وروح المعاني ٢٣٣/٤ .

(2) التحرير و التنوير ٤١٨/٧ .

وقعت الآية الكريمة في سياق الحـــديث عـــن آلاء الله وقدرتـــه المتفردة (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميـــت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) (الأنعام / ٩٥) والآيات التي تليهـــا ، ثم عاب على من ادعى له شبيها (وجعلوا له شـــركاء الجـــن وخلقهـــم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عمـــا يـــصفون بـــديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شـــئ وهو بكل شئ عليم) (الأنعام /١٠١،١٠٠)

والملحوظ هنا أنه عاب عليهم اتخاذ الجن شركاء ، وهم يَـــرَون ولايُرَون ، كما جاء النص على ذلك في سورة الأعراف (إنه يراكم هـــو وقبيله من حيث لا ترونهم) (الأعراف / ٢٧) تأمل هذه العلاقـــة مـــع وصفه ــ سبحانه ــ نفسه بـــ (اللطيف) فهم لا يرون الجـــن ، ومـــع ذلك ادعوا لهم الألوهية ، ولايرون الله ، ومع ذلك لم يقروا به إلها ، إنـــه تخليط وخبال عقل ؛ لذا جاء أسلوب النشر ردا على معتقدهم المخلـــوط ، كاشفا أنهم لاروية لهم ، و لا عقل عندهم ، لو تأملوا ، فجـــئ بـــالرد مسوقا بأسلوب يفقه بعد التأمل ، و يفهم مرماه ومقصده بعد التـــدبر ؛ لفتا لهم إلى التفكر مليا فيما يعتقدون ، وقد نبه البقـــاعي إلى أن المقـــام اقتضى تنزيهه ــ سبحانه ــ بهذه الآية ، حيث قال : " ولما كان كل والد وكل شريك لابد أن يكون مجانسا لولده ،وشريكه بوجه ، وصل بـــذلك من وصفه ماقتضاه المقام من تنزيهه . . . ووراء ذلك كله أنهم يـــدركون

بالأبصار في الجملة ، فليس إدراكهم بالأبصار مستحيلا ، وأما هذا الإله العزيز فهو غير مدرك لكم بالبصر ، كما يدرك غيره إدراكا تاما ، فيتأمله ناظره ، فيزنه ، وينقده بالخبرة بما فيه من رضى وغضب وغيرهــا " (١) والآية "تعريض بانتفاء الإلهية عن الأصنام ، التي هــي أجــسام محــدودة محصورة متحيزة " (٢) وأما تأليههم الجن مع أنهم لا يــرونهم ، فلأنهــم يدعون رؤيتهم في الفيافي وغيرها ، فارتبطت الألوهية عندهم بما يــرى ، فجاءت الآيات لتبين أن من صفات الإله أن يدرك ،ولا يدرك .

من أسرار نظم الأسلوب

نلحظ أنه ــ سبحانه ــ قال (لاتدركه) ولم يقل : لاتراه ، لمــا في الإدراك من الإحاطة ، ولما في ذلك من دلالة على عدم التحييز ، وبهذا رد قول المعتزلة في نفي الرؤية ، ونلحظ أنه قــدم عــدم الإدراك علــى الإدراك ، لأن النفي ألصق بالسياق ، حيث يتجه التركيب نحــو إفــساد القول بألوهية كل من ادعوا ألوهيتهم وألهوهم ، حيث إن الآلهة المــدعاة كلها تدرك ، إما حقيقة ، و إما زعما ، وجاء المسند إليه (الأبصار) لأن الشرط في الإله في نظرهم أن يدرك بالبــصر ، وجاءأكيــدا فى انتفــاء الإحاطة بالجمع ، وإذا انتفى من الجمع فانتفاؤه من الفرد آكد ،ثم عطف

(١) نظم الدرر ٦٩٠/٢ .

(٢) التحرير و التنوير ٤١٤/٧ .

، ثم عطف على الجملة الأولى جملة أخرى على وجه التضاد (وهو يدرك الأبصار) بالجملة الاسمية ، و بتقديم المسند إليه على خبره الفعلي للتقوية و التوكيد على إحاطته ــ سبحانه ــ بالأبصار ، و بكل دقائقها وخفاياها، ومنتهى منظورها ، وهذا التعبير أدل على قدرة الله ، فلو قال ، وهو يدرك أصحاب الأبصار لم يكن بليغا ، ثم جاء بالنشر بجملة اسمية معرفة الطرفين (وهو اللطيف الخبير) قصر لهاتين الصفتين عليه ــ سبحانه ــ وحده ، وجاء اللف والنشر مرتبا تقديما لما هو ألصق بالرد على شبهة المشركين ، والأسلوب غاية في الإيجاز والإعجاز ، وإثارة العقل ، والإلماع إلى التدبر ، وقد جاء ملفوفا تناسبا مع حال المدرِك والمدرَك والتفاف العلاقة بينهما .

٤ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب بالذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾(الأنفال / ١٢)

نص الصاوي على أن الآية لف ونشر مرتب ، حيث قال : " قوله : (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله : (أني معكم) وقوله : (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) كالتفسير لقوله : (فثبتوا) فهو لف ونشر مرتب " ([1]) وقد تأولها كثير

([1]) الصاوي ١١١/٢ .

من العلماء من قبله ومن بعده على هذا النحو ، غير أنهم لم ينصوا على أنها من اللف والنشر ([1]) ومن المفسرين من جعل قوله : (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله : (أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) دون تفصيل للأطراف ([2]) ورد ابن عاشور أن تكون جملة (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) مفسرة لمعنى (أني معكم) فهو يرى الجملة (سألقي . . .) مستأنفة استئنافا ابتدائيا ؛ إخبارا لهم بما يقتضي التخفيف عليهم في العمل الذي كلفهم الله به ، بأن الله كفاهم تخذيل الكافرين بعمل آخر غير الذي كلف الملائكة بعمله ([3]) والذي أبصره أن إجراء الآية على اللف والنشر هو الألصق بمقصد السورة .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب بفي سورة الأنفال التي تتظاهر تراكيبها على التبرؤ من الحول والقوة ؛ لذا بدأت بنهاية المعركة نازعة الأنفال من الذين تنازعوا فيها (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول . ..) (الأنفال / ١) وجاءت تراكيب السورة كاشفة عن حالهم المنبئة عن

([1]) ينظر فتح القدير ٣٧٣/٢ ، وزادة على البيضاوي ٣٠٠/٢ ، الشهاب على البيضاوي ٢٥٨/٤ .
([2]) ينظر الكشاف ٢/ ١٤٨ ، تفسير البيضاوي ٣٠٠/٢ .
([3]) التحرير و التنوير ٢٨٢/٩ .

شدة الضعف والخوف عند طلب الخروج إلى القتال ، وجـــاءت (إذ) في اثني عشر موضعا من السورة ، وهي في كل المواضع تـــذكر المتنـــازعين بحالات ضعفهم التي نسوها بنشوة النصر ، فتنازعوا في الأنفال ، فجـــاء الأسلوب في هذا السياق الذي يتظاهر على التبرؤ من الحول والقـــوة ، فلولا الرعب الذي ألقاه الله في قلوب الكافرين ، ماكان ضرب الملائكـــة للأعناق ليكون . فماذا للمتنازعين إذن من الأنفال حتى يشتجر الخلاف بينهم عليها ، وقد كانت قلوبهم منخلعة مفككة من شدة الرعب كمـــا جاء في السياق (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من الـــسماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان و ليربط بـــه علـــى قلـــوبكم ويثبت به الأقدام) (الأنفال / ١١) وقد جـــاء الأســـلوب في ســـياق الإمداد ؛ لذا رأى ابن عاشور أن الظرف (إذ) في (يـــوحي) متعلـــق بقوله : (فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين " ([١])

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب على طريقة اللف والنشر ؛ إظهارا لتمام التآزر في مناصرة المؤمنين حال ضعفهم ؛ تلبية للاستغاثة في قوله : ـــــ تعـــالى ــــ (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . . .) (الأنفال / ٩) وفي التعبير بالربوبية ـــ مع مناسبته للسياق ـــ إشعار بالعطف والحنو (إذ يـــوحي)

([١]) التحرير والتنوير ٢٨٠/٩ .

وجاء قوله : (أني معكم) بالجملة الاسمية المؤكة تمهيدا للتكليف بـــشئ شريف ، وذلك لما تؤذن به المعية من المصاحبة ، كمـــا أن فيـــه تبـــشيرا للملائكة بالظفر والنصر ؛ لأنه من كان الله معه فهو منصور ، وأن معيـــة الله هي أعون شئ على التثبيت ؛ لذا اقترن الأمر بالفاء (فثبتوا) إشعارا بسرعة إنفاذ الأمر في ظلال المعية الناصرة .

وجاء النشر على ترتيب اللف ؛ لأن المعية سر النـــصر،والرعب رأس الهزيمة ،وإدبار العدو ، كما أن إلقاء الرعب من أعظم النعم ، قـــال الفخر ـــ رحمه الله ـــ " وهذا من النعم الجليلة ،وذلك لأن أمير الـــنفس هو القلب ، فلما بين الله ـــ تعالى ـــ أنه ربط قلوب المؤمنين بمعـــنى أنـــه قواها ، وأزال الخوف عنها ، ذكر أنه ألقى الرعب والخوف في قلـــوب الكافرين ، فكان ذلك من أعظم نعم الله ـــ تعالى ـــ على المؤمنين " ([1]) وهذا من أسرار مجيئ الأسلوب على اللف والنشر ، إذ جاء مطابقـــا لمـــا يتحدث عنه من إلقاء الرعب والتقتيل ،وما يترتب علـــى ذلـــك مـــن الاختلاط الظاهر والباطن ،وهو من سمات هذا الأسلوب .

وقد جاء نشر اللف الثاني نتيجة لنشر اللف الأول (فاضـــربوا فوق الأعناق) فهذا كما قال ابن عطية " وصف أبلغ ضـــربات العنـــق وأحكمها ،وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ،ودون عظم الـــرأس

([1]) مفاتيح الغيب ٤٦٣/٥ .

في المفصل " (١) واعتبار فوق مفيدة تأكيد استعلائهم على الكـــافرين ، وتمكنهم منهم أفضل من اعتبار (فوق) زائدة (٢) ويؤيد دلالتها علـــى شدة تمكنهم من المؤنين الناتج عن الثقة بمعية الله الملقية الرعب في قلـــوب العدو،ويؤيد دلالتها على ذلك عطف قوله : (واضربوا منهم كل بنان) عليها ، حيث المراد : أصيبوا منهم أبلغ المواضع ، وإن كـــان الـــضرب مباحا في كل موضع ،وذلك " أن إفساد الأصابع أنكى ما يكـــون بعـــد ذلك (أي : بعد القتل) لأنه يبطل قتال المضروب أو كمال قتله " (٣)

٥ـــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت مـــن لدن حكيم خبير ﴾ (هود/٢)

علق الزمخشري على الآية قائلا:" قوله : (من لدن حكيم خبير) " أي : من عنده إحكامها وتفصيلها ،وفيه طباق حـــسن ؛ لأن المعـــنى : أحكمها حكيم ، وفصلها ، أي : بينها ، وشرحها خبير : عالم بكيفيـــات الأمور " (٤) وقال الشهاب : " وجعله الزمخشري في النظم أيـــضا مـــن اللف والنشر ، على أن تقديره : أحكم آياته حكيم ، وفصلها خبير"(٥)

---

(١) المحرر الوجيز ٥٠٨/٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٠/٧ .
(٣) نظم الدرر ١٩٤/٣ .
(٤) الكشاف ٢/ ٢٥٨ .
(٥) الشهاب على البيضاوي ٦٨/٥ .

ونص الشوكاني والآلوسي على أن الآية لف ونشر ،وعدها ابن عاشور من بليغ المزاوجة ([1]) ومن لم يصرح بأن الآية من اللف والنشر يؤدي تأويله إلى كونها منه ، يقول الفخر : " فقد حصل بين أول هذه الآية ، وبين آخرها نكتة لطيفة ، كأنه يقول : أحكمت آياته من لدن حكيم ، وفصلت من لدن خبير عالم بكيفيات الأمور " ([2]) فالآية من اللف والنشر المرتب ، فقوله (حكيم) راجع لقوله : (أحكمت آياته) وقوله: (خبير) راجع لقوله : (فصلت) .

علاقة الأسلوب بالسياق

الأسلوب واقع في صدر سورة هود ، وسورة هود تلي سورة يونس في ترتيب المصحف الشريف ، وترتيب النزول ، فسورة يونس هي الواحدة والخمسون نزولا ،وسورة هود هي الثانية والخمسون نزولا ، والسورتان مكيتان ، وقد ختمت سورة يونس " بالحث على اتباع الكتاب ولزومه ،والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير " ([3]) وهو يشير إلى قوله : ــ تعالى ــ (واتبع ما يوحي إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) (يونس / ١٠٩) ومن

([1]) فتح القدير ٦١٢/٢ ، وروح المعاني ٦/ ١٩٢ .
([2]) مفاتيح الغيب ٣١٤/٦ .
([3]) نظم الدرر ٣ / ٤٩٨ .

أكبر ما يعين على الصبر الإحكام ،ثم التفصيل ؛ تلاؤمـا مـع البـشارة والنذارة ، وما يقتضيه التحمل من الصبر والأناة ، وهما من سمات تأمـل أسلوب اللف والنشر ، ومجيئ الآية على اللف والنشر يلائـم الحـال ، فالكتاب محكما ومفصلا واحد ؛ لذا جاء الحديث عنه على نهج اللـف ،وكذلك (حكيم خبير) من صفات الواحد .

من أسرار نظم الأسلوب

بني الأسلوب على الإيجاز ، فجاء المسند إليه محـذوفا ؛ إيـذانا باشتهاره ، و تعينه ،وقدم الإحكام على التفصيل ؛ ترتيبا للتـابع علـى المتبوع ، وقد عطف قوله : (فصلت) بـ (ثم) وفي ذلك قال البقاعي : " ولما كان للتفصيل رتبة هي في غاية العظمة ، أتى بأداة التراخـي "([1]) والتراخي هنا تراخ في الرتبة ، وليس تراخيـا في الوقـت ، وذلـك أن "النفوس ترتاح للبيان والإيضاح " ([2]) وقد يعـرب مبتـدأ ، وسـوغ الابتداء به ما في التنكير من النوعية و (من لدن حكيم خـبير) خـبر ، و (أحكمت آياته) صفة لـ (كتاب) خصصته ، وسوغت الابتداء به ،أو أنها هي الخبر ، وعلى الأخير يكون قوله : (من لدن حكيم خـبير) ظرفا متعلقا بـ (أحكمت) و (فصلت) ويمكن أن يكون خبرا بعـد

([1]) نظم الدرر ٤٩٨/٣ .

([2]) ينظر الكشاف ٢٥٨/٢ ، روح المعاني ٦/ ١٩٢ ، التحرير و التنوير ٣١٥/١١ .

خبر ، ولكل وجه من هذه الوجوه معان وإيحاءات لاتوجــد في نظــيره ، وكله تفنن في الكشف عن إحكام هذا الكتاب وتفصيله .

وفي النص على ابتداء الغاية في قوله : (من لــدن) تــشريف للكتاب ، وإعلاء لشانه ، وكان يمكن أن يقال : من حكيم خبير،ولكنــه جاء بظرف هو لأول غاية زمان أومكان ، والمراد هنا الأخير مجــازا ([١]) زيادة في التشريف ، وجاء بالاسمين الجليلين منكرين ؛ زيادة في تفخــيم شأن الكتاب وتعظيمه ، و" الحكيم : هو الحاكم ،وهو القاضي ، وهــو الذي يحكم الأشياء ويتقنها ، وقيل : الحكيم : ذو الحكمة ، والحكمــة : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم " ([٢]) والخبير هو " العــالم بالشئ ، فالله ـــ تعالى ـــ خبير بالأشياء كلها ، لايخفى عليه منها شئ"([٣]) واصطفاء هذين الاسمين الجليلين في هذا السياق تشريف ما بعده تشريف للكتاب ،وهذان الاسمان الجليلان يوجدان في الذكر الحكيم علــى هــذا الترتيب دائما ، فلا نجد في القرآن الكريم (خبيرا حكيما) وإنمــا يــأتي الاسم الجليل الخبير بعد الحكيم دائما ، وذلك أنه لاخبرة دون حكمــة ، وقد ورد الاسم الجليل (حكيم) في سبعة وتسعين موضعا ، وورد الاسم

([١]) ينظر المحرر الوجيز ١٤٩/٣ ، روح المعاني ٦/ ١٩٢ .

([٢]) ينظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٤٤ ، المقصد الأسنى ١٢٠ ، التفــسير القــيم ٣١ ، لسان العرب (ح ك م)

([٣]) الزينة في الكلمات الإسلامية ١٠٩ .

الجليل (الخبير) في خمسة وأربعين موضعا ([1]) وفي كل المواطن التي جاءا فيها متتابعين ، قدم الحكيم على الخبير دائما .

ولنا أن نتساءل : ماسر هذه المزاوجة بين وصفي الكتاب والاسمين الجليلين ؟ وكيف لو قلنا : أحكمت آياته من حكيم ، ثم فصلت من خبير ؟ ألا ترى إيهام الاختلاف في منزل الكتاب ، وكأن الحكيم شئ ، و الخبير شئ آخر ؟ فالمزاوجة بينهما دفعت هذا الوهم ، كما أن التركيب المقترح يفسد جلال التعظيم وبهاءه في جانب الكتاب ،وفي جانب منزله ؛ لذا كان أسلوب اللف والنشر أوقع الأساليب ،وأبلغها بيانا في هذا الموضع ، وفرق بين تتابع الصفات الدالة على التعظيم ، وبين تفريقها يمكن تأمله في قولنا : جاء محمد الكريم ، وأخذ بأطراف الحديث ،وهو العالم ، وفصل بين المتخاصمين ،وهو الحكيم ،وجهر بقول الحق ، وهو الشجاع ، وقولنا : جاء محمد الكريم العالم الحكيم الشجاع ، فأخذ بأطراف الحديث،وفصل بين المتخاصمين ، وجهر بقول الحق ، ما من ريب في أن التركيب الثاني أقوى في المدح ، وأحث للمستمع على الاستنباط .

([1]) ينظر المقام و المقتضى ١٦ ، ٢٠٣ وما بعدها د / إبراهيم صلاح الهدهد

٦ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبــوا إليــه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ (هود / ٣)

الآية عند بعض المفسرين من اللف والنشر ،ومن صرح بــذلك الشهاب الخفاجي ،وتابعه الآلوسي ([١]) وكلام كثير من المفسرين يــؤول إلى أن الآية من اللف والنشر ، حيث يجعل كثير منهم قولــه: (يمــتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى) ثمرة مترتبة على قوله : (استغفروا ربكم) وقوله : (ويؤت كل ذي فضل فضله) ثمرة مترتبة على قوله : (ثم توبوا إليه) ويمكن أن ترى عندهم تعبيرات أخرى ، كأن يقولوا : (يمــتعكم . ..) أي : في الدنيا و (يؤت . . .) أي : في الآخرة ([٢]) و كل هذا ممــا يقوي أن الآية من اللف والنشر المرتب ،وأصل الكــلام وأن اســتغفروا ربكم يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ثم توبوا إليه يــؤت كــل ذي فضل فضله .

علاقة الأسلوب بالسياق

([١]) ينظر الشهاب على البيضاوي ٥/ ٧٠ ، روح المعاني ١٩٥/٦ .

([٢]) ينظر الكشاف ٢٥٨/٢ ، البيضاوي ٣٣/٣ ، مفاتيح الغيب ٣١٦/٦ ، القرطبي ٥/٩ فــتح القدير ٢/ ٦١٣ .

جاء الأسلوب تفصيلا لقوله : ـــ تعالى ـــ (إنني لكم منه نـــذير وبشير) (هود / ٢) وقدم البشارة على النذارة على عكس ما جـــاء في الآية (نذير وبشير) إظهارا لرحمة الله عباده ،فإن رحمته غلبت غـــضبه ، ولما في البدء بالبشارة من استمالة القلوب إلى الخير ، ثم إن الآيـــة محـــل الشاهد كالتفصيل لقوله : (إنني لكم منه نذير وبشير) التقاء مع مطلـــع السورة الكريمة ، التي وصفت الكتاب بالإحكام ثم التفصيل ، كمـــا أن مجيئ الآية على نهج اللف والنشر فيه نظر لمطلعها ، إذ جاء كذلك علـــى نهج اللف والنشر كما سبق بيانه .

وقد ذكر البقاعي أن الآية محل الشاهد أحد الفصول الثلاثة التي عليها مدار الكتاب ،وذلك في كلامه عقب الآية الأولى : " ثم أتبع هـــذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة عليها مدار آي الكتاب ،وهـــي فـــصل الإلهيـــة ،وفصل الرسالة ،وفصل التكاليف ، أمـــا الأول فأشـــار إليـــه قولـــه : (ألاتعبدوا إلا الله) (هود /٢) وأما فصل الرسالة فأشار إليه قوله: ـــــ سبحانه ـــ (إنني لكم منه نذير وبـــشير) (هـــود / ٢) وأمـــا فـــصل التكاليف فأشار إليه قوله : ـــ سبحانه ـــ (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) (هود / ٣) وهذه الفصول الثلاثة هي الـــتي تـــدور عليهـــا آي القرآن ،وعليها مدار السورة المكريمة " [1]

---

(1) نظم الدرر ٥٠٢/٣.

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح الأسلوب بـــ (أن) التفسيرية ، عطفا على الجملة السابقة (ألا تعبدوا إلا الله . . .) (هود / ٢) وتناسبا مع التفصيل المـــذكور في الجملة الأولى (ثم فصلت) وقد أعيـــدت (أن) التفـــسيرية لبيـــان أن المقصود تقسيم التفسير كما قال ابن عاشور ([١]) وقد قدم الاســـتغفار ؛ لأنه سبب في الخير في الدنيا ؛ ليناسب خطاب المـــشركين النـــاظرين إلى كسب عاجل ؛ لذا جاء المفعول به (ربكم) ولم يقل : إلهكم ؛ إيذانا بأن الاستغفار حق الربوبية ، الذي يترتب عليه الإنعام في الدنيا .

ثم عطف علي الأمر الأول قوله : (ثم توبوا إليه) وجاء العطف بثم ، لا لتراخي الوقت ، و لكن لتراخي الرتبة ([٢]) ؛ تعظيما لشأن التوبة ، لأن الاستغفار أثر للتوبة ،وليست هي متراخية عنـــه ، وجـــاء النـــشر مجزوما لوقوعه جوابا للطلب ،وفيه تأكيد لحصول الثواب ،وأكد علـــى حصول ثواب الدنيا بالمفعول المطلق (متاعا) ووصفه بما يؤكد حـــصول المتعة التامة (حسنا) ثم جاء بهذا القيد (إلى أجل مسمى) لبيان أن لـــه أمدا ليترتب على التوبة ما لاأمد له ، فحصل بذلك الخير كله .

([١]) التحرير و التنوير ١١ / ٣١٧ .

([٢]) ينظر الشهاب على البيضاوي ٦٩/٥ ، نظـــم الـــدرر ٤٩٩/٣ ، روح المعـــاني ١٩٤/٦ ، التحرير و التنوير ٣١٧/١١ .

وقد عبر بقوله : (ويؤت كل ذي فضل فضله) ولم يقل : يؤت كل ذي عمل عمله ؛ حثا على التسارع إلى الخير ،وعدم الاقتصار على الفرائض والمسارعة إلى النوافل ،وجاء المفعول من جنس العمل (فضله) عطاء من الكريم للمتنفلين ،فالحسنة بعشر أمثالها ، فالفضل الأول الزيادة في فعل التكاليف ،والفضل الثاني : الزيادة في الخير ، وقد ذكروا أسرارا للترتيب أحسنها " أن الاستغفار طلب من الله لإزالة ما لا ينبغي ،والتوبة سعي من الإنسان في إزالة ما لا ينبغي ([1]) وجاء الأسلوب على نهج اللف و النشر ؛ كشفا عن الترابط القوي بين العملين : الاستغفار والتوبة ،والجزاءين : التمتيع ، والإيتاء وقد جاء كذلك أيضا لبيان أنه لا يمكن فصل أي منهما عن الآخر لمن تأمل وتدبر .

٧ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾(الإسراء / ٢٩)

عد السيوطي ــ رحمه الله ــ الآية من اللف والنشر المرتب فـ (ملوما) راجع إلى البخل المعبر عنه بأسلوب الاستعارة (ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك) و (محسورا) راجع إلى الإسراف المعبر عنه بأسلوب

([1]) مفاتيح الغيب ٦/ ٣١٥ .

الاستعارة ([1]) وقال ابن عاشور : قوله (فتقعد ملوما محسورا) جواب لكلا النهيين على التوزيع بطريقة النشر المرتب ([2]) وقد جعله بعض المحدثين من اللف والنشر غير المرتب مع أنه نقل كلام السيوطي دون أن يضيف إليه شيئا ([3]) و إجراء الآية على اللف والنشر لا يمنعه عدم إجراء كثير من المفسرين لها على ذلك .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقع الأسلوب في سورة الإسراء ،وتراكيب هذه السورة تتظاهر على بيان مقصودها ،وهو الإقبال على الله ــ وحده ــ كما البقاعي ([4]) وجاء الحديث عن اليهود في صدرها ،وهم أشد الناس بخلا ، كما وصفهم الذكر الحكيم في غير موطن ([5]) وحسبك أنهم باعوا الكتاب لقاء ثمن قليل ،وحرفوا وبدلوا ؛ طلبا للدنيا ، وهذا أشد البخل وأقبحه ، ومما تفردت به هذه السورة قوله : ــ تعالى ــ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء / ١٦) وقوله : (ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان

([1]) ينظر الإتقان ٩٣/٢ ، تفسير الجلالين ٣٢٥/٢ ، ألوان من البديع ١١٠ د/ عبد الله عليوة

([2]) التحرير و التنوير ١٥ / ٨٥

([3]) ينظر فن البديع ٧٢ د/ عبد القادر حسين .

([4]) نظم الدرر ٣٢٧/٤ .

([5]) يستظهر في المصحف الشريف البقرة ٧٩ ، ٩٦ ، آل عمران ١٨١ ، ١٨٧ ، المائدة ٦٤ .

الشياطين . . .) (الإسراء / ٢٦،٢٧) فالسياق تحدث عن الصنفين ــ البخلاء والمسرفين ــ والفرق بين البخل والإسراف يلتبس بيانه عند بعض الناس ؛ لأن هوى النفس مع المال والشهوة ؛ لذا تتبع سبل غير مباشرة ، ليثبت كل من الطرفين أنه على الحق ؛ ويناسب الحديث عن مثل هذا الأمر أسلوب اللف والنشر ؛ إشارة إلى التروي والتأني لاختيار الطريق الوسط ،وصور ذلك بأسلوب الاستعارة ؛ زيادة في التوكيد وتقوية في البيان ؛ لأن موقع الأسلوب يدل على أنه بمثابة التلخيص لما مضى بيانه من أمر البذل والإنفاق ، قال البقاعي : " ولما أمر بالجود الذي هو لازم الكرم نهى عن البخل الذي هو لازم اللوم في سياق ينفر منه ، ومن الإسراف ، فقال ممثلا لهما ، بادئا بمثال الشح (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . . " ([1]) وقد ذكر ابن عاشور أن الآية الكريمة " عود إلى بيان التبذير والشح " ([2])

من أسرار نظم الأسلوب

بدأ الأسلوب بوصف الشح والبخل أولا ؛ لأن تعلق النفس بحب المال أشد ،وهو أقرب إلى هواها ، فبدأ بالأولى تشديدا في النهي عنه ، وقوى ذلك وأكده بعرضه بأسلوب الاستعارة التمثيلية التي صورت لنا

([1]) نظم الدرر ٣٧٧/٤ .

([2]) التحرير و التنوير ١٥ / ٨٤ .

الشحيح غالا يده إلى عنقه ، وهي أبشع حالات الضعف والذلة والمهانـــة ،وذلك على تخييل اليد مصدرا للبذل والعطاء ، فمـــن عـــادة العـــرب التمثيل باليد في القوة ، ثم انظر إلى رقي البيان القرآني حين يثبـــت هـــذا القيد (إلى عنقك) وكان يمكن أن يقال : إلى إبطك ، أو إلى صـــدرك ، ولكن التعبير بهذا القيد يصور لنا البخيل في غاية المهانة والذلة ، ألا ترى بالتصوير اليد قيدا على ما به الرفعة والأنفة ،وهو تبشيع للبخيل ما بعده تبشيع ، وحسبك أن تنقل صورته في العقل ،والمال يملكه ، ولا يملك هو المال ! إنه تصوير نادر ، وكأني به يسير في الطريق يضع يده على عنقه ، فلا يملك تصرفا ، ولا يستطيع سيرا بعزة ولاشرف ، وقد أعقبها مباشرة بصورة مناقضة لهذه الصورة (ولا تبسطها كل البسط) لتتخيل بها رجلا يسير في الطريق مادا ذراعه أقصى ما يكون المـــد ، ألا تراهـــا صـــورة مستبشعة لا يصدر عن عاقل أن يتلبس بها ! !

ومن بدائع الذكر الحكيم أن اصطفى أسلوب اللف بيانا لـــذلك ليأتي بالصورتين متتابعتين ، لبيان بشاعة كل منهما في آن واحـــد ، لـــذا ترى هذا الجلال ، وتلك القوة في التصوير تنطفئ لو فرق بينهما ، وقيل : و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك فتقعد ملوما ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد محسورا ، لكن الذكر الحكيم أراد أن يبين أن البشاعة شأن كـــل واحد منهما ، وأن الحالين غير مقبولين أبدا ، ثم جاء بالنشر على ترتيـــب اللف جمعا للعاقبة في طرف واحد ، كما جمع التبشيع في طرف واحـــد ؛

لأن الذكر الحكيم يريد بذلك الإشارة إلى الإقلاع عنهما ، ولـــو جـــاء مفرقا لظن معه أن المراد الإقلاع عن واحدة ، ثم الأخرى وجـــاء مرتبـــا للاهتمام بالنهي عن أبشع الصورتين ، كما أن أسلوب اللف والنشر يبرز أن لكل من البخل والإسراف عاقبة ظاهرة يتوصل كل واحد إليها بنفسه ، مادام عنده مسكة من عقل ، وفي عرض هذين المسلكين بأسلوب مبني على الثقة في المخاطب تسفيه لكل من يرتكب هذا المرتكب،كمـــا أن في أسلوب اللف والنشر تبشيعا للحالتين معـــا ، ومـــدحا للحالـــة الـــتي تتوسطهما ،وهي القصد في كل ، ولايـــتأتى ذلك إلا بعرضهما بأسلوب اللف والنشر والطباق ، فبضدها تتميز الأشياء .

٨ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ (النور/ ١٤)

صرح الشهاب الخفاجي ،وتابعه الآلوسي بأن في النظم لفا ونشرا مرتبا ، فاللف قوله : (فضل الله عليكم و رحمته) والنشر قولـــه : (في الدنيا والآخرة) ، فقوله : (في الدنيا) راجع لقوله:(فضل الله عليكم) وقوله : (في الآخرة) راجع لقوله : (ورحمته) ([1]) وقد أرجع السابقون كل طرف إلى ماله دون تصريح بأن في النظم لفا ونشرا ، فيبقى للشهاب

([1]) ينظر الشهاب على البيضاوي ٣٦٤/٦ ، روح المعاني ٩/ ٣١٥ ، مع النظم القرآني في سورة النور ٦٤ د/ الشحات أبو ستيت ، ط الأمانة ١٤٠٧هـــ .

التصريح بالأسلوب ، أما التأويل فقد سبق إليه الزمخشري ، و تابعه من بعده من المفسرين ([1]) فالآية من اللف والنشر المرتب على أن الفضل في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ، ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقع الأسلوب في سياق حادثة الإفك مقالا ومقاما ، وقد وقع في الإفك من أعيان الصحابة من وقع — رضوان الله عليهم أجمعين — وجاء الأسلوب مناسبا حال الاختلاط التي سادت أهل المدينة وقت الحادثة ، والتي تم تناقل الحديث فيها دون أبى تفكر ولاترو ، ولو تفكروا قدر التأمل في أسلوب اللف والنشر من رد مالكل إليه لما وقعوا فيما وقعوا فيه ، ويصور هذه الحالة من عدم التفكر السياق اللاحق للآية الكريمة (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (النور / ١٥) فقد عكس التركيب حالة عدم التفكر ؛ لذا لم يقل : إذ تلقونه بآذانكم ، وتقولون بألسنتكم ،وهذا يعني أن الحديث ما إن يلقى إلى رجل إلا وينقله لغيره بسرعة عجيبة صورها القرآن حين جعل التلقي باللسان لا بالجنان ، وكأنه لا زمن بين السماع

([1]) ينظر الكشاف ٦٥/٣ ، البيضاوي ٤١٨/٣ ، مفاتيح الغيب ٣٤٢/٨ ، إرشاد العقل السليم ٩٩/٤ ، تفسير الخازن ٤١٥/٤ ، السراج المنير للخطيب الشربيني ٦٠٨/٢

والأداء ، وقد جاء أسلوب اللف والنشر موجزا بأبلغ تركيب ؛بـــشارة للتائبين،حيث جمع الرحمة في جانب ، وعمومها الزمان في الجانب الآخر .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح الأسلوب بـــ (لولا) وهي بشارة من أول الأمر ، لأنهـــا تعني أن ما بعدها منع وقوع جوابها ، والجواب (لمسكم فيما أفضتم فيـــه عذاب عظيم) فالأسلوب متجه إلى البشارة للتائبين ، وجاء المسند إليـــه (فضل الله) بإضافته إلى أهيب أسماء الله ـــ جل وعلا ـــ إلماعا إلى أنـــه فضل لايقدر عليه أحد فهو فضل متفرد لصدوره من متفـــرده ، لـــذا لم يضف إلى اسم آخر ،وقد وقع هذا القيد (عليكم) زيادة في البـــشارة ؛ لأن الإقبال عليهم بالخطاب إيذان لهم بالقبول ، ثم عطف المسند إليه قوله : (ورحمته) تعظيما لقدر هذه الرحمة ، فهي رحمة متفردة لإضـــافتها إلى ضمير يعود على الاسم العلم (الله) وفي الجمع بينهما إظهار للامتنـــان ، وإعلاء للبشارة ، وكل ذلك مناسب لسياق الحال آنئذ ، فقـــد أحـــس الواقعون من الصحابة بعظم الذنب ، فقد أعظموا الفريـــة علـــى بيـــت النبوة، وذلك عندهم أكبر الذنب وأعظم الجرم ، فكانوا كاليائسين مـــن رحمة الله، فتظاهر التركيب على الإعلاء من شأن البشارة ؛دفعا ليئسهم ؛ وجذبا لهم إلى حظيرة مولاهم ، ولو فرق بين أجزاء اللف لما كان لهـــذا الكرم أن يظهر ، ولطال الكلام ؛ لأن التفريق يطيـــل الكـــلام ، ثم إن

تركيب الأسلوب على اللف والنشر لايمنع من إيقاع الفضل والرحمة على كليهما في الدنيا والآخرة ، وهذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين .

وقد جاء النشر على ترتيب اللف ؛ تناسبا مع السياق حيث إنه بالترتيب يبشره بإصلاح دنياهم ، وفي البشارة بإصلاح دنياهم تلميح لإصلاح أخراهم ، فيأتي التصريح ليؤكد التلميح ، وفي ذلك كله تعظيم لشان البشارة ، ثم جاء جواب لولا بما فيه من دفع وقوع العذاب بالفضل الأعظم (لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) وقوله : (فيما أفضتم فيه) كشف عن عظم الجرم ، الذي يدل بالعفو عنه على جليل الفضل ، وجزيل العطاء ، لذا لم يقل مسكم فيما قلتموه ، وهكذا يتظاهر الأسلوب على بيان واسع الرحمة ، و عظيم الفضل ، وجلال العفو ، لما للمخاطبين به من شرف الصحبة ، وفضل السبق .

٩ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ (الفرقان/ ٢١:٢٣)

نقل الآلوسي أن في الآيات لفا ونشرا وذلك أن (يوم) في قوله : ــ تعالى ــ (يوم يرون الملائكة) " يمكن أن يكون منصوبا بـيترل

مضمرا لقولهم (لولا أنزل علينا الملائكة) كأنه قيل : يترل الملائكة يـــوم يرونهم ، ولايقال : كيف يكون وقت الرؤية وقتا للإنزال ، لأنا نقـــول : الظرف يحتمل ذلك لسعته ، واستحسنه الطيبي ، فقال : هو قول لامزيد عليه ؛ لأنه إذا انتصب بـــ (يترل) يلتئم الكلامان ؛ لأن قوله : ـــ تعالى ـــ (يوم يرون الملائكة . . .) نشر لقوله : ـــ تعالى ـــ (لولا أنزل علينا الملائكة . . .) وقوله : ـــ سبحانه ـــ (وقدمنا) نشر لقوله : ـــ عـــز وجل ـــ (أو نرى ربنا " ([1])

وقد طالعت تفاسير عدة ، فلم أجد هذا ، اللهم إلا ما رأيته من نص المفسرين على أن قوله : (يوم يرون . . .) جواب عـــن مقالتـــهم (لولا أنزل علينا الملائكة . . .) ([2]) ولم ينص أحد ممن قرأت لهم على أن قوله : ـــ تعالى ـــ (وقدمنا . . .) جواب لقولهم : (أو نرى ربنا) غير أن ماذكره الطيبي ونقله الآلوسي وجه جيد ؛ لأن من الواضح أن قوله : ـــ تعالى ـــ (وقدمنا إلى ماعملوا من عمل . . .) رد بليغ لمطلبهم (أو نرى ربنا) فقد طلبوا مطلبين ، وأجيبوا عنهما بجوابين على وجه الترتيب ، فيكون الأسلوب لفا ونشرا مرتبا .

([1]) روح المعاني ٦/١٠ .

([2]) ينظر المحرر الوجيز ٢٠٦/٤، نظم الدرر ٥/ ٣١٠ ، مفاتيح الغيب ٨/ ٤٤٩ ، إرشاد العقل السليم ١٦٩/٤ ، التحرير و التنوير ٦/١٩ .

علاقة الأسلوب بالسياق

الآية الكريمة وردت في سياق سورة الفرقان ، وقـــد تظـــاهرت السورة الكريمة على سرد شبهات المشركين ، ودحضها حـــول القـــرآن والرسول ــ ﷺ ــ وكانت الآيات موضع الأسلوب هـــي الـــشبهة الرابعة لمنكري النبوة ،وقد تكررت هذه الشبهة في غير موضع من الذكر الحكيم ،وقد جاءت هذه الشبهة معطوفة على الشبهة الثالثة (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام . . .) (الفرقان / ٨) كما قال أبو الـــسعود [١] وقد حكاها الذكر الحكيم بأسلوب اللف ، ونشر الرد عليها ؛ دفعا لها مرة واحدة ؛ وتنبيها على أنها لم تكن شبهات حقيقية ، وإنمـــا كانـــت شبهات باطلة ؛ لذا أوردها ملفوفة ، ولم يوردها مفرقة؛لتقارب المطلبين ، وتقارب ما يترتب على إجابتهما ؛ لذا كان أسلوب اللف والنشر ألصق بالسياق والغرض .

من أسرار نظم الأسلوب

إسناد القول إلى الاسم الموصول اقتضى صلة دلت على بطـــلان القول قبل إيراده ، كما نبهت الصلة على موضع الـــشبهة (لا يرجـــون

---

[١] ينظر إرشاد العقل السليم ٤/ ١٦٩ .

لقاءنا) فدلت الصلة على أن المطلوب سيكون لقاء قبل الإيمان باللقاء الأكبر ؛ لذا لم يقل : وقال الكافرون ، أو المشركون أو الظالمون ،وقد جاء مطلبهم بـ (لولا) دلالة على ما يظنون من أن لهم عذرا في عدم الإيمان ، وأنه لو تحقق مطلبهم لآمنوا ،وقد جاء جواب لولا محذوفا للعلم به ؛ إشباعا لما يتظاهرون به من تمام استعدادهم لقبول الإيمان ، لكن الإشكال ليس فيهم ،وإنما في التقصير في طريقة الدعوة ، أما هم فعلى استعداد تام ،وقد تبصر ذلك في هذه الإضافة (أو نرى ربنا) فلم يقولوا : أو نرى ربك ،وهو لي لعنق الحق ، وقد بدأ الجزء الأول من اللف بقوله : (لولا أنزل علينا الملائكة) للكشف عن محاولتهم إظهار التجرد لقبول الحق ؛ لذا بدؤوا بالمطلب الأدنى ، وثنوا بالأعلى ، صنيع طالب الحق ، فالمشكلة كلها في نوع الواسطة (الرسول) بينهم وبين رهم ، فالواسطة منهم : يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . . .

وفي مجيئ الأسلوب على اللف إيجاز بليغ حيث جمع الحجج في جانب ،وجمع الرد عليها في الجانب الآخر ؛ مجابهة لما يتظاهرون به من تجردهم لقبول الحق لو أجيب مطلبهم الذي يقنعهم ،ومن أبلغ رد لمثل ذلك عدم معاجلتهم برد شبهة ؛ لذا سبق النشر بهذه الجملة (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) وهل من كان وصفه كذلك يستحق الرد ، وهو وصف لم يقع بهذا النمط من التركيب في الذكر

الحكيم في غير هذا الموضع ،ومع ذلك ورد الرد عليهم ؛ تنبيها على عدم ترك حجة تحتج مهما كانت صفته ، ومهما كان غرضه .

وقد جاء النشر على ترتيب اللف ؛ ترقيا من الأدنى إلى الأعلى في الرد على طريق التهديد والوعيد ، ولم يكن الرد ردا بنمط معتاد ؛ فالمعتاد أن يقال : سنتزل الملائكة عليكم يوم الحساب ويوم ترون . . . ولكنه جاء موجزا بليغا معاجلة بالوعيد والتهديد ، والمذكور آكد في الجواب من الجواب وألذع في الرد من الرد ؛ لذا كشف عن حالهم وقت الرؤية (لابشرى يومئذ للمجرمين) الذي يعبر عنها بقولهم : (حجرا محجورا) وهي كلمة كان العرب يتكلمون بها عند لقاء موتور ، أو هجوم نازلة ،وهذه كناية عن هول ما يحدث لهم عند نزول الملائكة ، فبدل أن يذكر الهول ذكر ما يلازم هذا الهول من السمت (لا بشرى) والقول (حجرا محجورا) وهذا تأكيد على شدة ما يحصل لهم من الهول.

وقد جاء الرد الثاني على نهج الأول ؛ توفرا على ما يلازم وجود الرد من الأهوال ، فجاء على سبيل الاستعارة التمثيلية (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي : أنكم لا ترون ربكم ، وإنما سترون عذابه ، وأنه سيقدم على عملكم قدوم العائد من سفر فوجد قومه على غير ما عهد إليهم به فدمرهم تدميرا ، كما أن القدوم إلى العمل يكشف عن شدة ما يترل بهم ، ويلجئهم إلى ما ظنوه صالح عمل

يلوذون به من هول الفاجعة ، فإذا به هباء منثور ، وقد جاء النشر على نهج التهديد والوعيد ؛ تناسبا مع مقالاتهم التي تبدي تجردا لقبول الحق ، لولا عدم إجابة مطالبهم ،ولأنهم صناديد البيان ، وأرباب البلاغة جاء الأسلوب على نهج اللف والنشر ؛ ثقة بأنهم سيعينون لكل مطلب رده ، ولا أدل على وضوح الحق من إيراده بهذا الأسلوب .

١٠ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾(القصص /٧٣)

الآية الكريمة هي الشاهد العلم على هذا الأسلوب في كتب البلاغة قديما وحديثا ([١]) وعلى الرغم من ذلك لا نجد في هذه الكتب ما

([١]) ينظر الكشاف ١٧٧/٣ ، الشهاب على البيضاوي ٨٥/٧ ، زادة على البيضاوي ٥٢١/٣ ،روح المعاني ٣١٥/١٠ ، التحرير والتنوير١٧١/٢٠ ، مجاز القرآن ١١٠/٢ ، الكامل للمبرد ٧٥/١ ، الصاحبي ٤١٠ ، العمدة لابن رشيق ١٧/٢ ، نهاية الإيجاز للرازي ٢٨٩ ، مفتاح العلوم للسكاكي ٤٢٥ ، تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ١٧٩ وبديع القرآن له ٧٣،٧٤ ، المصباح لابن مالك ٢٤٦ ، التبيان للطيبي ٣٩٩ ، الطراز للعلوي ٤٠٤/٢ ، المنزع البديع ٣٤٥ ، شرح التلخيص للبابرتي ٦٣١ ، خزانة الأدب لابن حجة ١٤٩/١ ، الإيضاح ٢٩/٤ ، الإتقان ٩٣/٢ ، التحبير في علم التفسير ١٣٦ ، شرح عقود الجمان ٢١٨ ، حاشية المنياوي ١٦٧ ، حسن الصنيع ١٧٥ ، المطول ٤٢٦ ، الأطول ١٩٧/٢ خزانة الأدب للبغدادي ٥٠٢/٧ ، الأصول الوافية ٢٠٨ ، فيض الفتاح ٢٧٧/٣ ، التلخيص وشروحه ٣٣٠/٤ وما بعدها ، الصبغ البديعي ٣٢ ، ٤٨١ ، علوم البلاغة ٣٣٠ ، علم البديع ١٧٦ ، معجم المصطلحات البلاغية د / مطلوب ٥٢٥ ، معجم البلاغة العربية د / طبانة ٣٩٢ ، المفصل في

يشفي الغلة في استكشاف أسرار الأسلوب ،وقد ترى في هذه المواضع ما يوهم استيفاء أسرار اللف والنشر في الآية من مثل قول العلـــوي : " ولم يقل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ،والنهار لتبتغوا من فضله ؛ إيثارا لمـــا يظهر في اللف بعده النشر من البلاغة وحسن التأليف " ([1]) وما ذكـــره البغدادي من أنه " خلط الكلام اكتفاء بمعرفة المخاطبين بوقت الـــسكون من وقت الابتغاء " ([2]) وما قاله الأول كلام عام ، وما قاله الثـــاني هـــو كائن في كل أسلوب لف ونشر .

وقد تقرأ عند المحدثين والمعاصرين أن " ذكر الليل والنهار علـــى هذا الوجه مما يهيئ النفوس ،ويعدها لتلقي الفائدة ، فإذا ذكرت الفائـــدة على هذا الوجه تم الغرض ،واستقام المراد ، فأسلوب اللف والنشر مـــن البلاغة في الصميم ؛ لأنه مما يقتضيه المقام " ([3]) فما هذا المقـــام الـــذي اقتضاه ؟ وما ذكر أيضا هو وراء كل أسلوب ؛ لما ذكرناه من أن هـــذا الأسلوب يكتنز الإثارة والتشويق ويهيئ النفس لتلقي المعنى ، وقد تقـــرأ بعض الوقفات عند الآية من مثل : " وقد شارك الطباق بين : لتـــسكنوا

علوم البلاغة للعاكوب ٥٧٨ ، دراسات تطبيقية في علم البديع د/ فتحي فريد ٧١ ، ألوان مـــن البديع د/ عليوة ١٠٩

([1]) الطراز ٤٠٤/٢ ، ٤٠٥ .

([2]) خزانة الأدب للبغدادي ٥٠٢/٧ تحقيق عبد السلام هارون نشر الخانجي ١٤١٦هـ .

([3]) الصبغ البديعي ٤٨٠ ، ٤٨١ .

،ولتبتغوا ، مع هذا اللون في إحداث ما ترى من بيـــان وإبـــداع ([1]) ولم يخرج في شرحه البيان والإبداع عما قاله د/ أحمد موسى ، وذكرنا أن ما قيل يقال في كل أسلوب ، و يشتغل ابن أبي الأصبع ببيان فضل استخدام لتبتغوا بدل لتتحركوا ؛ لما في التعبير الأول من تمحـــيض المـــصلحة دون المفسدة على العكس مما يدل عليه الثاني من العموم ،وتحـــدث عـــن لام التعليل في (لتبتغوا) و (من) في قوله : (ومن رحمته) ([2]) وهو كـــلام جيد ممتع غير أنه لا يكفي في بيان أسرار الأسلوب .

وينبغي التأكيد هنا على أن الآية من اللف والنشر ، فقد اعترض بعض البلاغيين على جعل الآية من قبيل اللف والنشر ؛ وذلك لـــضرورة انتفاء التعيين في الأسلوب ،وقد ورد في الآية ما يعين ، وذلك أن الضمير المجرور في قوله : (ولتسكنوا فيه) راجع إلى الليل على التعيين ، وأجيب على ذلك بأن " الضمير يحتمل أن يعود إلى كل من الليل و النـــهار "([3]) وما أحسن قول العصام في هذا المقام " ولا يلزم من جعل ضمير (فيـــه) إلى الليل تعيين السكون له ؛ لأنه لا تعيين إلا كونه ظرفا للـــسكون ، ولا يلزم من ذلك كونه فائدة خلق الليل ،لجواز أن يكون السكون في الليـــل من فوائد وجود النهار ،وابتغاء الفضل في النهار من فوائد وجود الليـــل،

([1]) دراسات تطبيقية في علم البديع ٧١ د/ فتحي فريد .

([2]) تحرير التحبير ١٧٩، ١٨٠ .

([3]) ينظر عروس الأفراح ٤/٣٣٠ .

واللف والنشر هنا باعتبار فائدة الخلق إلى الخلق ، لا باعتبار رد المظروف إلى الظرف ، إذ هو بهذا الاعتبار تقسيم . . . والفائدة المتعلقة بالليل وبالنهار أغلبية ، وليست كلية ، حيث لا يلزم من كون خلق الليل للسكون أن يجب فيه السكون شرعا ، إذ لا يجوز مخالفة ما أراد الله ؛ لأنه لبيان معظم فائدته ، وأغلب ما يتعلق به ، وهكذا : ولتبتغوا من فضله " ([1]) وإذا تجاوزنا الدراسات البلاغية قديما وحديثا إلى السادة المفسرين فإننا نجدهم ينصون على أن الآية من اللف والنشر ، ثم يرجعون كل طرف في النشر إلى صاحبه في اللف دون بيان للأسرار ، والآية عند من اطلعت على كتبهم من اللف والنشر المرتب كما تدل تأويلاتهم ([2]) عدا ما رأيته عند ابن عاشور من أنها من اللف والنشر المعكوس([3])

علاقة الأسلوب بالسياق

للزمخشري ــ رحمه الله ــ كلمة كاشفة عن ارتباط الأسلوب بالسياق ، حيث قال : " وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف والنشر في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شئ أجلب لغضب الله من

([1]) الأطول للعصام ١٩٧/٢ .

([2]) ينظر الكشاف ١٧٧/٣ ، البيضاوي ٥٢١/٣ ، وزادة عليه ، والشهاب على البيضاوي ٨٥/٧ ، روح المعاني للآلوسي ٣١٥/١٠ .

([3]) التحرير و التنوير ١٧١/٢٠ .

الإشراك به ، كما لاشئ أدخل في مرضاته من توحيده ([1]) وهو كلام من أبصر السياق بشقيه (الحالي والمقالي) فالسورة الكريمة هي السورة التاسعة والأربعون نزولا ،وهي من أواسط ما نزل بمكة ، و تلك مرحلة جدل ومراء ، ومقارعة للمشركين بالحجة ،وقد كان البقاعي بصيرا حين قرر أن مقصود السورة " التواضع المستلزم لرد الأمر كله إليه الناشئ عن الإيمان بالآخرة الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد ــ ﷺ "([2])

والسياق عندما يتحدر بذكر حجج متتابعة تثبت التوحيد والتفرد بالإنعام تدل على ما عليه المخاطبون من العناد والمكابرة ،وما ذكره الزمخشري من أن الآية جاءت على طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ناظر إلى السياق الذي وردت فيه الآية ، فقد أحاط بالآية من يديها ومن خلفها سياق يتظاهر على التقريع والتوبيخ على اتخاذ الشركاء (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) (القصص /٦٢) ثم يتحدث عن تبرؤ شركائهم منهم (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) (٦٣) (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم (٦٤) (سبحان الله وتعالى عما يشركون) (٦٨) (وهو الله لا إله إلا هو) (٧٠) ثم تتابع الاستفهامات التقريرية والتوبيخية (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير

([1]) الكشاف ١٧٧/٣ .

([2]) نظم الدرر ٤٦٠/٥ .

الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله علـــيكم النـــهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تـــسكنون فيـــه أفـــلا تبصرون) (القصص ٧١،٧٢)

وأنت تبصر أن السياق هنا يستخدم الليل والنهار قطب مدار في محاورة المشركين ،وهو الملائم لحالهم التي عليها حيث يجسد الليل معـــنى الشرك والحال التي يراد لهم الرجوع إليها حيث يجسد النهار الإيمـــان ، كما تقرره استعمالات الذكر الحكيم (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم مـــن الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات . . .) (البقرة / ٢٥٧) وقد سبقت الآية محل الـــشاهد بآيتين انفردت أولاهما بذكر الليل ، والثانية بذكر النهار ، وقد وضـــحتا أن الضياء للنهار ، وأن السكن لليل ، فجاءت الآية محل الشاهد علـــى طريقة اللف والنشر إجمالا لما مضى ، ونظمت في سلك اللف والنـــشر؛ إلماعا إلى الرجوع مرة ثانية إلى ما قبلها للاستعانة على تعيين مـــا لكـــل طرف ، وفي هذه المراجعة وإعادة التأمل تكرير لتوبيخ المشركين ،وحمـــل لهم على التروي ومراجعة الدليل ، فوق أن الأسلوب بما فيه من تقـــديم وتأخير يشبه حالهم في التخبط من نسبة الأشياء إلى غير ما هي له ، أظنك الآن معي في أن النظم لو جاء : ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار لتبتغوا من فضله ، لما احتاج النظم إلى ذلك القدر من التأمل ، مراجعة السياق السابق ، كما أن النظم لو جاء كذلك لما كـــان للآيـــة

فضل على ما ذكر ته صاحبتاه السابقتان عليها (٧١،٧٢) فأسـلوب اللف والنشر هنا يجعل النفس تحار عند أول النظر،ولا تهتدي لنسبة كـل طرف إلى ماله إلا بعد تأمل ، وهو إيحاء لمشركي العرب بالمراجعة ، ولـو قدر ما يحتاجه هذا الأسلوب من إعادة النظر ، وهم أهل البيان ،وأرباب الفصاحة .

كما لا يفوتك أن تذكر هنا أن القصص وقعت بعد سورة النمل نزولا وترتيبا في المصحف ، وكأنها امتداد لها في توبيخ المـشركين علـى اتخاذ الشركاء ، ولك أن تبصر هذه الأشباه في القصص (من إله غير الله يأتيكم بضياء) (٧١) (من إله غير الله يأتيكم بليل تـسكنون فيـه) (٧٢) وفي النمل ترى تكرار هذا الاستفهام بما نظير له في الذكر الحكيم (أإله) في سياق الامتنان ،وقد ورد هذا الاسـتفهام خمـس مـرات في الآيات من (٦٠:٦٤) والبديع أنك لا ترى ذكر الليل والنهار ضمن ما ذكر ([1]) ولكن وردت آية متقاربة مع الآية محل الشاهد في سورة النمـل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيـات لقوم يؤمنون) (النمل / ٨٦) والمناسب لسياق سورة النمل مجيئ الآية على غير نهج اللف والنشر ؛ لأنها لم تسبق بما سبقت به آية القـصص ، وقد تفردت آية القصص في الذكر الحكيم كله بمجيئها على طريق اللف والنشر لمرتب ، فقد ورد الحديث عن الليل والنهار ،وفائدتهما في سـورة

([1]) يستظهر في المصحف الشريف سورة النمل ٦٠:٦٤ .

النمل ، كما مضى بيانه ، وموضعين آخرين (وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) (يـــونس /٦٧) و (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبـــصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يـــشكرون) (غـــافر /٦١) وكل ذلك في السور الكريمة ، فالنمل هي الثامنة والأربعـــون نـــزولا، وسورة يونس هي الواحدة و الخمسون نزولا ، وغافر هي الستون نزولا ، ونلحظ أنها كلها متقاربة في النزول ، غير أن آيات : يـــونس والنمـــل وغافر ، لم تسبق بالحديث عن الليل وفائدته ، و النهار وفائدتـــه ، كمـــا حدث في آية القصص غير أنهن جميعا سبقن بمحاورة للمشركين على نحو يلائم سياق كل سورة ، ومن هنا ندرك سر ورود الآية في هذه الـــسور، واختصاص آية القصص بمجيئها على لاحب اللف والنشر .

من أسرار نظم الأسلوب

أول ما يلقانا في نظم الآية افتتاحها بقوله : (ومن رحمته) وقد " قدم المجرور على عامله للاهتمام بمنة الرحمة " ([1]) وحين ننظر إلى نظـــائر الآية الكريمة في يونس والنمل وغافر لانرى فيها هذه الكلمـــات الـــتي ترشد إلى قدر هذه النعمة ،وقد جاءت هذه الكلمات تجاوبا مع السياق ، فلم يرد في الذكر الحكيم كله شبيه بالآيتين السابقتين على الآية الكريمـــة

([1]) التحرير و التنوير ١٧١/٢٠ .

(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) (القصص ٧١،٧٢) وقد كشفت هاتان الآيتان عن قدر رحمة الله بعباده ، فكأن التعبير بقوله : (ومن رحمته) جاء تصريحا لما أفهمته الآيتان السابقتان ، وفيه ما فيه من التوكيد على هاتين النعمتين، أضف إلى ذلك ما ذكره ابن أبي الأصبع من حديثه عن (من) في (ومن رحمته) وأنها للتبعيض بما يدل على سعة رحمة الله ، فهذه النعمة على جلالها هي بعض من رحمته ، ومن جمال النظم أيضا ما نراه من تقديم الجار والمجرور على المفعول به (لكم) وفيه من تقريع المشركين ما فيه ، فكيف يقصدون بالإنعام ، ويردون بالكفران ، وربما تبصر وراء تقديم الليل على النهار ترتيبا طبعيا لحالة النفس حيث إن العادة تجري بالراحة ؛ تمهيدا للعمل ، لا العكس ، كما نبصر شيئا آخر ، هو أن النظم بهذه الهيئة قدم الليل جبرا له ؛ لأن الإشادة بفضل النهار أعلى من الإشادة بفضل الليل عند الناس ، وربما يرشد التقديم أيضا إلى أن الليل أصل والنهار فرع عنه كما يرشد إليه قوله : ـ تعالى ـ (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) (يس/٣٧) ويكون في النظم إشارة علمية لحركة الفلك ، فتشبع رغبة مشركي العصر ، فيكون ذلك من مداخل الدعوة إلى المشركين .

ومن روائع النظم أيضا أن النشر جاء على ترتيب اللف ؛ تأكيدا للحقائق السالف ذكرها ، وذلك أن العمل بعد السكن حتى تطيق النفس الحركة والمكابدة ، وتأمل قوله : (لتسكنوا فيه) وقل : لماذا لم يقل : لتناموا فيه ؟ وذلك أن الثانية لا تعكس المعاناة التي يعكسها نظم القرآن الكريم ، ألا ترى أن في السكون دلالة على قوة الحركة بالقيد ، وشيئ آخر ، هو أن النوم جزء من السكن ، فالسكن يشمل كل أنواع الاستقرار البدني والنفسي ، فجاء الذكر الحكيم بما هو أدل وأكمل ، وأتم في إظهار النعمة ،وهو الأبر بسياق الامتنان ، ومقام مقارعة المشركين .

ولك أن تبصر وراء واو الجماعة تقريعا للمخاطبين ؛ وتوبيخا لهم على حد ما جاء في اللف (لكم) كما أنه عبر بقوله:(لتبتغوا من فضله) ولم يقل : والنهار مبصرا ، كما ورد في نظائر الآية (يونس/٦٧) النمل/٨٦ ، غافر/٦١) لأن المذكور في القصص أبلغ في إظهار الامتنان المؤذن بتفرد المنعم ، وتنزهه عن الشريك في الإنعام ، وفي ذلك يقول ابن أبي الأصبع : " وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ومفسدة ، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة . . . والآية سيقت للاعتداد بالنعم ، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان " ([1])

([1]) تحرير التحبير ١٨٠ .

وقد جاء قوله : (من فضله) متعانقا مع قوله : (من رحمته) فالتركيب متظاهر على إثبات التفرد في الإنعام ، ثم جاء ختم الآية مناسبا نظمها (لعلكم تشكرون) وقد خرجت لعل هنا من الترجي إلى التعليل " غير أن الذكر الحكيم آثرها على التعليل للإيماء بأن شكرهم إثر هذه النعمة العظيمة مما يتطرق إليه التخلف (١) وقد جاء التركيب معطوفا على ما قبله ؛ تأكيدا على أن الشكر أحد أسباب الإنعام ؛ لذا رتب الشكر على الليل والنهار وفوائدهما جميعا .

١١ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (العنكبوت / ٣٨: ٤٠)

---

(١) الترجي في آي من الذكر الحكيم ٣٢ د/ إبراهيم صلاح الهدهد مستل من حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٧م . العدد الخامس عشر .

الأسلوب عند الطاهر بن عاشور من اللف والنشر المرتب ،حيث قال : " فأما الذين أرسل عليهم حاصب فهم عاد ، والذين أخذهم الصيحة هم ثمود ،والذين خسفت بهم الأرض هو قارون وأهله . . . والذين أغرقهم فرعون وهامان ومن معهما ،وقد جاء هذا على طريقة النشر على ترتيب اللف " ([1]) والذي ذكره ابن عاشور لم يتنبه له سواه من أهل العلم ، مع أن تعديد الأقوام ،ثم إتباع ذلك بتعديد أنواع العذاب يلفت إلى ذلك ، لكنهم أرجعوا كل عذاب إلى قومه ، لكن لا على طريقة ابن عاشور ،فقد أرجعوا (حاصبا) إلى قوم لوط و(الصيحة) إلى قوم ثمود ،و (خسفنا) إلى قارون و (أغرقنا) إلى نوح وفرعون وقومه ([2]) لكن الأوجه هو ما ذهب إليه ابن عاشور ،وذلك ظاهر بالنظر في سياق السورة الكريمة ، فقد قال ربنا في قوم نوح (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) (العنكبوت / ١٤) وفي قوم لوط ، قال ربنا : (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) (العنكبوت/ ٣٤) وفي قوم شعيب ، قال ربنا : (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) (العنكبوت/ ٣٧) فقد ذكر عذاب كل قوم ،وبقي من ذكرهم على وجه اللف ، ثم ذكر عذابهم على وجه النشر ، فلا حاجة

([1]) التحرير والتنوير ٢٥١/٢٠ .

([2]) ينظر الكشاف ١٩١/٣ ، نظم الدرر ٥٥٩/٥ ، البيضاوي ١٣/٤ ، إرشاد العقل السليم ٣٣٨/٤ ، تفسير الجلالين ٢٢٢/٣ ، روح المعاني ١٠/ ٣٦٣ .

إلى إرجاع (حاصبا) إلى قوم لوط ، و(أغرقنا) إلى قوم نوح ، فبقي ما ذكره ابن عاشور هو الأعلى من إجراء الأسلوب على اللف والنشر .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب في سورة العنكبوت ،وهذه السورة تتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها الذي هو : إظهار ضعف الكافرين وقوة المؤمنين ؛ حثا على " الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " ([1]) ولا أدل على ضعف الكافرين من جمعهم في سلك واحد متتابع ، ونشر عذابهم نشرا متتابعا بيانا لضعفهم مهما علوا ،ووهنهم مهما قووا ،وهذا هو سر الجمع بين هذه الأقوام التي اشتهرت في التاريخ ،وفي القصص القرآني بقوة الأبدان وشدة الأركان ،وكثرة الأموال ، ألم يقل ربنا في هذه الأقوام : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد) (الفجر /٦: ١٠) ألم يقل ربنا في قارون : (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة . . .) (القصص / ٧٦) فلا أدل على إظهار ضعفهم ؛ تشجيعا للمؤمنين على الأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر من جمعهم ،وهم بهذه القوة ،وجمع مادهاهم على وجه التتابع، فذلك أظهر لقوة الآمر للمؤمنين بالاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وأظهر لضعف الكافرين مهما بلغوا من قوة .

([1]) نظم الدرر ٥/ ٥٣٣ .

من أسرار نظم الأسلوب

لم يرد أي من قصص هؤلاء الأقوام بهذا الأسلوب في غير هذا الموطن من الذكر الحكيم ،وقد أسلفنا أن ذلك جاء ملائما لغرض السورة ومقصودها ، كما أن إيراد قصص هؤلاء الأقوام بأسلوب اللف والنشر ؛ إشعار بظهور ذلك ووضوحه عند المخاطبين ، حيث عول في إرجاع كل نشر إلى ماله من اللف على معرفة المخاطبين ،وفيه مافيه من رميهم بالمكابرة والعناد ،فقد خوطبوا خطاب العارفين ، لا خطاب الجاهلين ،وذلك قوله : (وقد تبين لكم من مساكنهم) حيث دلت هذه الجملة على رسوخهم في معرفة ذلك ،وفي اللف اتبع الترتيب التاريخي في (وعادا وثمود) وفي (قارون وفرعون وهامان) قدم من أطغاه ماله لكثرتهم في الناس ،وأتبعه من أطغاه ملكه لكونهم أقل من الصنف الأول ، ثم أتبعه من أطغته وزارته لتبعيته للصنف الثاني ، فبني أسلوب اللف على الأطغى فالأطغى ثانيا ، وبنى على الأعرف والأشهر للمخاطبين أولا ، وهذا كله تظاهر على بيان مقصود السورة في التأكيد على ضعف الكافرين ، وذلك على الأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر أعون .

وقد جاء أسلوب النشر مفتتحا برابط دل عليه " تنوين العوض الذي لحق (كلا) . . . وأصل نسج الكلام : وعادا وثمود وقارون وفرعون . . . كلهم أخذنا بذنبه " [1] وقد جاء النشر على طريق الإجمال ثم التفصيل (فكلا أخذنا بذنبه) إجمالا لسبب الأخذ ،وقد جاء بعد ذلك

---

[1] التحرير والتنوير ٢٠/ ٢٤٨.

تفصيل لهذا الأخذ (فمنهم من أرسلنا . . .) وإنما جمع تعذيبهم في جملة واحدة أولا ، ثم أتبعه تفصيل ذلك ثانيا ؛ إظهارا لقدرته ، حيث لم يعجزه أن يجمع في التعذيب كل هؤلاء ، ثم جاء التفصيل ليظهر قدرته ــ جل وعز ــ على القهر والجبروت بالتفنن في تعذيب من عصاه ،وفي كل ذلك تطمين للمأمورين بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف .

وقد جاء النشر على وجه من البيان بديع ، حيث جاء على ترتيب اللف ؛ مراعاة للأشهر والأعرف ، ثم الأطغى فالأطغى ،ووقعت لطائف في التركيب نذكر منها : التعبير بـ (أرسلنا) في قوله : (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وفيه مافيه من قدرته على تسخير العذاب وبث الحياة فيه حيث صار رسولا ، كما أن فيه من القصد والتعمد ما يجعله أنكى بالمعذب بحق الرسالة وأمانتها ،ويؤيده التعبير بحرف الاستعلاء ،وتقديمه على المفعول به (عليه حاصبا) وفيه من إظهار القهر والقوة ما فيه ؛ لذا لم يقل : له حاصبا ، وفي قوم ثمود قال : (ومنهم من أخذته الصيحة) بهذا التركيب البديع الذي يصور لك قوة هذه الصيحة ،وكيف ابتلعتهم ،وجعلتهم غيبا ؛ لذا لم يقل : أصابته الصيحة ،وفي قارون قال : (ومنهم من خسفنا به الأرض) والأصل أن يقال : ومنهم من خسفناه في الأرض ، لكن التعبير المقترح لايصور هذه القدرة المطلقة التي جعلت ما يخسف مخسوفا به ،وطوت قارون هذا الطي القاهر الذي جعل هو والأرض مخسوفا بهما ، وفي فرعون وقارون قال : (ومنهم من أغرقنا) وهو أخف

أنواع العذاب ؛ لذا ذكر آخرا ، وحذف المفعول به إشارة إلى أن المـــاء ابتلعه فصار غيبا .

فالأسلوب كله متظاهر على بيان قدرته وقهره ـــ سبحانه ـــ لمن عصاه ،وضعف من عصاه بالغا ما بلغ من العتو والقهر ، ولو أنه فرق في الكلام لما ناسب سياق السورة الذي أسلفنا البيان عنه ، وفرق في إظهار القـــوة بين أن تقول : عصاني علي فضربته وزيد فسجنته وحسن فقتلتـــه ، وأن تقول : عصاني علي وزيد وحسن ، فضربت وسجنت وقتلـــت ، لمـــا في الثاني من إبراز كثرة العاصين ، وبيان القوة بالتنوع والتفنن في عقابهم .

١٢ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ قل من يــرزقكم مــن الــسماء والأرض قل الله وإنا أو إيــاكم لعلــى هــدى أو في ضــلال مــبين ﴾ (سبأ/٢٤)

الآية عند كثير من أهل العلم من اللف والنشر المرتب على اخــتلاف في التسمية على نحو ما أسلفنا في التمهيد (١) وقد عدها الزمخــشري مــن الكلام المنصف (٢) وعدها غيره من تجاهل العارف ، وقد حقق الطــاهر بن عاشور القول في الآية بما حاصله أن في الآية ثلاثة محسنات من البديع : تجاهل العارف ــ الكلام المنصف ــ اللف والنشر المرتب (٣) فالآيــة من اللف والنشر ،ولايزاحم القول بذلك أنها من الأسلوبين الآخــرين ، فذلك من ثراء التعبير القرآني ،فقوله:(لعلى هدى) راجع لقوله : (إنا) وقوله : (أو في ضلال مبين) راجع لقوله: (إياكم) ولا يعكر كونه مــن اللف والنشر مجيئ (أو) وقولهم : لو أراد اللف والنشر لجاء بــالواو ، لبعد مجيئ (أو) بمعنى الواو ،والحق أن البلاغيين قالوا في تعريف اللــف والنشر : ذكر متعدد . . . دون نص على كيفية التعديد أو طريقته .

علاقة الأسلوب بالسياق

---

(١) ينظر الصاحبي ٤٠٩ ، فقد أوردها في باب : جمع شيئين في الابتداء بهما ،وجمع خبريهما ، ثم يرد إلى كل مبتدأ خبره ، والعمدة ١٧/٢ ، وقد عدها ابن رشيق من المقابلة ، التي هــي بمثابــة اللف والنشر عند غيره ، البيضاوي وزادة عليه ٩٠/٤ ، و الشهاب على البيــضاوي ٢٠٢/٧ ، و المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي ، د / النكلاوي ١٣٣ ، ألوان من البديع ، د/ عليوة ١١١

(٢) الكشاف ٢٥٩/٣ .

(٣) التحرير و التنوير ١٩٣/٢٢،١٩٢ .

ورد الأسلوب في سورة سبأ التي تتظاهر تراكيبها على بيـــان أن الـــدار الآخرة حق ، وقد وقع الأسلوب بعد دفع المـــشركين بـــضعف آلهتـــهم ،وانتفاء جدواها في الدنيا والآخرة (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ،ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) (سبأ/٢٢) وجاء بعد ذلك الإنباء بإقرارهم بأن الله هو الحق (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحـــق وهو العلي الكبير) (سبأ/٢٣) فالسياق يتظاهر على بيان أنه ــ سبحانه ــ هو الحق ، وقد جاء الأسلوب ردا على رميهم إيـــاه ــ ﷺ ــــــ بالكذب والجنون (أفترى على الله كذبا أم به جنة) (ســـبأ/٨) فلمـــا كذبوه كذبهم بأحسن من التصريح بالكذب بهذا الأسلوب ،وقـــد جـــاء أسلوب اللف والنشر ملائما حال المخاطبين من الالتفاف على الحـــق ، ومحاولة التعمية عليه ، فجاء الرد مناســـبا حـــالهم ، بعـــرض تكذيبـــهم بأسلوب يعتمد على ظهور تعيين الكاذب من المحق عند السامع فيرجـــع الخصم إلى نفسه فيرتدع ويعيى بالجواب .

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب مسبوقا بما يدل على ظهور الحق ووضـــوحه ، وبيـــان أن لاحق سواه (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أي : ســـلهم هـــذا السؤال ، وأجب أنت ؛ لأنه لايمكن أن يكون غير هذا الجواب (قل الله) " فلا جواب سواه عندهم ،وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثمـــوا في

الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم " ([1]) وكأن هذا المفتتح تمهيد لسوق أسلوب اللف والنشر الذي يوثق فيه بعقل السامع في رد كل إلى ماله ، وقد جاء اللف بطريقة خفية توقع الخصم في شرك المغلوبية ، كما قال ابن عاشور ([2]) وجاء التعديد بأو ؛ لأنه الأوقع والألصق ،ومجيئ الواو ملبس (وإنا أو إياكم) وقد لفهما لمخاطبة الكل بالرسالة ،وجاء النشر على ترتيب اللف ؛ تقديما للأعلى على الأدنى ،وووقعت استعارة في جزئي النشر (على) و (في) فاستعار للمهتدين حرف الاستعلاء ؛ إيماء إلى تمكنهم من الهداية تمكن المستعلي على الشئ ، وفي طرق الضالين عبر بحرف الوعاء (في) كشفا عن أنهم قد طواهم الضلال فصاروا غيبا فيه ، حيث أحاطهم من كل جانب ، فهم في تخبط محيط ،ومن العجيب أنه وصف الضلال بأنه مبين ، دون أن يصف الهدى بذلك ؛ للكشف عن أنه بالغ في جنسه مبلغا عظيما ، كما قال البقاعي : " (مبين) أي : واضح في نفسه ، داع لكل أحد إلى معرفة أنه ضلال إلا من كان منغمسا فيه ، مظروفا له ؛ فإنه لايحس بنفسه ، وما بينه وبين أن يستبصر إلا أن يخرج منه وقتا ما ، فيعلم أنه كان في حاله ذلك فاعلا ما لايفعله من له نوع من العقل "([3]) وقد حسن هذا الأسلوب مجيئه على نهج الكلام المنصف ،وفيه من إرخاء العنان للخصم ما فيه ، وفيه من عدم

([1]) أنوار التنزيل ٤/٩٠ .

([2]) التحرير و التنوير ٢٢/١٩٢ .

([3]) نظم الدرر ٦/١٧٨ .

ترك المجادل للخصم موجب تغليظ ،واحتداد في الجدال ما فيه ، كما أن فيه إظهارا لثقة المجادل بما عنده من الحجة .

١٣ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ (الدخان /٣،٤)

ذكر الزمخشري أن الأسلوب من اللف والنشر ،وذلك أن اللف قوله : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) فهما أمران : الإنزال ،ووقت الإنزال ،وقد جاء النشر على ترتيب اللف (إنا كنا منذرين) راجع لقوله : (إنا أنزلناه) و (فيها يفرق كل أمر حكيم) راجع لقوله: (في ليلة مباركة) قال الزمخشري : " فإن قلت : (إنا كنا . . .) قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم ، كأنه قيل : لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب ، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا ؛ لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة ،وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم "([1]) وقد تابعه كثير من أهل العلم ([2])على أن اللف والنشر ليس الوجه الوحيد في التأويل ، بل قد ذكروا أنه يمكن أن يكون قوله : (إنا كنا منذرين) جواب القسم ،وما قبله اعتراض، أو أن الجملتين (إنا أنزلناه)

([1]) الكشاف ٤٢٩/٣ .

([2]) ينظر زادة على البيضاوي ٣٠٩/٤ ، إرشاد العقل السليم ٩٩/٥ ، الشهاب على البيضاوي ٣/٨ ، روح المعاني ١١١/١٣ ، التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٧٩ .

و (إنا كنا منذرين) جواب قسم ، وفيه تعدد المقسم عليه من غير عطف .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقع الأسلوب في سورة الدخان و" مقصودها : الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة " ([1]) وقد وقع الأسلوب جوابا للقسم (حم والكتاب المبين) وقد ناسب وصف الكتاب بالإبانة أن يأتي بعده أسلوب يوثق فيه بعقل السامع في تعيين ما لكل ؛ لذا لم يقل : إنا أنزلناه إنا كنا منذرين في ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم ، وإنما جمع بين المنزل ،وزمان إنزاله في جانب ، وجمع بين الغرض من الإنزال ،وذكر خصوصية الزمان الذي أنزل فيه ، فجمع المعلول في طرف ، والعلة في طرف ثقة بأن السامع يرد كل علة إلى معلولها ؛ فهو الكتاب المبين ذو البيان الواضح .

من أسرار نظم الأسلوب

بني الأسلوب من أول الأمر على تعظيم شأن الكتاب ، فقد أقسم به عليه ، فالمقسم به (والكتاب المبين) والمقسم عليه (إنا أنزلناه) وجاء اللف جملة اسمية مؤكدة بإن ، وجاء المسند إليه بضمير العظمة ، فدل على عظمته بالقسم عليه ، وعظمة المنزل ، ثم زاده تعظيما بإتباعه بزمن الإنزال ووصفه إياه بالبركة ،وهذا من فوائد اللف ، حيث ساق التعظيم

([1]) نظم الدرر ٦٢/٧ .

سوقا متتابعا ،ولو أتبع كل جزء ماله ما كان له هذا الحسن ، حيث يفوت التعظيم بالفصل بين صفات التعظيم بالعلل .

ثم جاء النشر بعد ذلك على ترتيب اللف ؛ تقديما للأهم ،فالإنذار أهم من تعليل وصف الليلة بأنها مباركة ؛ لذا اقتصر على الإنذار توفيرا للاهتمام على هذه العلة ، مع أن القرآن للإنذار والتبشير ، ولا نظير لقوله : (فيها يفرق كل أمر حكيم) في الذكر الحكيم كله ، وفيه تأكيد على وصف القرآن بالحكمة ؛ لنزوله في وقت الفصل والقضاء ، ويؤكده لفظ العموم (كل) ووصف الأمر بالحكمة (أمر حكيم) فهي ليلة كل عظيم الشأن من الأمور .

١٤ـــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ (محمد / ٢٧،٢٨)

ذكر الشهاب أن الأسلوب يشبه اللف والنشر ،وتابعه الآلوسي ،وذكر ابن عاشور أيضا أنه من اللف والنشر المرتب ،وذلك أن قوله : (اتبعوا ما أسخط الله) راجع لضرب الوجوه ، وقوله : (وكرهوا رضوانه) راجع لضرب الأدبار (١) وذكر غيرهم هذا التأويل دون أن يصرح بأن

(١) ينظر الشهاب على البيضاوي ٥٠/٨ ، روح المعاني ٢٣٠/١٣ ، التحرير و التنوير ١١٩/٢٦ .

الأسلوب من اللف والنشر المرتب ([1]) والقول بأن الأسلوب لف ونـــشر ليس بعيدا ، فقد ذكر عذابين : ضرب الوجوه والأدبار ، وأتبع ذكـــره بعلتين : اتباعهم ما أسخط الله ، وكرههم : رضوان الله .

علاقة الأسلوب بالسياق

ورد الأسلوب في سورة محمد ،وهي تسمى سورة القتال أيـــضا، وتتظاهر تراكيبها على الحث على جهاد الكافرين ، وقد جاء الأســـلوب في سياق الحديث عن المنافقين من الآيـــة (١٦) إلى الآيـــة (٣٠) وهـــم يظهرون الطاعة ، ويضمرون المعصية ؛ لذا اختصت هذه السورة بمثـــل قوله : (والله يعلم إسرارهم) (محمد / ٢٦) فهم يقبلون على الكافرين ،ويدبرون عن رب العالمين (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نـــزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) (محمد / ٢٦) فاستوجبوا ضـــرب الوجـــوه والأدبار ، وقد جاء النشر ناظرا إلى قوله: ـــ تعالى ـــ مؤكدا لـــه (والله يعلم إسرارهم) حيث إن اتباع ما أسخط الله ، وكـــرههم رضـــوانه لا يكشفه إلا عليم بأسرار القلوب ، وقد ارتبط الأسلوب بما قبله ارتباطـــا عضويا ، حيث افتتح الأسلوب بالفاء ، (فكيف . . .) وهي لترتيب ما بعدها على ما قبلها ([2]) أو للتفريع على جملة : (إن الذين ارتدوا علـــى أدبارهم) ([3])

([1]) ينظر مفاتيح الغيب ٥٧/١٠ ، ٥٨ ، الصاوي على الجلالين ٨٧/٤ .

([2]) إرشاد العقل السليم ١٥٠/٥ .

([3]) التحرير و التنوير ١١٧/٢٦ .

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب ملائما حال المنافقين ، مهينا لهم غاية الإهانة ، وسوق العذاب بأسلوب اللف أبلغ في إظهار الإهانة من استقلال كل لون بعلته ؛ لأنه يظهر إحاطة الإهانة بهم من كل جانب ، ألا ترى أن هذا يفوت لو قلت : فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ويضربون أدبارهم ذلك بأنهم كرهوا رضوانه ؛ لذا ورد الحديث عن إهانتهم بأسلوب اللف ؛ إبلاغا في إهانتهم ،وقد وقع أسلوب اللف في جملة حالية ؛ إظهارا لهيئة إهانتهم ، قال ابن عاشور : " والمقصود من هذه الحال : وعيدهم بهذه الميتة الفظيعة التي قدرها الله لهم ، وجعل الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم ، أي : يضربون وجوههم التي وقوها من ضرب السيف ، حين فروا من الجهاد ، فإن الوجوه مما يقصد بالضرب بالسيوف عند القتال . . . ويضربون أدبارهم التي كانت محل الضرب لوقاتلوا ،وهذا تعريض بأنهم لوقاتلوا لفروا ، فلا يقع الضرب إلا في أدبارهم ([1]) فالجزاء من جنس العمل .

وجاء أسلوب النشر مفتتحا باسم الإشارة الموضوع للبعيد ؛ تهويلا لهذا الهوان ،وجاء مؤكدا بأن واسمية الجملة ؛ إشعارا باستحقاقهم ذلك الهوان

([1]) التحرير والتنوير ١١٨/٢٦ ، ١١٩ .

، وقد عبر بـــ (اتبعوا) الدالة على تكلف ذلك ، وتلمس عمـــل مـــا يسخط الله بكل حال ؛ لذا لم يقل : تبعوا ، وجاء المفعول بـــه بعنـــوان الألوهية ؛ رمزا إلى شركهم الباطن ؛ تناسبا مع الإنباء بمعرفة أســـرارهم ؛ لذا لم يقل : ما أسخط ربهم ، وعبر بالماضي (أسخط) تأكيدا على تحقق سخط الله عليهم ؛ لذا لم يقل : اتبعوا ما يسخط الله ،وفي النـــشر قـــدم المسبب على السبب ؛ لأن المسبب عمل ظاهر ، والكره عمل بـــاطن ؛ تأكيدا على استحقاقهم العذاب بممارسة ما يؤكد كرههم رضـــوان الله ، وخلاصة القول : أن أسلوب اللف والنشر كان ألصق الأساليب بـــإبراز هوائهم ، وتأكيد استحقاقهم له .

١٥ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ،ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنـــهر وأمـــا بنعمة ربك فحدث ﴾ (الضحى / ٦:١١)

الآيات من اللف والنشر عند كثير من أهل العلم ، وهـــي مـــن اللـــف والنشر المرتب إن فسر السائل في قوله (وأما السائل) بالـــسائل عـــن الدين والهدى ؛لأنه سيكون مقابل قوله من اللف (ووجدك ضالا فهدى) وهو الثاني في اللف ،ومقابله الثاني في النشر ،وهو من غير المرتب ، إن فسر السائل بسائل المعروف والصدقة ،وهو مما يثري الأسلوب ،وعلـــى إجرائه على الترتيب يكون اللف في الآيات (٦،٧،٨) ويكون النشر في

الآيات (٩ ، ١٠، ١١) فقوله: (فأما اليتيم فلاتقهر) راجع لقوله : (ألم يجدك يتيما فآوى) وقوله: (وأما السائل فلا تنهر) راجع لقوله : (ووجدك ضالا فهدى) ،وعلى المشوش يكون قوله : (وأما السائل فلا تنهر) راجعا لقوله : (ووجدك عائلا فأغنى) فيكون المذكور ثانيا ، مقابلا للمذكور ثالثا ، وعلى ذلك يكون قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) مقابلا لقوله : (ووجدك ضالا فهدى) فيكون المذكور ثالثا مقابلا للمذكور ثانيا ([1]) وإجراء الأسلوب على اللف والنشر هو الأقرب ،والأبعد من التكلف .

علاقة الأسلوب بالسياق

ورد الأسلوب في سورة الضحى ،وقد نزلت عليه ــ ﷺ ــ بعد انقطاع الوحي عنه حينا من الدهر ابتلاء ؛ فجاءت للتسرية ،والتسلية عنه ــ ﷺ ــ ولها موقع في المصحف الشريف عجيب ، فقد وضعت بعد سورة الليل ، فكانت كالمقابل لها ، ووقعت بعد سورة الشرح ؛ تشبيها بنتيجة التسرية والتسلية ؛ لذا اختصت بتراكيب وألفاظ لم ترد

([1]) ينظر الإتقان ٢/٩٤،٩٣ الشهاب على البيضاوي ٨/٣٧٣ ، الصاوي على الجلالين ٤/٣١٢ ، روح المعاني ١٥/ ٣٨٤ ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠١ ، فن البديع د / عبد القادر حسين ٧٢ ، دراسات بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية د/ عبد الجواد طبق ١٤٨ ط دار الأرقم ١٤١٣هـ .

في سواها ، منها قيد الليل بهذا القيد (إذا سجى) وفيه ما فيه من الدلالة على السكون والهدوء ، أي : فلتسكن نفسك يا أحب الخلق إلينا ؛ لـــذا لم يقل : والليل إذا يغشى ،ومن خصائصها أيضا قوله : ـــ تعالى ـــ (وما ودعك ربك وما قلى) وقد جاء الأسلوب ؛ ناظرا إليها ؛ مؤكدا لهـــا ، فلقد كان معه دائما في يتمه وفقره ،وغير ذلك ، وقد كشف البقاعي عن مناسبة الأسلوب لما قبله ، قائلا : " ولما وعده بأنه لا يزال في كل لحظـــة يرقيه في مراقي العلا والشرف ذكره بما رقاه به قبل ذلك " ([١]) وســـوق مثل هذا التذكير بأسلوب اللف والنشر هو الألـــصق بالـــسياق المقـــالي والمقامي ، لما في التذكير بالنعم على وجه التتابع من إزالة الهـــم ،ولمـــا في تأخير تبعاتها من تخفيفها ،ولو ذكر تبعة كل نعمة بإزائها لما كان له هـــذا الحسن في التسرية عنه ـــ ﷺ .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح أسلوب اللف باستفهام تقريري ،وفيه من التأكيد على التسلية مـــا فيه ،وذلك " ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود ،فيطمئن قلبه وينشرح صدره "([٢]) وقد رتب تعديد النعم ترتيبـــا بـــديعا ، فبـــدأ

([١]) نظم الدرر ٨/٤٥٦ .

([٢]) إرشاد العقل السليم ٥/ ٥٤٤ .

باليتيم ،وهو أشد أحوال الضعف ثم ثنى بالامتنـــان عليـــه بالهدايـــة إلى الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول ، ثم جاء بعد ذلك بالنعمـــة الثالثـــة ،وهي نعمة الإغناء ،وما من ريب في أن تعديد النعم بهذه الطريقـــة قـــد صرف عنه ــ ﷺ ـــ كل حزن ،وسلاه أيما تسلية ، كأن يهجر الوالد ولده بما يظن معه الولد عدم حنو عليه وعطائه له كرة أخرى ، فإذا أراد والده أن يصرف عنه ذلك ، فسيقول له : ألم أحـــن عليـــك صـــغيرا ، وأربك شابا ،وأعطيك كبيرا ،ولسوف أفعل بك أكثـــر . . . فتقديمـــه تعديد ما مضى تأكيد لتحقيق ما هو آت .

ثم جاء النشر دافعا إلى حق كل نعمة أوتيها ،وجاء على ترتيـــب اللـــف ترتيبا للأهم فالأهم (فأما اليتيم فلا تقهر) وهي جواب لـــشرط مقـــدر ،وقدم المفعول لرعاية الفاصلة ، حيث لم يقل : فلا تقهر اليتيم ،ولا تنهر السائل ؛ ورعاية الفاصلة تنتج رنينا وجرسا له أثر على الـــنفس جميـــل وجليل ، فالمقام والسياق للتسلية والتسرية ، فكأن الفاصلة هنا " وسيلة من وسائل تهدئة النفس حين تمتلئ إحساسا بالفكرة ، أو تختلج بألوان من الشعور " (1)

(1) خصائص التركيب ٣٥٩ د / محمد أبو موسى ، ط وهبة ، ١٣١٦هـــ .

ولا يعني هذا أن الفاصلة غاية أساسية تسعى السورة بتراكيبـــها إليها ، ولكن من أجل الاهتمام بتقديم حقوق العباد في (فأما اليتيم . . . . وأما السائل . . .) على حق الرب ــ سبحانه ــ في (وأما بنعمـــة ربك فحدث) ويتبع ذلك رعاية الفاصلة ([1])

وما أروع أن يجتمع جلال المعنى مع جمال التنغيم الصوتي ! وقد جاء النشر وكله تكليف بعد التسرية والتسلية وكلها عطايـــا ، فكـــان اللف تهيئة للنفس للقيام بحق البشر ، مع مافي التركيـــب مـــن الإيجـــاز والإثارة ولطائف كثيرة لايتسع لها المقام .

([1]) دراسات بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ١٤٨ .

الفصل الثاني
اللف والنشر غير المرتب في الذكر الحكيم
مواقعه ــ أسراره

توطئة

ورد اللف والنشر غير المرتب في الذكر الحكيم في واحد وعشرين موضعا ، وكان في عشرين منها معكوس الترتيب ، وفي موضع واحد منها مختلط الترتيب (المشوش) وقد أشار العلماء إلى مواطن أخر رأيت إجراءها على اللف والنشر لا تأتى إلا بتكلف ، وقد رأيت أن أسردها هنا ،مع الإشارة إلى من نص عليها من العلماء بغية الإفادة :

١ ــ قال : ــ تعالى ــ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين) (الأنعام / ٥٢) هي عند ابن فارس من اللف والنشر على حد ما عرف بعده (ينظر الصاحبي / ٤١٠)

٢ــ قال : ــ تعالى ــ (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) (الشعراء /١٩١) نص البقاعي على أن الآية من اللف والنشر غير المرتب، راجعا بها في النظر إلى سورة الكهف وما بعدها (ينظر:نظم الدرر ٣٩٠/٥)

٣ـــ قال : ـــ تعالى ـــ (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) (النور / ٥٢) ذكر الآلوسي أن الآية يحتمل أن تكـــون من اللـــف و النـــشر ، وقـــال : وعلـــى ذلـــك جـــرى في البحـــر (روح المعاني ٣٨٩/٩)

٤ـــ قال : ـــ تعالى ـــ (أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهـــم مـــن السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا مـــن السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) (سبأ / ٩) عدها الطيبي مـــن اللف والنشر غير المرتب (ينظر : التبيان / ٤٠٠)

٥ـــ قال : ـــ تعالى ـــ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فـــاز فوزا عظيما) (الأحزاب / ٧٠ ، ٧١) عدها الطاهر بن عاشـــور مـــن اللف والنشر غير المرتب (ينظر : التحرير والتنوير ١٢٣/٢٢)

٦ـــ قال: ـــ تعالى ـــ (أن تقول نفس يا حسرتى على مـــا فرطـــت في جنب الله . .) (الزمر٥٤ :٥٩)عدها ابن عاشور من اللف والنشر غـــير المرتب (ينظر : التحرير و التنوير ٢٤/ ٤٨ ، ٤٩)

٧ ـــ قال : ـــ تعالى ـــ (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكـــبر في صدوركم . . .) (الإسراء / ٥١) ذكر البقاعي عندها أنها جـــاءت على سبيل الترقي في النشر المشوش ، راجعا بها في النظر إلى ما جـــاء في السياق من قصة آدم وغيرها (ينظر : نظم الدرر ٤٠٢/٤)

٨ ــ قال : ــ تعالى ــ (آلمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون) (الرعد/ ٢،١) تكلم البقاعي عن أن مفتتح السورة بالنظر إلى ما قبلها جاء على سبيل اللف والنشر المشوش (ينظر : نظم الدرر ١١٧/٤)

٩ ــ قال : ــ تعالى ــ (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (آل عمران / ١٤٨) عدها البقاعي من اللف والنشر المشوش رابطا إياها بآيات سابقة على سبيل التعريض (ينظر نظم الدرر ١٦٥/٢)

١٠ــ قال : ــ تعالى ــ (فأنبتنا فيها حبا . . . إلى قوله : متاعا لكم ولأنعامكم) (عبس ٢٧ : ٣٢) عدها ابن عاشور من اللف والنشر المشوش (ينظر : التحرير والتنوير ١٣٤/٣٠)

١١ ــ قال : تعالى ــ (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . . .) (البقرة/ ٢٥٩) ذكر الصاوي أنه كالدليل لقوله ــ الله ولي الذين آمنوا ــ فهو من باب اللف والنشر المشوش (ينظر : حاشية الصاوي ١/ ١١٥)

١٢ ــ قال : ــ تعالى ــ (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل . . .) (الأحقاف / ١٠) عدها الصاحبي من اللف والنشر غير المرتب على حد ما عرف به بعده (ينظر : الصاحبي ٤٠٩)

١٣ــ قال : ــ تعالى ــ (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكــم الأرض فإذا هي تمور . . .) (الملك /١٦،١٧) ذكر ابن عاشور أنــه ســلك بالآية شبه طريق النشر المعكوس (ينظر: التحرير و التنوير ٣٦/٢٩)

١٤ــ قال : ــ تعالى ــ (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بــل لجوا في عتو ونفور) (الملك / ٢١) ذكر ابن عاشور أن هذا الكــلام ناظر إلى قوله ــ وكلوا من رزقه ــ على طريقة اللف والنشر المعكــوس (ينظر : التحرير والتنوير ٤٣/٢٩)

١٥ــ قال : تعالى ــ (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة . .) ذكر البقاعي أنه لما ختم بأن الأول مهتد ، والثاني ضال ، شرع في بيــان ما لكل منهما نشرا مشوشا في أسلوب الإنكار (ينظر: نظم الدرر ٤٤٠/٦)

١٦ ــ قال : ــ تعالى ــ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته . . .) (الجاثية / ٣٠) ذكر البقاعي أنه بدأ بالمؤمنين على طريق النشر المشوش (ينظر : نظم الدرر ١٠٩/٧)

١٧ــ قال : ــ تعالى ــ (طاعة وقول معروف) (محمد /٢١) ذكــر البقاعي أن الآية جاءت علــى طريــق النــشر المــشوش لمــا ســبقها (ينظر : نظم الدرر ١٦٨/٧)

١٨ــ قال: ــ تعالى ــ (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون) (الزخرف / ٢١) ذكر البقاعي راجعا بالنظر في الآية إلى قوله ــ واسأل من أرسلنا ــ أن نفي الدليل السمعي تم على طريــق النــشر المــشوش (ينظر : نظم الدرر ٧/ ٥٥)

مواضع اللف والنشر غير المرتب في الذكر الحكيم
دراسة تحليلية

١ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (البقرة / ٢١٤)

الآية من شواهد ابن فارس لما سماه " باب جمع شيئين في الابتداء بهما وجمع خبريهما ، ثم يرد إلى كل مبتدأ به خبره ،وهو ما عرف بعده باللف والنشر ،وقد ذكر الآية ثم قال : قالوا : لما لم يصلح أن يقول الرسول : متى نصر الله ؟ كان التأويل : وزلزلوا حتى قال المؤمنون متى نصر الله ؟ فقال الرسول : ألا إن نصر الله قريب ، رد كل كلام إلى من صلح أن يكون له [1] فاللف جمع لقائلين ،والنشر تفصيل لمقالة كل منهم، والآية على هذا التأويل من اللف والنشر غير المرتب .

وقد ذكر السبكي أن الآية من اللف والنشر عند الزركشي وأول الآية على نحو ما مضى [2] وذكر السيوطي أن الآية عند جماعة من اللف والنشر وتأولها على النحو السابق [3] وقد ذكر المفسرون أن الآية

---

[1] الصاحبي ٤٠٩ ،٤١٠ .

[2] عروس الأفراح ٣٣٢/٤ .

[3] الإتقان ٩٤/٢ ، فن البديع ٧٣ د/ عبد القادر حسين .

من اللف والنشر إما تلويحا على حد ما ذكر الفخر الرازي من تأويل الآية ،وقياسها على الشاهد العلم في القرآن على اللف والنشر (آية القصص / ٧٣) تنزيها للرسل عن استبطاء نصر الله ([١]) وإما تصريحا كالشهاب ([٢]) وقد تأولها غيرهم على أن (متى نصر الله) قول الرسول والذين آمنوا معه ،و(ألا إن نصر الله قريب) رد عليهم من الله ، وأن قول الرسول ذلك دال على تناهي الأمر في الشدة ([٣])

وقد رد الآلوسي أن تكون الآية من اللف والنشر ؛ لأنه لا يحسن تعاطف القائلين دون المقولين ،وإما معنى فلأنه لا يحسن ذكر قول الرسول (ألا إن نصر الله قريب) في الغاية التي قصد بها بيان تناهي الأمر في الشدة ([٤]) والذي أراه أن الألصق بالسياق إجراء الآية على اللف والنشر غير المرتب ، وتأويل الكلام : وزلزلوا حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله ؟ فيقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب ، وإجراء الآية على اللف والنشر لا يتعارض مع دلالتها على تناهي الأمر في الشدة ؛ لأنه يكفي فيه وصف القائلين (متى نصر الله) بالإيمان ، هذا ،ومما يؤيد ذلك أن العادة جرت بأن الأنبياء ومتبعيهم إذا ما ادلهم أمر ، وألم بهم خطب

([١]) مفاتيح الغيب ٣٨٠/٢

([٢]) الشهاب على البيضاوي ٧٥/٢ ، وتفسير المراغي ٢٩٣/١، ٢٩٤

([٣]) الكشاف ٣٥٦/١ ، أنوار التنزيل ٥١٩/١ ، زادة على البيضاوي ١/ ٥١٩ ، التحرير والتنوير ٢/ ٣١٧ ، ٣١٨.

([٤]) روح المعاني ٤٩٩/١ ، ٥٠٠ .

كان ديدن المؤمنين إظهار الضجر ، وديدن النبيين الـتطمين بـصدق الله وعده رسله ،وإلا فإظهار النبي الضجر مع أمته إفساد للدعوة .

علاقة الأسلوب بالسياق

الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن أركان تحتاج مجاهدة بالنفس والمال : الصوم (الآيـات ١٨٣: ١٨٧) الجهـاد (الآيـات ١٩٠:١٩٤) والحج (الآيات ١٩٦:٢٠٣) ثم تحدث القـرآن عـن المنافقين (٢٠٤:٢٠٦) ثم عاد إلى الحديث عن الجهـاد (٢٠٨،٢٠٧) ثم تحدث عـن الكـافرين (٢١٠) ثم عـن اليهـود (٢١١) ثم عـن الكافرين(٢١٢) ثم تحدث عن شأن النبيين مع أقوامهم ،وكم تحملوا مـن العناء والعنت ، والذين اتبعوهم معهم في التحمل ، ثم جاءت الآية محـل الشاهد بمثابة تسلية للمؤمنين على تحمل المشاق في (الصوم ـــ الجهاد ـــ الحج) وكلها بذل للنفس والمال ،وهي أعظم ما يبتلى به المـرء ،وممـا يضاعف من هذا الابتلاء أن يرصد لك على ذلك كفار يدفعونك عـن فعل ذلك ، فمجيئ الآية بعد كل هذا تسلية ما بعدها تسلية ، والـذي نلحظه أن الآية أحيطت من بين يديها ومن خلفها بالحديث عن الجهـاد ،وقد سبقت الإشارة إلى ما جاء قبل الآية ، أما ما بعدها فتراجع الآيتـان (٢١٦، ٢١٧) لذلك جاءت التسلية في الآية بجعـل الـسابقين مـثلا (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا مـن قـبلكم) فجاء ما بعدها كأنه جواب سؤال " ما ذلك المثل ؟ فأجيب بيانا بقولـه : (مستهم البأساء) أي : المـصائب في الأمـوال (والـضراء) أي : في

الأنفس " ([1]) ثم إن قوله : (مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) يـــدلك على ضرورة مجيئ الأسلوب بعده على اللف والنشر غير المرتب الـــذي يعكس حال تزلزلهم واهتزازهم ،ومجيئ حتى بعدها يدل على تناهي الأمر في الشدة ،وهل يناسب التناهي في الشدة مجيئ الأسلوب علـــى النـــهج المعتاد الذي يلائم النفوس المستقرة الهادئة ؟ لذا كان الأنسب للـــسياق ورود الأسلوب على نهج اللف والنشر .

من أسرار نظم الأسلوب

أسلوب اللف والنشر هو قوله : ــ تعـــالى ــ (حـــتى يقـــول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) نلحـــظ هنا أن الأسلوب جاء بعد (حتى) التي تطوي وراءها أهوالا بلغت المنتهى وأفزاعا نالت من الأثبات المؤمنين ، وقد قدم الرسول وجعلـــه ملـــصقا بالقول ؛ إلماعا إلى مسارعته بالتطمين ملاءمة لحالهم في بلوغ الضجر،وقال الرسول ، ولم يقل النبي ؛لأن للرسالة تحملا ليس للنبوة ، لما فيهـــا مـــن الأمر بالتبليغ ،ومجابهة المعاندين ،والتعرض للأذى ،والتعبير بالرسول هـــو المناسب لحال الشدة ،وهو الملائم لحال الضجر العالية التي تقتضي تطمينا أعلى ،ووعدا أوثق ، مما يكون له أثر بالغ في إزالة الضجر ،ومجابهة الهول والفزع ،ثم ذكر المؤمنين بالاسم الموصول ؛ إطالة لمدحهم ؛ لأن قوله : (الذين آمنوا معه) أطول من قولنا : المؤمنون ، وشئ آخر ،وهو : كـــأنهم ذكروا بالإيمان مرتين : مرة بالاسم الموصول ، وأخرى : بالـــضمير (واو

([1]) نظم الدرر ٣٩٦/١ .

الجماعة في الفعل : آمنوا) ومما يعلي من هذا أنه جاء بالموصول على صيغة الماضي ؛ تحقيقا لقبول إيمانهم ،وفي ذلك بشارة وتطمين ، كما أنه لم يقل : الذين أسلموا ؛ لأن فيما عبر به الذكر الحكيم تبشيرا لهم ، وإعلاما أنهم ما أخرجهم ضجرهم ،ولا استبطاؤهم نصر الله من دائرة الإيمان ، كما أن في مجيئ هذا القيد (معه) إثبات لالتصاقهم برسلهم تحملا ، ومآلا ، أجرا وثوابا ، كما أن فيه إطالة تضاعف من التشويق إلى المقول،وبخاصة أنه تعبير عن الضجر من ألصق الناس إيمانا بالرسل،وتشويقا إلى رد الرسل على ما عبروا به عن ضجرهم .

(متى نصر الله) استفهام ، بمعنى الاستبطاء ، فماذا لو كان الكلام : استبطأنا نصر الله ؟ ألا ترى في التصريح بالاستبطاء جرأة منهم لو كان ؟ كما أن التعبير الثاني لا يفيد طلبا ، أما الأول فيفيد طلبا ، فكأن أسلوب الاستفهام أنسب للحال وألصق بالمقام ، وأوجز ؛ لأنه يفيد مع الاستبطاء الطلب ، كما أن أسلوب الاستفهام جعلهم " كأنهم في مثل ترقب المتلدد الحائر الذي كأنه،وإن وعد بما هو الحق يوقع له التأخير صورة الذي انبهم عليه الأمر لما يرى من اجتثاث أسباب الفرج " ([1]) وقد دل كلامهم المحكي على ثباتهم إذ أضافوا النصر إلى الله (نصر الله) ، و لم يضيفوه لأنفسهم ، ولم يعروه عن الإضافة ، كأن يقولوا : متى النصر ؛ لأنهم أرادوا نصرا عظيما ؛ لذا أضافوا النصر إلى الاسم العلم الذي هو أهيب أسماء الله ــ عز وعلا ــ كما أن سؤالهم

([1]) نظم الدرر ٣٩٧/١ .

هذا سؤال استبطاء للوقت الذي يقع فيه النصر، وليس استبعادا للنصر؛ لذا كان الجواب : ألا إن نصر الله قريب ،ذكره الرازي ([1])

وقد ذكر قول الرسول بـــــ (ألا) الاســـتفتاحية ؛ زيـــادة في التطمين ؛وتوكيدا لقرب مجيئ النصر ،وجاءت بعـــده (إن) ترقيـــا في التوكيد على قرب المجيئ ، لا عن شك ، وإنما للتطمين ؛ تلاؤمـــا مـــع حال التناهي في الشدة ،وقد جاء الاسم مظهرا أيضا (ألا إن نـــصر الله قريب) وكان الأوجز أن يقال : ألا إنه قريب ، لكن الإيجاز لايلائم هذا المقام ،وإنما الإطناب لأنه ألصق بمقامات الـــتطمين ، وأذهـــب للـــضجر ،وأوكد لمجيئ النصر ،ومن التلذذ إعادة ذكره في الجواب ، لنفوس تتوق إلى نصر الله ، كما أن فيه تشويقا إلى ذكر الخـــبر (قريـــب) الـــذي يصادف قلوبا متلهفة ، فيزيل لهفتها ،ويعيد لوعتها بردا وســـلاما ،هـــذا ،ولو جاء الأسلوب على غير نهج اللف والنشر لما كشف عن هذا الحال ، ولما لاءم التعبير حال الشدة والضجر ، تأمل بعد ما عرضناه لـــو قلنـــا مكان التعبير القرآني المعجز : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثـــل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله ، فيقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب . ألا تـــرى أن نور الكلام قد ذهب ، وكان التعاند بين الأسلوب ،والمقام ظـــاهرا ؛ لأن الأسلوب المعتاد يلائم الحال المعتاد ،والأسلوب غير المعتـــاد يلائـــم الحال غير المعتاد .

([1]) مفاتيح الغيب ٢/ ٣٨٠ .

٢ ــ قال : تعالى ــ ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم مــن خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا مــن خير فإن الله به عليم ﴾ (البقرة / ٢١٥)

الآية من اللف والنشر عند البقاعي ، حيث قال : " ولما كانت النفقة من أصول ما بنيت عليه السورة من صفات المؤمنين . . . ثم كرر الترغيب فيها في تضاعيف الآي إلى أن أمر بها في أول آيات الحج الماضية آنفا ، مع أنها من دعائم بدايات الجهاد إلى أن تضمنتها الآية السالفة مــع القتل الذي هو نهاية الجهاد ، كان هذا موضع السؤال عنهما ، فأخبر ــ تعالى ــ عن ذلك على طريق النشر المشوش " [١] ولا يستقيم جعله من اللف إلا على تقدير محذوف ،وتقدير الكلام : يسألونك مــاذا ينفقــون ،وعلى من ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتــامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ، فهو ســؤال عن المنفق والمصرف ، غير أنه قدم الجواب عن المصرف(فللوالدين . .) وأهميته ،وأخر الجواب عما بدأوا به (المنفق) وهو (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) .

وهذا الذي ذكره البقاعي يؤيد ما ذكر في سبب النزول ، فعــن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال : " كان عمرو بن الجمــوح شــيخا كبيرا ذا مال كثير ، فقال : يا رسول الله بمــاذا نتــصدق وعلــى مــن

---

[١] نظم الدرر ٣٩٩/١ .

ننفق؟فنزلت "([1]) وقد حكى الشهاب عن الراغب أنه قال : " في مطابقة الجواب السؤال وجهان أحدهما : أنهم سألوا عنهما ، وقالوا : ما ننفق ، وعلى من ننفق ، لكن حذف في حكاية السؤال أحدهما ؛ إيجازا ، ودل عليه الجواب ، كأنه قيل : المنفق هو الخير ، والمنفق عليهم : هؤلاء ، فلف أحدهما في الآخر ،وهذا طريق معروف في البلاغة "([2])

أما على عده من الأسلوب الحكيم ، فلا يكون من اللف والنشر ، حيث نزل سؤال السائل منزلة سؤال غيره لتوخي التنبيه بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله وأهم ، والذين قالوا هذا يجب أن يخلو الأسلوب ــ على كلامهم ــ من ذكر المنفق (بفتح الفاء) والصحيح أن المنفق مذكور (وما تنفقوا من خير) لذلك أجاب الفخر عن سؤال هو أن القوم سألوا عما ينفقون ، لا عمن تصرف النفقة إليهم ، فكيف أجابهم بهذا ؟ والجواب عنه من وجوه أحدها : أنه حصل في الآية ما يكون جوابا عن السؤال ، وضم إليه زيادة بها يكمل ذلك المقصود ،وذلك لأن قوله : (ما أنفقتم من خير) جواب عن السؤال ، ثم إن ذلك الإنفاق لا يكمل إلا إذا كان مصروفا إلى جهة الاستحقاق ([3]) وعليه فليست الآية من اللف والنشر ، وأجاب بعض أهل العلم بأن

([1]) الكشاف ٣٥٦/١ ، روح المعاني ٥٠٠/١ ، أنوار التنزيل بهامش الشهاب ٣٠٠/٢ ، التحرير والتنوير ٣١٧/٢ .

([2]) الشهاب على البيضاوي ٣٠٠/٢ .

([3]) مفاتيح الغيب ٣٨٢/٢ .

السؤال لم يكن عن المنفق : أمن الدينار، أم من الدراهم ، أم من الـــدنانير . . . لأنه ليس معقولا ألا يكون للسائل علم بالمنفق ، وإنما السؤال على المنفق عليهم ([1])

ويرد على ذلك بأنه كان يجب أن يكون السؤال : يـــسألونك على من ينفقون ، هذا وقد أوردوا سبب نزول يدل على السؤال عـــن النفقة ، فقد ذكروا أنها نزلت في رجل أتى النبي ـ ﷺ ـــ فقال : " إن لي دينارا ، فقال : أنفقه على نفسك ، فقال : إن لي دينارين ، فقـــال : أنفقهما على أهلك ، فقال : إن لي ثلاثة ، فقال : أنفقها على خادمك ، فقال : إن لي أربعة ، فقال : أنفقها على والديك ، فقال : إن لي خمسة ، فقال : أنفقها على قرابتك ، فقال : إن لي ستة ، فقال : أنفقها في سبيل الله تعالى "([2])وعن ابن جريح قال : سأل المؤمنون رسول الله ـــ ﷺ ـــ أين يضعون أموالهم ؟ فترلت والراجح أن إجراء الآية على اللف والنشر يستوعب كل أسباب الترول مجتمعة ،ويلائمها ، لذا سنتناولها على نهـــج اللف والنشر غير المرتب .

([1]) التحرير والتنوير ٣١٧/٢ .

([2]) روح المعاني ١/ ٥٠٠ ، ٥٠١ .

علاقة الأسلوب بالسياق

كان البقاعي ــ رحمه الله ــ نافذ البصيرة حينما أبصر العلاقة بين الآية ومطلع السورة الكريمة ، حيث قال : " ولما كانت النفقة من أصول ما بنيت عليه السورة ، من صفات المؤمنين (ومما رزقنــاهم ينفقــون) (البقرة/٣) ثم كرر الترغيب فيها في تضاعيف الآي إلى أن أمر بهــا في أول آيات الحج الماضية آنفا ،مع أنها من دعائم بــدايات الجهــاد إلى أن تضمنتها الآية السالفة مع القتل الذي هو نهاية الجهاد كان هذا موضــع السؤال عنهما ، فأخبر ــ تعالى ــ عن ذلك .. ."([1]) ولكن لمــاذا جــاء الحديث عن النفقة هنا بأسلوب اللف والنشر ؟ جاءت الآيــة بأســلوب اللف والنشر ؛ تشاكلا مع ما يلزم المنفــق مــن التــأني في وضــعها في مواضعها ،وتأمل الترتيب للأولى فالأولى ؛ لذا بدأ الجواب بما حاجتــه إلى التأني والتأمل أشد ، وشئ آخر ألمع إليه البقــاعي إلى الــسر في حــذف الطرف الثاني من اللف ، بأن " في هذا السؤال ممن سأله له نوع تلدد من نحو ما تقدم لبني إسرائيل في أمر البقرة من إرادة المــساءلة "([2]) أي : أن هذا السؤال صدر من بعض المؤمنين ، وليس منهم كلــهم ؛ لأن طــابع المؤمن إعطاء الفضل دون سؤال ، وذكر البقاعي ما كــان مــن حــال الصديق وعمر وعثمان وغيرهم من أعيان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ " فكان في هذا السؤال إظهار مثل الذين خلوا من قبلهم ،ولــولا أن

([1]) نظم الدرر ١/ ٣٩٩ .

([2]) نظم الدرر ٣٩٩/١ .

الله رحيم لكان جوابهم : تنفقون الفضل ، فكان يقع جوابا ، ولكـــن الله لطف بالضعيف لضعفه ، وأثبت الإنفاق ،وأبهم قدره " ([1]) وألمح من هذا أن الأسلوب جاء على اللف والنشر ؛ مشاكلة لما جاء من اللف والنشر في شأن اليهود في موضعين ، وهم معروفون بكثرة السؤال ، وربما يؤيد ذلك أن سورة البقرة ذكر فيها (يسألونك) حكاية عـــن المـــؤمنين في خمسة مواقع غير هذا الموقع ([2]) ولم يرد في القرآن (يسألونك) حكايـــة عن المؤمنين إلا مرة واحدة في سورة الأنفال ،وقد ورد السؤال عن المنفق مرتين في سورة البقرة ، وفي ورود هذه الأســـئلة في أوســـع الـــسور في القرآن حديثا عن اليهود تحذير للسائلين مـــن كثـــرة الـــسؤال ، ففـــي الأسلوب تناسب مع حال السائلين ،وما هم فيه مـــن حـــيرة ،والتلـــدد والحيرة يقتضيان التأني والتروي ،و هو مما ينهض به هذا الأسلوب ، كما أن الأسلوب يحكي الارتباط والتشابك بين المنفق والمنفق عليهم .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح الأسلوب بالفعل المـــضارع (يـــسألونك) استحـــضارا للصورة الماضية ،وقد أظهر القرآن الكريم سؤالهم عـــن المنفـــق (مـــاذا ينفقون) كشفا عن محاولتهم الإفلات من الإنفاق ، لأن المنفق لا يخـــرج عن ذهب أو فضة ودينار ودرهم وطعـــام وشـــراب . . . إلى آخـــره ،

([1]) نظم الدرر ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ .

([2]) يستظهر في المصحف الـــشريف ســـورة البقـــرة الآيـــات ١٨٩، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، الأنفال /١.

فالمنفق معروف واضح ، لا يحتاج سؤالا ؛ لذا كان إظهار سؤالهم علـــى هذا النحو تعريض بما يريدونه داخليا من الالتفاف حول الإنفاق ، وكـــان إخفاء السؤال عن المنفق عليهم ؛ زيادة في إبراز ما سبق بيانـــه ، حـــتى يتوفر المستمع على السؤال في شطره الأول؛لأن الثاني فيه وجه للمنطق، أما الأول فلا ، ثم جاء الجواب عما أخفاه في السؤال ؛ بيانـــا لأهميتـــه، وتوجيها للعناية إلى ما هو الأهم بالبدء بالسؤال ، وكان ترتيبه في سؤالهم أن يجاب عنه ثانيا .

كما نلمح أن الجواب قد جاء بفعل الأمـــر (قـــل) زيـــادة في التوكيد قطعا للسبيل على السائل بأن الجواب من عند الله ؛ لأنه لو كان من عنده ، لم يكن مناسبا أن يقال : قل ، ثم ذكر الجواب (ما أنفقتم من خير فللوالدين) بأسلوب الشرط ؛ تأكيدا على ضرورة مراعاة التناسب بين النفقة والمنفق عليهم ، أو بين المنفق والمصرف ،وأن الصدقة " لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها "([1]) وأن الارتباط بين المنفـــق والمـــصرف ،وهـــو ارتباط الجزاء بالشرط ،وكان هذا المعنى يفوت لو قيل : قـــل للوالـــدين والأقربين . . . ثم جاء الجواب بترتيب الأولى فالأولى .

ثم جاء الجواب عن السؤال في شطره الأول (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) بأسلوب الشرط ، وجاء بقيد مهم جـــدا في جـــواب الشرط (من خير) لبيان أن العبرة بكنه المنفق في حقيقته ، لا في مقداره، فالواجب أن يكون المنفق من هذا الصنف (خير) وقد عـــبر بقولـــه :

([1]) الكشاف ٣٥٦/١ .

(تفعلوا) في فعل الشرط ،وكان مقتضى الظاهر ، أن يقال : تنفقوا غير أن قوله : (تفعلوا) أعم من تنفقوا ،وفيه حث على فعل الخير ، أي خير كان ، ويشرح ذلك ما ورد في السنة من أن تبسمك في وجـــه أخيـــك صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، والسنة شرح وبيان للكتاب الحكـــيم، فقد " أتى بما يعم ؛ تأكيدا للخاص الواقع في الجواب " ([١]) وقد وضحه البقاعي بقوله : " أي : مما يعد خيرا ، من عين أو معنى من هذا أو غـــيره مع هؤلاء أو غيرهم "([٢]) وذهب ابن عاشور إلى أن الخـــير هـــو المـــال؛ اعتمادا على ما جاء في قوله : ـــ تعالى ـــ (إن تـــرك خـــيرا الوصـــية للوالدين) (البقرة/١٨٠) وهذا لا يمنع ما ذكرناه ؛ لأنه لو كان المراد المال المحض لعبر بالمال ، و المناسب لما تعلق به الجار والمجرور (من خير) هو العموم ، لا التخصيص بالمال ؛ لأنه قال : (تفعلوا) وفي كل هـــذا حث على الخير بأي سبيل .

وقد جاء قوله : (فإن الله به عليم) دليلا على جواب الـــشرط، والجواب يمكن أن يقدر : تجزوا به ، أو تثابوا عليه ، غير أنـــه لم يـــذكر، وإنما عبر بما عبر به ؛ تأكيدا على إخلاص النفقة لله ، لأن فيـــه تـــذكيرا للمنفق بعلم الله ؛ تحذيرا له من إفساد نفقته برياء أو غيره مـــن وجـــوه الإفساد ، فورود الأسلوب على نهج اللـــف والنـــشر ناســـب حـــال السائلين،وناسب حال الصدقة من رصد الشياطين عليها ، ومنعهم إياهـــا

([١]) نظم الدرر ١/٤٠٠ .

([٢]) نظم الدرر ١/٤٠٠ .

،وإغواء المتصدق بإتباعها بالمن والأذى ،وهذا كله قد تــأدى بأســلوب اللف والنشر ، الذي يلزم الناظر فيه بالتأمل والتدبر ؛ استنباطا لمراميــه، واستكشافا لإيحاءاته .

٣ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ الشيطان يعدكم الفقــر ويــأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفــرة منــه وفــضلا والله واســع علــيم ﴾ (البقرة/٢٦٨)

ذكرها ابن أبي الأصبع في باب صحة المقابلات ــ اللف والنشر عند البلاغيين ــ حيث يقول : " على أن الإخلال بــصحة التقــسيم في ظاهر اللفظ ، لا يفسد صحة المقابلة . . . كما جاء في قوله : ــ تعــالى ــ (الشيطان . . .) فقدم في صدر الكلام أمــرين : الوعــد بــالفقر، والأمر بالفحشاء ، ثم قابل الشيئين في الظاهر بشئ واحد ،وهو الوعــد، فأوهم أنه أخل بذكر الأمر ،وليس كذلك ، وإنما لما كان الفضل مقــابلا للفقر ، والمغفرة مقابلــة للأمــر بالفحــشاء ؛ لأن الفحــشاء توجــب العقوبة،والمغفرة تقابل العقوبة ، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابلــه ؛ لأن ذكر أحدهما ملزم ذكر الآخر " ([1])

والمفسرون ــ وإن لم يصرحوا بأن في الأسلوب لفا ونــشرا ــ يؤولون الآية بما يدل على أنها من اللف والنشر ، بل إن القرطبي ــ رحمه الله ــ روى بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : في هذه

([1]) تحرير التحبير ١٨٣ .

الآية اثنتان من الله ــ تعالى ــ واثنتان من الشيطان "([1]) وقد أرجع ابــن كثير كل طرف من النشر إلى ماله من اللف ، في تعليقه على قول الله ــ تعالى ــ (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) " أي : في مقابلة ما أمــركم الشيطان بالفحشاء (وفضلا) أي : في مقابلة ما خوفكم الشيطان مــن الفقر "([2]) فالآية من اللف والنشر المعكوس ،وأصل الكلام : الــشيطان يعدكم الفقر ،والله يعدكم فضلا ، والشيطان يــأمركم بالفحــشاء والله يعدكم مغفرة منه .

علاقة الأسلوب بالسياق

الآية من خصائص السورة الكريمة ، فلم يرد في الذكر الحكــيم أن الشيطان يأمر بالفحشاء إلا في ثلاثة مواضع ، موضع البحث ، وآخر في سورة البقرة (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعــوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحــشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (البقرة/ ١٦٨،١٦٩) وفي سورة النور، قال : ــ تعالى ــ (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومــن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر . . .) (النور / ٢١) غير أن موضع البحث يختص بتميزه في التركيب ، و بجمع الشيطان بــين أمرين : الوعد بالفقر ــ وهو ما لم يرد في الموضعين الآخرين ــ والأمــر بالفحشاء .

([1]) الجامع لأحكام القرآن ٢١٣/٣ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ٢٨٢/١ لابن كثير ، ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤١٧هـ .

وقد تفرد سياق الآية الكريمة حيث جاءت في سياق الحديث عن الصدقات ، وما في البقرة هو أوسع حديث عن الصدقات في الذكر الحكيم ، والحديث عن الصدقات في السورة جاء ناظرا إلى مطلع السورة الكريمة ، حيث ورد الإنفاق صفة من صفات المتقين ، كما جاءت صفة التقوى فرعا عن الإيمان بالغيب ، الذي ينافيه إتباع الصدقة بالمن والأذى ، أو تخير أخبث المال للصدقة ، وغير ذلك مما اشتمل عليه الحديث عن الصدقات في السورة ، تأمل المطلع : (آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة/ ١:٣)

والسؤال هنا : لماذا جاء نظم الآية الكريمة على لاحب اللف والنشر ؟ وللجواب عن ذلك نقول : إن ذلك جاء استجابة لمطلب للسياق ، حيث إن السياق يكشف أن الشيطان ليس راصدا على منع الصدقة ، بل إنه يتجاوز ذلك إلى من تصدق ، فلا ينفك عنه ، حتى يبطل صدقته ، ويحولها إثما بعد أن كانت ثوابا بإتباعها بالمن والأذى، فالوعد بالفقر يكون قبل إخراجها،والأمر بالفحشاء يكون بعد إخراجها، وهذا مما استدعى ورود الأسلوب على نهج اللف لتصوير مسلكي الشيطان تجاه الصدقة ، ولو جاء الأسلوب بالطريق المعتاد على النحو الذي ذكرناه سلفا لما لاءم السياق ؛ لأنه على هذا التأويل يفهم أنه حديث عن أمرين مختلفين والسياق قاض بأنه حديث واحد عن مسلكين للشيطان نحو الصدقة قبل إخراجها ،وبعد إخراجها ، بما يدل على عدم

يأسه من إضلال المؤمن ، وقد رأينا السياق يجمل ،ثم يفصل ، كما جـاء في قوله : ــ تعالى ــ (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خـوف علـيهم ولا هـم يحزنون) (البقرة/ ٢٦٢) والآية (٢٦٣) كذلك ، ثم فصل القـول في تصوير من يتبع صدقته بالمن والأذى ، الآية (٢٦٤) ثم أتبعه بتفـصيل القول فيمن يخلص النية لله في صدقته الآية (٢٦٥) ثم يعود إلى تفـصيل آخر لمن يتبع صدقته بالمن والأذى ، الآية (٢٦٦) وهذا مما اقتضى ورود الآية على سبيل اللف والنشر ؛ جمعا لطرائق الشيطان في جانب ، وسبيل الرحمن في الجانب المقابل ، وفي المناسبة قال البقاعي : " ولمـا رغـب ــ سبحانه وتعالى ــ في الإنفاق ،وختم آياته ، بما يقتضي الوعد من أصدق القائلين بالغنى والإثابة في الدارين ، أتبعه بما للعدو الكاذب مـن ضـد ذلك"([1]) وهو مما يؤيد ورود الآية على اللف والنشر .

من أسرار نظم الأسلوب

الآية الكريمة مع ما فيها من أسلوب اللف والنشر تطوي روائـع من البيان منها : أنه عبر باسم (الشيطان) ولم يقل : إبليس ، وذلك لما يحمله معنى شطن في اللغة من البعد ، ترهيبا من اتباعه ، أو أنه من شاط ، بمعنى الهلاك ، ترهيبا لمتبعيه من الهلاك ؛ لذا قال البقاعي : " الـشيطان : أي : الذي اسمه أسوأ الأسماء ، فإنه نقيض الهلاك والبعد ،وأحد الوصفين

([1]) نظم الدرر ٥٢٢/١ .

كاف في مجانبته ، فكيف إذا اجتمعا "(١) والتعبير باسم الشيطان دال على أن من اتبعه بعيد عن رحمة الله هالك ، واللفظ مع بشاعته وقع مسندا إليه مقدما ، وجاء خبره جملة فعلية ،وذلك " أن تقديمه مؤذن بذم الحكم الذي سيق له الكلام " (٢) وفي ورود خبره جملة فعلية تقوية للحكم ، أي : أن ذلك صادر عنه لا محالة ، وقد جاءت جملة الخبر ببناء بديع كاشف عن تأكيدات وقوع توقعات الشيطان ، بيان أن كالناصح الأمين يحفظ مالك أكثر من حفظك له،وذلك أن النظم (يعدكم) والوعد إنما يكون في خير مؤكد وقوعه،فجاء الكلام على سبيل الاستعارة، فقد " شبه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة ،ووجه الشبه ما في الوعد من معنى التحقير "(٣)

كما نلحظ أن المفعول به جاء معرفا (الفقر) على عكس مقابله (فضلا) وذلك أن وعد الكذوب مشحون بالتوكيدات ، أي : إن الفقر كله ، لا بعضه ، ووعد الكريم لا يحتاج توكيدات ، ثم ارتقى النظم في التحذير من الشيطان قائلا : (ويأمركم بالفحشاء) " والمراد بالأمر بذلك:الإغراء،والحث عليه،ففي الكلام استعارة مصرحة تبعية "(٤) وورود الكلام على المجاز أكسبه قوة وتوكيدا ، حيث جعل الوسوسة

---

(١) نظم الدرر ٥٢٢/١ .

(٢) التحرير و التنوير ٥٩/٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٥٩/٣.

(٤) روح المعاني ٤٠/٢ .

أمرا ، وهو مما يكشف عن احتيال الشيطان الذي يصل بالمؤمن إلى حـــد توهمه أمرا ، وقد جاء المفعول به (الفحشاء) بأبشع الألفاظ ،وذلك أن " الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال "([1]) وقد ذكر بعضهم أن المراد بالفحشاء في الآية البخل : " كل فحشاء ذكر في القرآن ، المراد به الزنا ، إلا في قوله : تعالى (الشيطان . . .) فإن المراد : البخل في أداء الزكاة "([2]) وهذا التخصيص الذي ذكره الكفوي وغيره تخصيص سياقي ، و ليس تخصيصا لغويـــا ، والذي أبصره أن الفحشاء هنا كل ما قبح قولا ، ولا فعلا قبل إخــراج الصدقة ، أو بعده كما أفهمه من السياق ، حتى ما يعتري المتصدق مـــن الندم بعد إخراج الصدقة .

ثم جاء في النشر باسم الله العلم ؛ إشعارا بالمهابـــة ؛ لأن لفـــظ الجلالة هو أهيب أسماء الله ــــ عز وعلا ــــ وقوله : (يعدكم) حقيقة في مقابل المجاز ، فالوعد من الشيطان كذب ، ومن الـــرحمن حقيقـــة ، وفي وقوعه كذلك مشاكلة ، وفي ورودها كذلك تصوير لتلبـــيس الـــشيطان وعده بوعد الرحمن ، وقد جاء النشر معكوس الترتيب ؛ تقديما للأبقـــى والأهم ،وهو مغفرة الذنوب .

([1]) المفردات (ف ح ش) ٣٧٤ .

([2]) الكليات ٦٧٤ .

وقد ذكر الفخر أن المراد بتنكير المغفرة تعظيمها " وفي الآية لفظان يدلان على كمال هذه المغفرة،أحدهما : التنكير في لفظة (مغفرة) . . . والثاني : قوله (مغفرة منه) فقوله : (منه) يدل على كمال حال هذه المغفرة . . . فلما خص هذه المغفرة بأنها منه علم أن المقصود تعظيم حال هذه المغفرة ؛ لأن عظم المعطي يدل على عظم العطية "([1]) وهو المناسب لمقابلة الفحشاء التي من اسمها توهم عدم مغفرتها،وقال (فضلا) ولم يقل : رزقا ؛ لأن الفضل يدل على الرزق وزيادة ، وفيه من التعظيم ما فيه ؛ لصدور الوعد به من عظيم ،وهو المناسب لمقابلة الفقر الذي وعد به الشيطان ، ومن مزايا مجيئ الأسلوب على اللف والنشر على التضاد إظهار للفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان ،وما تدعو إليه أوامر الرحمن .

كما أن ورود الأسلوب على اللف والنشر ربط وساوس الشيطان بالفحشاء ،فإيصال المؤمن إليها هي غاية الشيطان من كل إغراء، وهي بغيته من كل وسواس ، ثم ختم الآية بما يناسبها (والله واسع عليم) وقد جاء ختم الآية على ترتيب اللف ؛ تطمينا للمنفق بجني ثمار نفقته في الدنيا ، على أوسع مما يتصور ، ولو قال : رازق مكان : واسع ما نسب الرد على الشيطان ، ولما تناغم مع التعبير بقوله : (فضلا) وقوله : (عليم) أنسب للسياق ، و ربما يتوهم متوهم أن الختم كان أنسب لـ (مغفرة) أن يقال : غفور ، مكان عليم ، لكان ما عبر به هو

([1]) مفاتيح الغيب ٥٧/٣ .

الأبلغ للسياق الذي يتحدث عن خطر الرياء ، هو عمل قلبي لايطلع عليه سوى العليم ، ففيما عبر به تطمين أن الله سيغفر ما ظهر وما بطن،وما برز وما استتر بقرينة ذكرها مع (واسع) فدل الوصف(عليم) على ما يدل عليه (غفور) وزيادة ؛ تلاؤما مع السياق ، وفي وروده على التضاد مع اللف والنشر إلماع إلى التأني في التفكير فيما يوسوس به الشيطان ، وأن أنجع السبل لهزيمته هو تذكر وعد الرحمن .

٤ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (آل عمران / ٧٢،٧٣)

الآيتان من مشكل النظم في القرآن الكريم ،ولم أر أحدا من المفسرين ــ فيما قرأت ــ ذكر أن في الآيتين لفا ونشرا سوى ابن عاشور ، حيث أورد أقوال المفسرين السابقين في قوله : ــ تعالى ــ (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم) فقد اختلفوا على قولين : الأول : أن هذا من قول اليهود ، الثاني : أنه مما أمر النبي ــ ﷺ ــ أن يقوله لهم ([1])

([1]) ينظر الكشاف ١٩٥/١ ، البيضاوي وزادة عليه ٦٣٨/١ ، ٦٣٩ ، الشهاب على البيضاوي ٣٧/٣ وما بعدها ، ومفاتيح الغيب ٢٥٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٧٣،٧٤ ، نظم الدرر ١١٤/١ ، روح المعاني ١٩٣/٢ .

وقد ذكر ابن عاشور أن الأسلوب من اللف والنشر على الاحتمال الثاني ، حيث يقول : " الاحتمال الثاني : أن تكون الجملة مما أمر النبي ـ ﷺ ـ بأن يقوله لهم بقية لقوله (إن الهدى هدى الله) والكلام على هذا رد على قولهم : (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار . . .) وقولهم : (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) على طريقة اللف والنشر المعكوس"([1])وعلى الاحتمال الثاني نكون أمام أربعة أقوال، القولان الأولان لليهود،والثانيان من قوله ﷺ ردا لهما على هذا النحو: .

قولا اليهود : (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) قولا الرسول ـ ﷺ ـ (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وهو رد لقول اليهود الثاني (أو يحاجوكم به عند ربكم) وهو رد لقولهم الأول ، فالأول من النشر للثاني من اللف ، والثاني من النشر للأول من اللف ، والآية على هذا التأويل من اللف والنشر ،وبهذا يعلم أن المفسرين الذين حكوا الاحتمالين ، يكون الاحتمال الثاني جاريا على اللف والنشر غير المرتب ، وإن لم يصرحوا بذلك ، ويبقى للطاهر بن عاشور فضل التصريح بأن الأسلوب من اللف والنشر غير المرتب .

([1]) التحرير والتنوير ٣/ ٢٨٢ .

علاقة الأسلوب بالسياق

الآية الكريمة جاءت صورة تطبيقية لما يضمره اليهود ، كما جاء في السياق (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون) (آل عمران / ٦٩) كما أن الآية محل الشاهد صورة تطبيقية لإلباس الباطل ثوب الحق ، وهو ما أنكر عليهم في السياق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) (آل عمران / ٧١) فما قالوه هو إلباس الحق ثوب الباطل في أبشع صوره ، قال الفخر الرازي ـ كاشفا عن المناسبة ـ " واعلم أنه ـ تعالى ـ لما حكى عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل أردف ذلك بأن حكى عنهم نوعا واحدا من أنواع تلبيساتهم "([1]) وقال البقاعي : " ولما ذكر لبسهم دل عليه بقوله ـ عطفا على (ودت طائفة) مبينا لنوع إضلال آخر ـ (وقالت طائفة . . .) "([2]) " فالطائفة الأولى حاولت الإضلال بالمجاهرة ،وهذه الطائفة حاولته بالمخادعة "([3]) وإجراء الآية على اللف والنشر هو الأشبه بالرد على المخادعة ؛ إلماعا إلى تدبر الشبهة ، والتأني في استكشاف زيفها ، على ما يقتضيه الأسلوب من المهلة في النظر، وجاء اللف والنشر مشكلا في نظمه ؛ مشابهة لما تحدثه المخادعة من الإشكال والحيرة ، التي يؤدي اجتيازها إلى رسوخ الحق في الصدور .

([1]) مفاتيح الغيب ٣/ ٢٥٧ .

([2]) نظم الدرر ١١٣/٢ .

([3]) التحرير والتنوير ٢٧٩/٣ .

الخديعة الأولى في قول اليهود هي (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وإسناد هذا القول إلى (طائفة) فيه إنصاف للخصم ،حيث لم يكونوا كلهم كذلك ، وإتباع المسند إليه (طائفة) بهذا القيد (من أهل الكتاب) فيه توبيخ لهم ، فكيف يكونون من أهل الكتاب ثم يلبسون الحق بالباطل ؟ لذا لم يقل : وقالت طائفة من اليهود ، وجاءت الحكاية عنهم كاشفة عن إمعانهم في الخديعة ، يدل على ذلك اختيار فعل الأمر (آمنوا) فلم يقل : تظاهروا بالإيمان ،وكأنهم يقولون لبعضهم بعضا : أمعنوا في إظهار الإيمان بحيث لا تكشف خديعتكم ،و يقوي ذلك قوله : (أنزل على الذين آمنوا) فلو كانوا يؤمنون بأنه أنزل على الذين آمنوا لاتبعوهم ، وكان الأوجز أن يقال : آمنوا بالقرآن غير أن المذكور كشف عن دواخلهم ، فلم يذكروا المترل بمصطلحه (القرآن) حتى لا يكون ذلك مقابل التوراة ،ووقع هذا القيد (وجه النهار) دلالة على تأكيد الخديعة ، والإمعان في المراوغة ؛ لأن الوجه يطلق على أول ما يستقبل من النهار ، وإظهار الإيمان في أول النهار أقوى في المراوغة ، وآكد في الخديعة ؛ لما فيه من المباغتة ، والإيحاء بأنه إيمان عن طول تفكر وكثرة تأمل ، وتستشعر ذلك لو قلت : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا آخر النهار ، واكفروا وجهه ، ما من ريب في أن ذلك يخل بتلك المرامي ، ويقعد بالخديعة عن التأكيد، وجاء بالطرف الثاني في اللف على وجه الطباق للطرف الأول (

واكفروا آخره) لأن الانتقال من الضد إلى الضد يوحي بالاستكـــشاف المفاجئ لفظاعة الخطأ ، الذي ألجأ إلى الانتقال الفوري للإيمان ، وفي ذلك من الإعلاء للتشكيك ما فيه .

تظاهرت التراكيب ــ كما أبصرنا ــ على بيـــان احتـــشادهم للخديعة قولا وفعلا ، وعقدوا كل هذه الخديعة بهدف ومقصد ، هـــو توقع رد بعض المؤمنين عن دينهم ، ممن كانوا على اليهوديـــة ثم أســـلموا (لعلهم يرجعون) وجاء القول الثاني من اللف (ولا تؤمنوا إلا لمن تبـــع دينكم) متأخرا ، وكان حقه أن يكون أولا ، غير أن الذكر الحكيم قدم الطرف الأول ؛ كشفا لشدة تمالئهم على الخديعة ؛ لذا أخر ما هو الأولى من اللف بالتقديم ؛ لأن غرضهم ليس البقاء على اليهودية حسب ، وإنما رد المسلمين عن دينهم ، وعلى الرغم من أنهم كـــانوا يتـــآمرون علـــى الخديعة ،وهو ما يؤكد التصاقهم بدينهم وولائهم له ، على الـــرغم مـــن ذلك أورد القرآن التصريح بالثبات على الدين ؛ زيادة في التوكيد علـــى إخلاصهم لدينهم ، فالتصريح آكد هنا من التلميح ، لما فيه من فـــضح خديعتهم ، أي : " ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر الذي أتيتم بـــه وجـــه النهار إلا لمن كان تابعا لدينكم أولا ، وهم الذين أسلموا منـــهم ، أي : لأجل رجوعهم؛لأنه كان عندهم أهم وأوقع،وهم فيه أرغب "([1])ونلحظ هنا أنهم قالوا (دينكم) فسموه دينا ، ولم يسموا الإسلام دينا ؛ لذا قالوا

([1]) روح المعاني ١٩٣/٢ .

في الطرف الأول (بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) ولم يقولوا : آمنوا بدين المؤمنين .

وجاء أسلوب النشر ردا على خديعتهم ، وتظاهر التركيب على تثبيت المؤمنين على دينهم ،واستمساكهم به ، وعجل في النشر بالرد على الطرف الثاني من اللف (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) بأسلوب مؤكد بـ (إن واسمية الجملة) (قل إن الهدى هدى الله) أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) كما أن مجيئ الأسلوب على وجه التلقين (قل) تأكيد للمؤمنين على أن المقول وحي من الله ، كما نلمح أن في الأسلوب قصرا، حيث وقع (الهدى) مقصورا عليه ، ووقع (هدى الله) مقصورا، ثم أنكر على المؤمنين أن يمتعضوا من أن يؤتى أحد مثل كتابهم ، كما أوتي اليهود التوراة ، أي : هم أصحاب كتاب ، وأنتم كذلك أصحاب كتاب ، وهو رد منصف ؛ لأنه ليس لمؤمن أن ينكر التوراة ، أي : أنتم أهل الإيمان ؛ لأنه يجب عليكم أن تؤمنوا بكتبكم وكتابهم ، لا أن تنكروا كتابهم ، وهو من أبلغ ما يكون ردا على الخصم ، كأنه قيل : قل إن الهدى هدى الله ، وقل : لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ما قلتم ، وكدتم ما كدتم ؟ ! و يكون قولا من الرسول ـ ﷺ ـ لليهود ، وفيه كشف عن حسدهم وحقدهم على المؤمنين أن تساووا معه في الإيمان بكتاب منزل ، وكانوا من قبل يتعالون على العرب ؛ لأن لهم كتابا ، وليس للعرب كتاب .

وإنما جاء النشر معكوسا ؛ تعجيلا برد الشبهة الثانية التي يـــوحي تركيبها بأن دين المسلمين ليس دينا ، وبالتالي ليس كتابهم كتابا ، فكانت هذه الشبهة هي الأولى بالرد ، ثم جاء الطرف الثاني من النشر ردا علـــى الطرف الأول من اللف سواء أكان خطابا مـــن الرســـول ـــ ﷺ ـــ للمؤمنين ، أم لليهود ، فإن كان خطابا للمؤمنين ، فالمعنى : لا يحاجكم اليهود عند ربكم في الآخرة ؛ لأنه يظهر لهم في الآخرة أنكـــم محقـــون ، وأنهم مضلون " وهذا التأويل يحتاج إضمار حرف (لا) وهو جائز " ([1]) وذلك رد بالغ على اليهود وصنيعهم ، الذي أرادوا بـــه إقامـــة الحجـــة العملية على فساد دين الإسلام باتباعه جزءا من النهار ، والتراجع عنـــه آخر النهار ؛ أملا في إرجاع من أسلم ممن كان على اليهوديـــة إليهـــا ، فطمأنهم الرسول ـــ ﷺ ـــ بعدم ثبات هذه الحجة يوم القيامـــة ، وممـــا قوى من تطمين المؤمنين هذه الإضافة (ربكم) فلم يقل : ربهـــم ، وإن كان خطابا لليهود فهو تسفيه لما زعموه حجـــة ، وتهديـــد لهـــم بـــأنهم بصنيعهم هذا فتحوا باب الاحتجاج عليهم ، حين اتبعوا ديـــن المـــؤمنين وجه النهار ، وأنه سيكون بمثابة الحجة للمسلمين عليكم عند ربكم .

٥ ـــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأمـــا الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بمـــا كنـــتم

([1]) مفاتيح الغيب ٣/٢٦٠ .

تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ (آل عمران / ١٠٦، ١٠٧)

نص كثير من أهل العلم على أن الأسلوب من اللف والنشر المعكوس ،أو غير المرتب ، أو المشوش (١) وهي تسمية لنوع واحد ، وهو المعكوس ، ومن لم يصرح بالمصطلح يؤدي تأويله الأسلوب إليه (٢) أما ابن أبي الأصبع فقد أورد الأسلوب في باب التفصيل النوع المتصل منه ، حيث قال : " فالمتصل منه كل كلام وقع فيه أما و أما . .. وقيل : ذلك إجمال ، وما بعد أما تفصيل ، مثل قوله : ـ تعالى ـ (يوم تبيض وجوه . ..) " (٣) وهو لا يختلف عن القول بأن في الأسلوب لفا ونشرا غير مرتب ، وتقدير الأسلوب : يوم تبيض وجوه فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ، وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وقد ذكر المفسرون بعض أسرار الأسلوب نعرضها في التحليل .

(١) ينظر الإتقان ٩٤/٢ ، التحبير ١٣٦ ، نظم الدرر ١٣٢/٢ ،زادة على البيضاوي ٦٥٩/١ التحرير والتنوير ٤٤/٤ فن البديع ٧٣ ، ألوان من البديع ١١٤ .

(٢) ينظر مفاتيح الغيب ٣١٩/٣ ، البيضاوي ٦٥٩/١ ، إرشاد العقل السليم ٥٣٠/١ .

(٣) بديع القرآن ١٥٤ .

علاقة الأسلوب بالسياق

الأسلوب وقع في سياق الحديث عن اليهود ، وتفرقهم واختلافهم ، أعقب ذلك حديث يدعو المسلمين إلى الاتحاد والاعتصام بحبل الله بما لا نظير له في الذكر الحكيم ، ثم سبق الأسلوب مباشرة بقوله : (و لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (آل عمران / ١٠٥) فجاء الأسلوب كاشفا عن عاقبة هذا التفرق ، وفي هذا قال الفخر : " اعلم أنه ــ تعالى ــ لما أمر اليهود ببعض الأشياء ونهاهم عن بعض ، ثم أمر المسلمين بالبعض ، ونهاهم عن البعض ، أتبع ذلك بذكر أحوال الآخرة ؛ تأكيدا للأمر "([1]) وقال البقاعي : " ولما قدم ما لأهل الكتاب المقدمين على الكفر على علم يوم القيامة في قوله : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) (آل عمران / ٧٧) وختم تلك الآية بأنهم لهم عذاب أليم،واستمر حتى ختم هذه الآية بأنه عظيم ، بين ذلك اليوم بقوله : ــ بادئا بما هو أنكى لهم من تنعيم أضدادهم ــ (يوم تبيض وجوه) " ([2])

من أسرار نظم الأسلوب

([1]) مفاتيح الغيب ٣/ ٣١٧ .

([2]) نظم الدرر ٢ / ١٣٤ .

الأسلوب من اللف والنشر المعكوس ، والآيتان مع مجيئهما على نهج اللف والنشر اشتملتا على محذوفات كثيرة لمجيئهما على نهج الاحتباك أيضا ، والأسلوبان يحتاجان إلى مهلة في الاستنباط ، وتلطف لاستخراج الإيحاءات ، كما أن الآيتين جاءتا على نهج الطباق ،وهذا التشابك يؤدي إلى غزارة المعاني ، وتكاثف الإيحاءات ، ويقتضي مزيد تأمل ، وهذا التشابك لا نظير له في الذكر الحكيم ــ فيما أعرف ــ وبدأ الأسلوب بذكر (يوم تبيض وجوه) والجملة بنيت على الحذف ، إذ حذف المسند والمسند إليه ، وذلك على تقدير أن الظرف منصوب بمحذوف تقديره : اذكر ، واسم الزمان (يوم) معرف بالإضافة " وفي تعريف هذا اليوم بحصول بياض وجوه وسواد وجوه فيه تهويل لأمره ، وتشويق لما يرد بعده من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة والوجوه المسودة ؛ ترهيبا لفريق ، وترغيبا لفريق آخر "([1])

وقد ذكر العلماء لطيفة في وجه الترتيب ، حيث بدأ بذكر المؤمنين ، وختم بذلك ، وجعل ذكر الكافرين وحالهم بين ذكر المؤمنين وحالهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. . . فأما الذين اسودت . . . وأما الذين ابيضت وجوههم . . .) ذكر العلماء أن الترتيب جاء كذلك " تنبيها على أن إرادة الرحمة أكثر من إرادة الغضب ، وأيضا قد استحسن الفصحاء والشعراء أن يكون مطلع الكلام ومقطعه شيئا يسر الطبع ويشرح الصدر ، فكذلك ابتدأ بذكر أهل الثواب ، وختم

([1]) التحرير والتنوير ٤/٤٤ .

بذكرهم "([1]) وقالوا أيضا : " وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكـــن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثواهم "([2]) وهذا هو السر وراء ورود الأسلوب على نهج اللف والنشر غير المرتب .

ولو قدرنا المحذوفات في الآية لقلنا : يوم تبيض وجوه وتـــسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمـــانكم ففي لعنة الله أنتم فيها خالدون ، وأما الذين ابيضت وجوههم فيقال لهم : آآمنتم بعد كفركم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ؛ لذا قال البقاعي : " إثبات الكفر أولا دال على إرادة الإيمان ثانيا ، وإثبات الرحمة ثانيا دال على حذف اللعنة أولا "([3]) وقد تناولت الأسلوب في بحث سابق علـــى نهج الاحتباك ،وقلت : لعل السر في حذف : ففي لعنـــة الله هـــم فيهـــا خالدون هو التعجيل بذكر ذوقهم العذاب الذي جاء نتيجة لعنهم ، وفيه أيضا إشعار بأن العذاب لا يكون إلا عن لعن ، ولعـــل الـــسر في ذكـــر (أكفرتم بعد إيمانكم) هو تبكيتهم وتحسيرهم ومجابهتهم بمـــا يكرهونـــه، ولعل السر في حذف : آآمنتم بعد كفركم ، هو التحاشي من ذكر مـــا يكره المؤمن إذ فيه تذكير بحالة الكفر التي كان عليها قبل الإيمان ، ولعل السر في ذكر (ففي رحمة الله هم فيها خالدون) مشافهتهم بالبشارة التي

([1]) حاشية زادة على البيضاوي ٦٥٩/١ ، وحاشية الصاوي على الجلالين ١٧٢/١ .

([2]) أنوار التتزيل ٦٥٩/١ .

([3]) نظم الدرر ١٣٤/٢ .

هي أحب إلى نفوسهم من حمر النعم ([1]) فالملحوظ أن الأسلوب قد تظاهر على إبداء البشارة والنذارة ، فذكر ما يؤيد هذه وتلك .

وقد جاء بالنشر فعلا ماضيا (ابيضت واسودت) تأكيدا لتحقيق البشارة للمؤمنين ، بإخراج ما لم يحدث في صورة المتحقق المتوقع ؛ وتأكيدا للنذارة في جانب الفريق الثاني ، ناهيك عما في الأسلوب من استعارات ، ودقائق في التركيب كلها تتجه نحو تأكيد البشارة والنذارة ، ولن نتوقف عند حديث المتكلمين في الآية ،ولا عند الخلاف في السواد والبياض ، أحقيقة ذلك أم مجاز ؟ فلذلك مقام آخر ، وخلاصة القول أن أسلوب اللف والنشر جاء غير مرتب هنا ؛ تأكيدا على أن رحمته ــ سبحانه ــ غلبت غضبه ، إذ ذكر طرفي الحديث عن الكافرين بين طرفي الحديث عن المؤمنين ، وقد جاء الأسلوب مطلبا للسياق إذ هو نتيجة الاختلاف المؤدي إلى الالتباس بعد البينات الساطعات (واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) فجاء الأسلوب داعيا إلى التمهل ، وترك الاختلاف.

٦ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴾ (هود / ٩٦،٩٧)

([1]) الاحتباك في الذكر الحكيم ٢٧٨ د/ إبراهيم صلاح الهدهد ، ط ، مؤسسة الإخلاص ١٩٩٩م.

الآية من اللف والنشر غير المرتب عند الشهاب الخفاجي ،وتابعه الآلوسي ،وتأويل الآية على اللف والنشر أحد المسالك في دفع الاعتراض على تفسير (بآياتنا) بالتوراة ، أما تفسير الآيات بالمعجزات الباهرة فلا اعتراض ،وذلك أن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وملئه ، فيكون موسى ــ عليه السلام ــ مرسلا بالتوراة إليهما ، وقد سلك العلماء طريقتين في دفع هذا الاعتراض ، الطريقة الأولى : أن قوله : ــ تعالى ــ (إلى فرعون وملئه) متعلق بالإرسال المطلق (أرسلنا) دون نظر إلى القيد (بآياتنا) وأن بني إسرائيل من ملأ فرعون ، فيكون ضمن الإرسال المقيد بـ (بآياتنا) الطريقة الثانية : أن موسى ــ عليه السلام ــ كما أرسل إلى بني إسرائيل ، فيجب أن يحمل ملأ فرعون على ما يشملهم ، فيجيئ الكلام على التوزيع ، على معنى : أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ، وإلى ملئه بالتوراة ، فيكون لفا ونشرا غير مرتب ([1])وهو وجه جيد يمكن تأويل الآية عليه ، على أن بعضهم قد جعل الآيات والسلطان شيئا واحدا .

علاقة الأسلوب بالسياق

الذي أبصره أن الأسلوب ناظر إلى مطلع السورة الكريمة الذي جاء على اللف والنشر المرتب ،والظاهر أنه قد جاء هنا غير مرتب ؛ تقديما لما هو أعلى وأولى ، فالمعجزات إجمال للرسالة ، والتوراة تفصيل لها، وقصة موسى ــ عليه السلام ــ جاءت في هذا السياق مجملة ،

([1]) ينظر الشهاب على البيضاوي ٥/ ١٣٣ ، روح المعاني ٦/ ٣٢٨ .

اهتمت ببيان العاقبة أكثر من اهتمامهـا ببيـان الرسـالة ، وأوضـاع المقصودين بها ، فناسب أن أسلوب اللف والنشر يـأتي في مثـل هـذه السياقات ، وهذا يظهر من مجرد نظرة سـريعة إلى قـصص النبـيين في السورة الكريمة ، فقد ورد في السورة قصص سبعة من النبيين وأقوامهم ، واختلفت مساحة العرض حسب ما قصدت إليه السورة الكريمة على هذا الترتيب والمساحة :

١ ــ نوح ــ عليه السلام ــ وردت قصته في ٣٧ سطرا .

٢ ــ هود ــ عليه السلام ــ وردت قصته في ١٥ سطرا .

٣ ــ صالح ــ عليه السلام ــ وردت قصته في ١٣ سطرا .

٤ ــ إبراهيم ــ عليه السلام ــ وردت قصته في ٩ أسطر .

٥ ــ لوط ــ عليه السلام ــ وردت قصته في ١٠ أسطر .

٦ ــ شعيب ــ عليه السلام ــ وردت قصته في ٢١ سطرا .

٧ ــ موسى ــ عليه السلام ــ في أقل من ٤ أسـطر ، وقـد اقتضى ذلك عرضها بأوجز الأساليب وأبلغها ؛ وتناسبا مع ختم القصص ، فقد جاءت القصص على عكس المطلع ؛ تفصيلا ، ثم إحكاما، فجـاء الأسلوب في قصة موسى كذلك غير مرتب ؛ تمهيدا لما يبنى على عـرض هذه القصص من تقسيم الناس إلى فرقين : (فمنهم شقي وسعيد) (هود /١٠٥) هذا ما حاولت إبصاره في علاقة الأسلوب بالسياق .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح الأسلوب بـ (لقد) وهي موطئة للقسم ، ففي الأسلوب إيجاز بالحذف من مفتتحه ، وقد اختصت هذه القصة بذكر المسند والمسند إليه (أرسلنا) هي،وأول قصة في السورة(ولقد أرسلنا نوحا. . .) (هود / ٢٥) وحذف المسند والمسند إليه في بقية القصص ، تأمل (وإلى عاد أخاهم هودا...)(هود/٥٠) (وإلى ثمود أخاهم صالحا) (هود / ٦١) (وإلى مدين أخاهم شعيبا) (هود / ٨٤) وفي افتتاح القصة بهذه الطريقة لفت إلى أول القصص ورودا في السورة ،وهو أشبه بطريقة أسلوب اللف والنشر ،وشئ آخر هو أن موسى لم يكن من الفراعنة حتى يقال : وإلى فرعون أخاهم موسى ،وقد كان مرسلا إليهم كما كان مرسلا إلى بني إسرائيل ؛ لذا لم يصلح أن يقال : وإلى بني إسرائيل أخاهم موسى ، فلله نور هذا الكتاب ، وقد قدم (بآياتنا) على (سلطان) تقديما لما هو أشرف وأعلى دون نظر إلى الرتبة التاريخية ، حيث إن المعجزات : العصا وغيرها جاءت أولا،ثم جاءت التوراة ثانيا ؛ إيذانا بأن الشئ في ذاته ، وبما يحمله في طياته هو المعتبر عند التشريف، وليس قدم الشئ أو حداثته بمعتبرين في التشريف ، ثم جاء الطرف الثاني من اللف (وسلطان مبين) وقد جبر تأخيره بوصف يكشف عن شرفه وقوته (مبين) وقد جاء المرسل به ملفوفا هكذا ، لارتباط المصدر وتلازمه ، فالكتاب السماوي تأييد للرسول،وكذلك المعجزات الحسية،وكل ذلك من أجل لفت الأقوام إلى الواحد،وفي النشر قدم

(إلى فرعون) بيانا لعظم جرمه ، وفظيع ذنبه إذ لو آمن لآمـن النـاس جميعا ، وناسب ذلك ختم الآية بقوله : (فاتبعوا أمر فرعون) فقـدم في النشر الأفظع على من دونه ، والمتبوع على التابع .

وفي قوله : (وملئه) لطيفة تضاعف من جرم فرعـون ومـن حوله من بطانته ؛ لذا قال البقاعي : " (وملئه) أي : أشـراف قومـه الذين تتبعهم الأذناب ، لأن القصد الأكبر رفع أيديهم عن بني إسـرائيل "([1]) وهو يشير إلى مثل قوله : ـ تعالى ـ (فائتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم . . .) (طـه / ٤٧) (أن أرسـل معنا بني إسرائيل) (الشعراء / ١٧) وهذا تبشيع للجرم ، فلم يكتفـوا بعدم الإيمان بل أسرفوا حين أجبروا غيرهم على هذا ، هذا والتركيـب بهذه الهيئة من خصائص سورة هود ؛ لذا حاولنـا استكـشاف علاقـة الأسلوب بالسياق .

٧ ـ قال : ـ تعالى ـ ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أوديـة بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفـاء وأما ينفع الناس فيمكـث في الأرض كـذلك يـضرب الله الأمثـال﴾ (الرعد/١٧)

([1]) نظم الدرر ٥٧٣/٣ .

قوله : ــ تعالى ــ (كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) من اللف والنشر غير المرتب عند البقاعي وأبي السعود والصاوي ([1]) على أن قوله (فأما الزبد . . .) راجع لقوله : (الباطل) وقوله : (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) راجع لقوله : (الحق) وهو ما ينطبق عليه تعريف اللف والنشر ، وقد أشار كثير من أهل العلم إلى أن الزبد مثل الباطل، والماء الذي ينفع مثل الحق ، وهذا التأويل هو ما ينطبق عليه مصطلح اللف والنشر ([2])

هذا ، وقد ذهب الشهاب ،ونقل عن الطيبي أن الآية من الجمع والتقسيم ، وتبعهما الآلوسي ، قال الشهاب : " والآية من الجمع والتقسيم على ما فصله الطيبي ([3])والحق أن الآية لا ينطبق عليها مفهوم اللف والنشر ، وقد مضى التفريق بينهما في التمهيد ، والذي نلحظه أن في الآية ذكر متعدد على التفصيل ، ثم ذكر ما لكل من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه ، فالأولى إجراء الآية على اللف والنشر غير المرتب .

([1]) ينظر نظم الدرر ٤/ ١٤١ ، إرشاد العقل السليم ٣/ ٤٥٠ والصاوي على الجلالين ٢/ ٢٥٢ .

([2]) ينظر الكشاف ٣٥٦/٢ ، المحرر الوجيز ٣٠٧/٣ ، القرطبي ٢٠٠/٥ ، البيضاوي ١١٥/٣ ، التحرير والتنوير ١٢٠/١٣ .

([3]) ينظر الشهاب على البيضاوي ٢٣٣/٥ ، روح المعاني ٧/ ١٢٥ .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب مناسبا للسياق الذي يتحدث عن الحق والباطـــل، وبينهما من الالتباس ما بينهما ، مما يقتضي التأني وحسن النظر ، وكذلك أسلوب اللف والنشر ــ لاسيما إذا كان غير مرتب ــ يحتاج إلى التأني وحسن النظر ، وقد جاء الأسلوب ناظرا إلى قوله : ـــ تعـــالى ــ في السياق (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هـــل تـــستوي الظلمـــات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقـــه فتـــشابه الخلـــق علـــيهم) (الرعد/ ١٦) فجاء الأسلوب مخاطبا إياهم بما يلائم حالهم من الاخـــتلاط والتلبيس والالتفاف حول الحق ؛ تعمية على نـــوره وجلالـــه ، فجـــاء الأسلوب مخاطبا إياهم دالا على أن الحق هو الخـــير ، وإن خلطـــوا مـــا خلطوا ولبّسوا ما لبّسوا ، وقد حسن الأسلوب مجيئه على نهج الطبـــاق، وهو الألصق بالمقصد،والسياق الذي يتظاهر على بيان المؤمن من الكافر، والإيمان من الكفر ، باستخدام التصوير طريقا لذلك ، فقد بنى كل طرف على التضاد (الحق والباطل) (يذهب جفاء ــ يمكث في الأرض) .

من أسرار نظم الأسلوب

نلحظ أنه في أسلوب اللف قدم الأعلى ، وفي أسلوب النشر قدم الأولى بالهدم ؛ تعجيلا بنقضه ، وإشارة إلى أن الحق ثابت بطبعه ،وهو في هذا النظم يجري على نسق السياق ، فقد قدم ما هو مثل للكافر والكفر، على ما هو مثل للمؤمن والإيمان (قل هل يستوي الأعمى والبـــصير أن هل تستوي الظلمات والنور) (الرعد /١٦) فكأن السياق يتجـــه إلى

نقض الباطل بالدرجة الأولى ، فجاء الأسلوب متناغما مع سياقه ؛ لـــذا قال البقاعي في التقديم لقوله : ـــ تعالى ـــ (فأما الزبد . . .) " ولما نبه بهذا الفصل على علو رتبة هذا المثل شرع في شرحه ، فقال ـــ مبتدئا بما هو الأهم في هذا المقام ، وهو إبطال الذي أضلهم...ـــ (فأما الزبد.. .) "[١] كما أن هذا المثل يطوي بشارة " بأن الفريق الأول هـــو البـــاقي الدائم، وأن الفريق الثاني زائل بائد "[٢]

وقد لحظ أبو السعود شيئا آخر في المغايرة في الترتيب ، حيـــث قال : " فالمراد بالمكث في الأرض ما هو أعم من المكث في نفسها ، ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها ، وتغيير ترتيب اللف الواقـــع في الفذلكـــة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حـــالتي الـــذهاب والبقاء ، وبين ذكريهما ، فإن المعتبر إنما هو بقاء الباقي بعد الذاهب ، لا قبله "[٣] أي : أنه ترتيب حسب الواقع المنظور ، والذي أبصره أيضا أن هذا الأسلوب من أبلغ ما يكون مطابقة للواقع والحقيقة ،وذلك أن الزبد يكون فوق الماء ، مع أن الأول فاسد ، لكنه سرعان ما ينمحـــي هـــذا الزيف ، وذلك الفساد ليظهر وجه الحق ، وأسلوب اللف والنـــشر هـــو الملائم لهذا الموضوع ، فالباطل قد يعلو الحق ، وهما معنويان ، وقد جاءا على نهج اللف ، والزبد يعلو الماء مع فساده ؛ لذا جاء على نهج النـــشر ،

---

[١] نظم الدرر ٤/١٤١ .

[٢] التحرير والتنوير ١٣/١٢٠ .

[٣] إرشاد العقل السليم ٣/ ٤٥٠ .

فجعل المثل طرفا ، والممثل له طرفا ، وأسلوب اللف والنشر هو أصلح الأساليب لعرض مثل هذه القضية ، لما فيه من الحث على المتابعة التي تلائم متابعة الزبد فوق الماء ، وكيف يضمحل شيئا فشيئا ، حتى ينصع وجه الماء إلى آخر ذلك ، مما يمكن أن يقال في هذا الإعجاز .

٨ ـــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما نتزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر / ٦:٩)

نص الصاوي وابن عاشور على أن هذا الأسلوب من اللف والنشر المشوش أو المعكوس ، وذلك أن الآيتين (٦،٧) مقالتان للكفار ،والآيتين (٨،٩) رد لهاتين المقالتين ([1]) ومن المفسرين من رأى أن قوله : ـــ تعالى ـــ (ما نتزل . . .) رد لقولهم : (لوما . . .) وقوله : (إنا نحن نزلنا . . .) رد لقولهم " (وقالوا يا أيها . . .) غير أنه لم يصرح بأن الأسلوب من اللف والنشر ([2]) ومنهم من نبه فقط إلى أن قوله : ـــ تعالى ـــ (إنا نحن . . .)رد لمقالتهم في قوله : (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر . . .) "([3]) والذي أبصره أن الأسلوب من اللف والنشر غير المرتب ،وأصل الكلام : وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر

([1]) ينظر الصاوي على الجلالين ٢٧٢/٢ ، التحرير والتنوير ٢٠/١٤ .

([2]) ينظر نظم الدرر ٢٠٦/٤ ، روح المعاني للآلوسي ٢٦٠/٧ .

([3]) ينظر الكشاف ٣٨٧/٢ ، والبيضاوي وزادة عليه ١٤٧/٣ ، المحرر الوجيز ٣٥١/٣ .

إنك لمجنون ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، وقالوا لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ، ما نتزل الملائكة إلا بالحق ، غير أن الأسلوب جاء على نهج اللف والنشر غير المرتب لأسرار بيانية .

علاقة الأسلوب بالسياق

الأسلوب ناظر إلى مطلع السورة الكريمة الذي يجمل مقصودها ، فمقصودها : " وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة للحق من غير اختلاف أصلا "([1]) والمطلع يصف القرآن العظيم بأنه في الذروة من الإبانة (آلر تلك الكتاب وقرآن مبين) (الحجر/١) ثم أعقبها بعد ذلك بأسلوب (ربما . . .) الذي تفردت به السورة الكريمة،وهو جار على طريقة العرب في التهديد ، كقولك الملك لواحد من رعيته : ربما تتمنى أنك ما أخطأت ! فربما هنا للتكثير ، لا للتقليل ، وهذا الأسلوب يعكس مدى إصرارهم وعنادهم الذي إلقاء الشبهات من آثاره ، فجاء الأسلوب جامعا لشبهتين عظيمتين : طلبهم إنزال الملائكة ، ورميه ـ ﷺ ـ بالجنون ؛ لذا قال البقاعي : " ثم لما أجابهم بهذا الجواب الدال على تمام القدرة ،وكمال العلم الدالين على الوحدانية ، عطف على ما تقدم أنه في قوة الملفوظ قوله ـ دالا على تركهم الجواب إلى التعنت والسفه ـ (وقالوا يا أيها . . .) "([2])

([1]) نظم الدرر ١٩٩/٤ .

([2]) نظم الدرر ٢٠٦/٤ .

وقال الفخر : " اعلم أنه ــ تعالى ــ لما بالغ في تهديــد الكفــار ذكر بعده شبههم في إنكار نبوته "([1]) فجاء أسلوب اللف والنشر عاكسا سبب المبالغة في التهديد ، إذ ذكر شبهاتهم متتابعة ، ولم يفرقها ، كقولك ، قتلته ، فقد سرق ونهب وزنى وقتل . . . ولو جاءت الشبهات مفرقة لما لاءم ذلك سياق المبالغة في التهديد والوعيد ؛ لذا رأى ابن عاشور أن قوله : ــ تعالى ــ (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه . . .) عطف علــى جملة (ذرهم يأكلوا . . .) والمناسبة أن المعطــوف عليهــا تــضمنت انهمــاكهم في الملــذات والآمــال ، وهــذه تــضمنت توغلــهم في الكفر ،وتكذيبهم الرسالة المحمدية ([2])

من أسرار نظم الأسلوب

نلحظ أن النظم الكريم بدأ بهذه الشبهة ؛ كشفا عن عنــادهم ، التي دفعتهم إلى المبادرة بالاستهزاء بالنبي ــ ﷺ ــ ورميــه بــالجنون ، ومقصودهم من ذلك الطعن في القرآن الذي جاء بــه ، وقــد كــشف التركيب عن شدة استهزائهم (يا أيها الذي نزل عليــه الــذكر . . .) بالإطالة في الكلام التي تصور استمراء السخرية ، وكان يمكن أن يقال : وقالوا يا محمد ، غير أنه جيئ بهذا الأسلوب " تشهيرا بالوصف المنادى به ، واختيار الموصولية لما في الصلة من المعنى الذي جعلوه ســبب التــهكم

([1]) مفاتيح الغيب ١٢١/٧ .

([2]) التحرير والتنوير ١٦/١٤ .

"([1]) وقد سموه ذكرا استهزاء ، لا إقرارا ([2]) بقرينة قوله: (إنك لمجنون) " فالكلام على جهة الاستخفاف ، أي : بزعمك ودعواك . . . كما تقول لرجل جاهل ، أراد أن يتكلم فيما لا يحسن : يا أيها العالم لا تحسن تتوضأ"([3]) وقد جاء الأسلوب كذلك ؛ إشعارا باستحقاقهم المبالغة في التهديد والوعيد،والأسلوب مشحون بالاستهزاء،فقد سموه تتريلا (نزل).

وقد جاء قولهم : (إنك لمجنون) بأساليب التوكيد المتنوعة لمعرفتهم أن كلامهم لا جواب له سوى الإنكار الشديد لما يقولون ، وقد جاء كذلك أيضا ؛ كاشفا عن تعنتهم في تسفيهه ـ ﷺ ـ وقد جاء الطرف الثاني مصدرا بأداة تفردت بها السورة الكريمة (لوما) كشفا عن استحقاقهم التفرد بهذا الأسلوب من التهديد (ربما) الذي تفردت به السورة الكريمة أيضا ، و (لوما) لم ترد في كلام العرب إلا لمعنى التحضيض ، ولا تدخل إلا على الأفعال عند المالقي ([4]) وتأتي للامتناع لوجوب ،وتدخل على الأسماء حينئذ ، وتأتي حرف تخصيص أيضا ،

([1]) التحرير والتنوير ١٦/١٤ .

([2]) ينظر الصاوي على الجلالين ٢٧٢/٢ .

([3])ينظر الكشاف ٣٨٧/٢ و القرطبي ٩/ ٥ و الصاوي على الجلالين ٢٧٢/٢ ، وروح المعاني ٢٥٩/٧ .

([4]) ينظر رصف المباني ٢٧٩ لأحمد المالقي ، تحقيق د/ أحمد الخراط ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ .

وتدخل على الأفعال عند المرادي وابن هشام ([1]) والمهم عندنا في هـــذا المقام أنه لا بد من وجود ملحظ لطيف بين (ربما) في قول ربنا،و(لوما) حكاية لقولهم ، فهو تفرد في الاستخفاف قوبل بتفرد في التهديد ؛ لـــذا لم يقل : لولا ،والكلام هنا كلام عجيب ، فالواجب عليهم بعد رميهم إياه بالجنون ألا يطلبوا منه شيئا ؟ فهل يطلب من مجنون ؟ لكـــن القـــرآن بنظمه كشف أنهم ليسوا على شئ ، وأنهم متناقـــضون مـــع أنفـــسهم ، وقولهم هذا يوهم أنهم مترددون في التصديق ،ولو أتاهم بالملائكة لصدقوا ، فكيف يتوقع تصديق المجنون ؟ فماذا لو أتاهم بالملائكة ؟ إنه نظم بديع ، ثم جاء أسلوب النشر بعد ذلك على عكس ترتيب اللف ؛ إشعارا بأن المقالة الأولى لا تستحق التعجيل بردها ، وفي ذلك توهين لما بدأوا بـــه ؛ اعتقادا بأهميته ، كردك على من يقول لك : إني أتهمك بالغباء والسرقة ، فتقول :السرقة لا تثبت إلا بدليل ، وما رميته بي من الغباء يدحضه . . .

ويؤيده أن رد هذه المقالة (إنك لمجنـــون) لم يكـــن ردا لـــنص شبهتهم ، وإنما جاء الرد بطريقة تستخف بمقالتهم ، إذ تحدث الرد عـــن أن الكتاب محفوظ ، وكان الظاهر أن يقال: إنـــا لم نرســـل أي رســـول مجنـــون ، فتأمل هذا فإن فيه استخفافا في الرد مقابل اســـتخفافهم بـــه

([1]) ينظر الجنى الداني ٦٠٨ ، لأبي الحسن بن قاسم المرادي تحقيق د / فخر الدين قباوة وآخـــر ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢، ومغني اللبيب١ /٢٧٦ لابن هشام تحقيق محمـــد محيـــي الدين عبد الحميد ، ط ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٧ .

ـــ ﷺ ـــ فالاستخفاف قواه هنا أمران أولهما:تأخيره إلى منتهى الكلام ؛ إيذانا بعدم أهمية مقالتهم، وعدم رد عين مقالتهم ، والرد بطريقة أخرى .

ومجمل القول : أن الأسلوب جاء على نهج اللف والنشر غـــير المرتب ؛ كشفا عن شدة عنتهم وعنادهم ، فجاءت الشبهتان متلاحقتين ؛ كشفا عن إمعانهم لطلب الغلبة ، كمن يسارع بإلقاء تهم متعددة حتى يربك الخصم ، فلا يقدر على دفعها ، ولو جاء الأسلوب بغير اللف لمـــا عكس هذا الحال ، وجاء النشر معكوسا للسر الذي ذكرناه ، وبدءا بمـــا انتهوا به ، وانتهاء بما بدأوا به ؛ إيذانا بإبطال ما أرادوا مـــن الإربـــاك؛ علاوة على ما ذكر ، وإنما جاء الرد ـــ مع أنهم غير حقـــيقين بـــالرد ـــ إيذانا بقوة الحجة البالغة ، ويحسن هنا أن نذكر قول ابن عاشور : " جاء نشر الجوابين على عكس لف المقالين ؛ اهتماما بالابتدا برد المقال الثاني ؛ لما فيه من الشبهة بالتعجيز والإفحام "([1])

٩ ـــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكـــل باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيهـــا نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنـــا الغفـــور الـــرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ (الحجر / ٤٢:٥٠)

([1]) التحرير والتنوير ١٤/٢٠ .

هذا الأسلوب من أطول أساليب اللف والنشر التي رأيتها عند المفسرين ، فقد قال : البقاعي : ــ تعليقا على الآيتين الأخريين (نبــئ عبادي . . .) ــ " فعلم أن الأول لمن استغفر ، والثـاني لمـن أصـر ، وعرف من ذلك أن المتقين إنما دخلوا الجنة بعفوه ، والغاوين إنما عــذبوا بعدله ، فهو لف ونشر مشوش على ما هو الأفصح "([1]) وقال الصاوي : ــ تعليقا على الآيتين أيضا ــ " أتى بهذه الآية لمناسبة ذكر النـار أولا، فقد ذكر النار والجنة ، ثم ذكر ما يناسب كلا على سبيل اللف والنـشر المشوش "([2])

هذا ، وقد ذكر المفسرون أن الآيتين الأخيرتـين (٤٩ ، ٥٠) فذلكة لما سبق ، أو إجمال أو تقرير أو تأكيد من الوعد والوعيد وتأكيد لهما "([3]) وهذا يعني أن الوعد هو قوله : ــ تعالى ــ (أني أنـا الغفـور الرحيم) وهو يناسب ما ذكر ثانيا من الجنة وأهلها ، والوعيد هو قوله : (وأن عذابي هو العذاب الأليم) وهو يناسب ما ذكر أولا مـن جهـنم وأهلها ، وهذا التأويل يؤيد الاتجاه بأن الأسلوب من اللف والنشر غـير المرتب ، وهذا يعني أن اللف والنشر كما يكون في الجملة الواحدة كمـا يكون في الجمل المتعددة ، وكانت كلمة البلاغيين في التعريـف دقيقـة

([1]) نظم الدرر ٢٢٥،٢٢٦/٤ .

([2]) الصاوي على الجلالين ٢٧٧/٢ .

([3]) ينظر الكشاف ٣٩٢/٢ ، البيضاوي ٢٩٨/٥ ، المحرر الوجيز ٣٦٤/٣ ، الشهاب على البيضاوي ٢٩٨/٥ ، روح المعاني ٣٠٣/٧ .

(١٤٧)

حيث قالوا في التعريف : ذكر متعدد . . . دون نص على نطـــاق هـــذا التعدد ، وهو ما ذكره ابن حجة من أن اللف والنشر كما يكـــون بـــين اثنين يكون بين ثلاثة وأكثر ، كما مضى بيانه في التمهيد .

علاقة الأسلوب بالسياق

الملحوظ أن هذا الأسلوب وقع إثر الحوار الذي سجله القـــرآن الكريم مع الشيطان ، وبيان الامتثال المتناهي لأوامر الله مـــن الملائكـــة ، والعصيان المتناهي لأوامر الله من الشيطان ، وتوعده بإغواء بـــني آدم ، وبيان عجزه عن إغواء العباد المخلصين ، فجاء الأسلوب ؛ كاشفا عـــن أن ما يملك الوعد والوعيد هو الله وحده كما يوحي بذلك التركيـــب (نبئ عبادي . . .) هذا ، وطرائق إبليس كلها طرائق تخليط وتلبيس ، ألا تبصر قوله : (لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) (الحجر / ٣٩) فجاء أسلوب اللف والنشر غير المرتب تعقيبا على قصته ؛ إيحـــاء بأنـــه ببعض من التدبر ، وشيئ من التأني تنكشف طرائقه ، ويتبين تلبيسه ، وأنه لا يمكن أن يخطئ عاقل في تمييز من بيده الوعد والوعيد من غيره ، فجاء بأسلوب مبني على الثقة في السامع ، وإسناد الأمر إليه في التمييز ؛ تنبيها على وضوحه وظهوره .

من أسرار نظم الأسلوب

ليس بوسعنا هنا الوقوف على دقائق النظم في هذه الآيات ؛ لأنه مما لا يتسع له المقام ، وإنما نذكر بعض اللطائف التي تتـــصل بأســـلوب اللف والنشر هنا ، من ذلك أنه قدم في اللف جهنم وأهلها تقديما للوعيد والتهديد على الوعد ؛ تناسبا مع السياق ، ومع مطلع السورة الكريمـــة الذي بدأ بالوعيد (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمـــون) (الحجـــر / ٢) وقـــد جـــاء

بأسلوب الالتفات ؛ إعلانا لشدة الغضب ، وتحاشيا من المواجهة بالخطاب (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) ولم يقل : لموعدكم ، وأتبع ذكـــر جهـــنم بجملة وقعت نعتا ؛ ترهيبا وجريا على عادة العـــرب في دلالـــة كثـــرة الأبواب على اتساع المكان .

وأخر ذكر الجنة وأهلها ؛ تنبيها على أن من ملك الوعيد كـــان للوعد أملك ، ومن قدر على التعذيب كان على الرحمة أقدر ، وقد أتبع ذكر الجنة وأهلها بأوصاف تدل على غاية النعيم ، وإخلائها من كل مـــا يعكر على النفس متعتها ، والتأكيد على خلودهم ، وجاء النـــشر علـــى غير ترتيب اللف ؛ تنبيها على أن رحمته ــ سبحانه ــ غلبت غـــضبه ، وافتتح النشر بالفعل (نبئ) لأنه مما يرد في صادق الأخبـــار وآكـــدها ، وجاء مؤكدا ومقصورا بطريق تعريف الطرفين في جزئي اللف والنـــشر ، للكشف عن ثبوت ذلك ودوامه ، وتفرد الله ــ ســـبحانه ــ بـــه ؛ ردا على ما جاء في كلام إبليس من الوعيد والتهديد .

١٠ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا ﴾ (الإسراء / ١٢)

عد بعض المحدثين الآية من اللف والنشر غير المرتب ، حيث إنـــه ذكر ابتغاء الفضل للثاني (النهار) وعلم الحساب للأول (إظلام الليل)

([1]) ولم أر ذلك عند كثير من أهل العلم ، والذي رأيته عند المفسرين : أنه لا خلاف في أن قوله : (لتبتغوا فضلا من ربكم) راجع لقوله : (وجعلنا آية النهار مبصرة) لكنهم نصوا على أن قوله:(ولتعلموا عدد السنين والحساب) راجع للاثنين معا ؛ لأنه يتم الحساب بهما ([2]) لكنه يمكن إجراء الآية على اللف والنشر غير المرتب ، على أساس أن جمهور البشر يضبطون الشهور والسنين بالليالي ، أي : حساب القمر ، كما قال ابن عاشور ، وعليه فيمكن أن يكون قوله : (ولتعلموا عدد السنين والحساب) راجعا إلى قوله : (فمحونا آية الليل) وهذا لا يتعارض مع كون الآية من الجمع مع التفريق؛ لأن محله (وجعلنا الليل والنهار آيتين) فجمع ، ثم فرق ، فقال : (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أما أسلوب اللف والنشر فمن قوله : (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ثم نشر فقال : (لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) .

([1]) ينظر معجم البلاغة العربية ٣٩٢ د/ بدوي طبانة ، والمفصل في علوم البلاغة ٥٧٩ د / على العاكوب .

([2]) ينظر الكشاف ٤٤٠/٢ ، المحرر الوجيز ٤٤٢/٣ ، نظم الدرر ٣٦٧/٤ ، إرشاد العقل السليم ٤٣٠/٣ ، والجلالين بهامش الصاوي ٣٢١/٢ ، والتحرير ١٥ / ٤٥ .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقع الأسلوب بعد قوله : ـــ تعالى ـــ (ويدع الإنسان بالـــشر دعاءه بالخير . . .) (الإسراء / ١١) والشر والخير كالليل والنـــهار، وقد أشار ابن عاشور إلى المناسبة فقال : " عطف على (ويدعو . . .) والمناسبة أن جملة (ويدعو الإنسان) تتضمن أن الإبطاء تأخير الوعـــد لا يرفعه ، وأن الاستعجال لايجدي صاحبه ؛ لأن لكل شئ أجلا ، ولما كان الأجل عبارة عن أزمان كان مشتملا على ليل ونهار متقضيين "([1]) ثم إن حركة الليل والنهار والخير والشر حركة دائبة تشبه ارتباط طرفي اللـــف والشر فالأول منهما نقطة البداية ،والثاني منهما نقطـــة النهايـــة ،وهمـــا يلتقيان على بيان واحد ، فالأسلوب مناسب للسياق وللموضوع .

([1]) التحرير والتنوير ٤٣/١٥ .

الملحوظ هنا أنه بدأ بالليل مراعاة للترتيب ، كما أخبر ربنا (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار . . .) (يس/ ٣٧) وعبر عن تمام الإظلام بقوله : (فمحونا آية الليل) ليكون فاصلا قويا في تحديد السنين والحساب ،وكان القياس أن يقال : فجعلنا آية الليل مظلمة ، وجعلنا آية النهار مبصرة ، غير أنه عبر عن الإظلام بطريق أبلغ ؛ لأن المحو هو الطمس ،وانعدام النور تماما ،واللف فيه طباق حسن يظهر امتنان الله على عباده الذي هو جعل الضدين نعمة ، على غرار التضاد الذي يكون بين الخير والشر عقلا ،وجاء النشر على غير ترتيب اللف بدءا بما الامتنان به أعظم (لتبتغوا فضلا من ربكم) لأن حاجة النفس إلى المعاش الذي به البقاء أعظم وأشد من حاجتها إلى الحساب ، هذا ورجوع كل طرف من النشر إلى صاحبه من اللف يشبه حركة الليل والنهار وتعاقبهما ؛ لذا كان أبلغ الأساليب في التعبير عن هذه الحركة .

١١ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فيلكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ (الكهف / ٢٩، ٣٠)

نص البقاعي على أن الأسلوب من اللف والنشر غير المرتب ، حيث قال : ــ في مناسبة (إنا أعتدنا) لما قبله ــ " ولما هدد السامعين بما حاصله : ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله ــ تعالى ــ أتبع هذا التهديد تفصيلا ، لما أعد للفريقين من الوعد والوعيد لفا ونشرا مشوشا "([1]) وفصل الصاوي هذا الأسلوب فقال : " قوله :(إنا أعتدنا) راجع لقوله : (ومن شاء فليكفر) وقوله : (إن الذين آمنوا . . .) راجع لقوله : (فمن شاء فليؤمن) فهو لف ونشر مشوش "([2]) وهذا الذي ذكره الشيخان تصريحا بالمصطلح ، ذكره غيرهما دون تصريح بالمصطلح ، فقد أشار العلماء إلى أن قوله : (فمن شاء فليؤمن) ليس بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر ،وإنما هو وعيد وتهديد ، كما أشاروا إلى أن قوله : (إنا أعتدنا للظالمين نارا . . .) وعيد المبطلين ،وقوله :

([1]) نظم الدرر ٤/٤٦٥ .

([2]) الصاوي على الجلالين ٣/١١ .

(إن الذين آمنوا . . .) وعـــد المحقـــين ([1]) فكلامهـــم يـــؤول إلى أن الأسلوب لف ونشر غير مرتب .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب في سياق قصة أصحاب الكهف ،وهـــم أوليـــاء الله،وقد جاء عقب القصة أمر النبي ــ ﷺ ــ بترك المعرضين أعداء الله (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكـــان أمـــره فرطـــا) (الكهف/٢٨) وهؤلاء هم الذين يعرفون الحق لكنـــهم يجـــادلون بغيـــة إبطاله،و يتبعون كل الوسائل وصولا لمقصدهم ، فجاء أســـلوب اللـــف والنشر ردا عليهم ببيان أن عاقبة كل ظاهرة ، وكلما كانـــت العاقبـــة ظاهرة كان العذاب على الإعراض عنها أشد ؛ لذا ذكرت عاقبة كل من غير تعيين ثقة بأن كل مستمع يحدد هذه العاقبة ؛ لأنه كتاب حق قيم ، لا عوج فيه ،وهو كتاب نذارة وبشارة ،والأسلوب من خـــصائص ســـورة الكهف ، التي ظهر الحق فيها جليا في قصتهم .

([1]) ينظر مفاتيح الغيب ٤٥٩،٤٦٠/٧ ، القرطبي ٢٥٥/٥ ، إرشاد العقل الـــسليم ٥١٨/٣ ، السراج المنير للخطيب الشربيني ٣٧٤/٢ .

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب في ثوب التهديد والوعيد (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهو تهديد ما بعده تهديد ، وقدم الطرف الأول من النشر (فليؤمن) إيماء إلى أنه هو الأصل ، ولبيان أن " إيمانهم مرغوب فيه"([1]) وأخر الطرف الثاني (فليكفر) إيماء إلى أنه تبديل للفطرة وتغيير لها ، وإيماء إلى أنه غير مرغوب فيه .

وجاء النشر على غير ترتيب اللف ؛ اهتماما بالوعيد والتهديد؛وبيانا للرغبة في الإقلاع عنهما ، كما أن في تقديم الوعيد والتهديد ؛ تأكيدا لتحقيق الوعد ، فمن كان على العذاب قادرا كان على الرحمة أقدر ، وحسبك أنه أسند الفعل لضمير العظمة (إنا أعتدنا) وبأسلوب التوكيد والاستعارة التهكمية (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) (وساءت مرتفقا) وقد اختصت سورة الكهف في هذا السياق بالجمع بين أسلوبي ذم ؛ تذييلا للتأكيد على فظاعة مآلهم ([2]) (بئس الشراب وساءت مرتفقا) وفي المقابل جاء بأسلوبي مدح ؛ تأكيدا على عظم الثواب الذي يناله المؤمنون (نعم الثواب وحسنت مرتفقا) هذا وكل إضافة في الوعيد تدل على إضافة الوعد ففي تأخير الوعد مزيد تشويق وتشوف إليه ،والملحوظ أن النظم في الطرف الثاني من النشر جاء

([1]) التحرير والتنوير ١٥ / ٣٠٧ .

([2]) ينظر أسلوب المدح والذم في الذكر الحكيم ١٥٩ ، ١٦٠ د/ إبراهيم صلاح الهدهد ط دار الاتحاد التعاوني ١٩٩٨ م .

مغايرا للطرف الأول ، فلم يكن : إنا أعتدنا للمؤمنين جنات . . . وإنما بدأهم بعنوان الإيمان ، وقد لمح العلامة أبو السعود وجها لطيفا في هذا التغيير فقال:" ولعل تغيير سبكه للإيذان بكمال تنافي مآلي الفريقين "([1])

وما من ريب في أن نار التهديد والوعيد تخمد لو جاء الأسلوب على غير نهج اللف والنشر ، تأمل كيف يحدث ذلك لو قلت : فمن شاء فليؤمن وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . . ومن شاء فليكفر وإنا أعتدنا للظالمين . . . ما من ريب في أن إظهار اللامبالاة الذي يطوي وراءه جحيما من التهديد والوعيد ،وذخرا من الوعد سيذهب لو لم يكن على أسلوب اللف والنشر ، كما أن مجيئه على الترتيب سيتناقض مع ذلك الغضب الذي احتشد له أسلوب اللف ، وعادة الغاضب تقديم العقاب على الثواب ، فجاء الأسلوب على أبلغ ما يكون .

١٢ـ قال : ـ تعالى ـ ﴿ وكان له ثمر فقال له صاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها

([1]) إرشاد العقل السليم ٥١٩/٣ .

حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ﴾ (الكهف / ٣٤:٤٣)

هذا الموضع من اللطائف التي ساقها الله للعلامة الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين حيث علق رد المؤمن قائلا : " قوله : (قال له صاحبه . . .) أي : وهو المؤمن ،وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش ، قوله : (أكفرت . . .) . . . هذا رد للمقالة الأخيرة . . . قوله : (ولولا إذ دخلت . . .) هذا رد للمقالة الثانية.. . قوله : (إن ترن . . .) هذا رد للمقالة الأولى "([1]) وهو مما لم يفتح به لأحد من المفسرين ــ فيما اطلعت عليه من مراجع ــ وقد أشار بعض المفسرين إلى أن قول المؤمن : (أكفرت . . .) رد على قول الكافر : (وما أظن الساعة قائمة . . .) ([2]) وأشار ابن عاشور إلى أن قوله : (إن ترن . . .) مجاوبة صاحبه عن قوله : (أنا أكثر منك . . .) ([3]) وهو مأخوذ من كلام الفخر الرازي ،وهذا الموضع من أطول مواضع اللف والنشر في الذكر الحكيم ، وأصل النظم على النحو التالي :

١ ــ قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ــ فرد صاحبه : إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . . .

([1]) حاشية الصاوي على الجلالين ٣/ ١٣ .

([2]) ينظر مفاتيح الغيب ٧ / ٤٦٤ ، إرشاد العقل السليم ٥٢١/٣ ، السراج المنير ٣٧٧/٢ .

([3]) ينظر التحرير و التنوير ١٥ / ٣٢٤ .

٢ ــ صاحبه : دخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ــ فرد صاحبه ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

٣ ــ قال : ما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ــ فرد صاحبه : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرط بربي أحدا ،لكن الأسلوب جاء على نهج اللف والنشر ، فجمع كلام الكافر في طرف واحد (اللف) وكلام المؤمن في الطرف الثاني (النشر) وجاء غير مرتب للطائف سنذكرها بحول الله .

علاقة الأسلوب بالسياق

سبق أن أسلفنا القول في علاقة الأسلوب في قوله : ــ تعالى ــ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . .) (الكهف / ٢٩ :٣١) وما قيل هناك يقال هنا ،ويضاف لذلك أن ابن عاشور رأى أن الواو في (واضرب) للعطف على جملة (وقل الحق من ربكم . . .) فإنه بعد أن بين لهم ما أعد لأهل الشرك ،وذكر ما يقابله مما أعده للذين آمنوا، ضرب مثلا لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن، وإهانته للكافر ، فكان لذلك المثل شبه بمثل قصة أصحاب الكهف من عصر أقرب لعلم المخاطبين من عصر أهل الكهف "([1])

([1]) التحرير والتنوير ٣١٥/١٥ .

وقد أشار البقاعي ([1]) إلى أن القصة تأييد للضعفاء ، ورد على المتكبرين المذكورين في قوله : ــ تعالى ــ (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . . .) (الكهف/٢٨) وشئ آخر هو أن الموضوع في محاورة بين الحق والباطل ،ولأهل الباطل وسائل متنوعة مباشرة وغير مباشرة ، فعرض الذكر الحكيم مقالات الكافر متلاحقة متتابعة ؛ كشفا عن إحدى وسائلهم في إلقاء الشبهات المتسارعة هجوما على الخصم ، وعدم منحه فرصة للنظر ،وطرائق أهل الباطل في كل زمان عد سعة الرزق ،وكثرة المال والولد دليلا على أنهم على الحق ،وغيرهم من الفقراء على الباطل بدليل ضيق ذات يدهم ،وقلة عددهم ،واغترارهم بزخارف الدنيا التي يجزمون بأنها لن تزول عنهم،ولو تدبرته لوجدته كائنا في عصرنا .

من أسرار نظم الأسلوب

ليس بوسعنا هنا أن نقف عند التراكيب كلها ، لأنه مما لا يتسع له المقام ، وإنما حسبنا فقط أن نحاول سرد إيحاءات حول الأسلوب ،ولماذا جاء على نهج اللف والنشر غير المرتب ، والذي نلحظه أن الذكر الحكيم يعلم أتباعه الطريقة المثلى في دفع الخصم ، وإبطال حججه ، حيث يجب على أهل الحق استفراغ كل مقالات أهل الباطل ، ثم تناولها بالنقض على حسب أهميتها ، والملحوظ هنا أن أقوال الكافر جاءت متتابعة كأنها مرتبة حسب السبب والمسبب ، حيث عد كثرة المال والولد ؛ دليلا على أنه

([1]) ينظر نظم الدرر ٤ / ٤٦٧ .

على الحق ، ثم بين أن الحق هو الشرك بالله ،وكأنها مقدمة تسلم إلى نتيجة ، فجاء النشر على غير نهج اللف بادئا بهدم النتيجة : الكفر بـــالله ، وإذا هدمت النتيجة هدمت مسبباتها ؛ لأن فساد النتيجة دليل علـــى فـــساد السبب ، وبهذا يكون سر الترتيب في اللف والنشر قد اتـــضح ،وســـر مجيئ الأسلوب على اللف والنشر قد ظهر جليا أيضا ، فلو فـــرق بـــين هذه المقالات لفسد المراد ، فمراد الكافر إظهار أنه على الحق ، بترتيـــب كلامه على النهج الذي يسلم إلى أنه على الحق ، وليس مراده أن يلقـــي بشبهة واحدة ، ثم أخرى ،وإنما هي مقالات على الترتيب ؛ لذا جاء الرد أيضا على عكس الترتيب ؛ تنبيها ببيان فـــساد الأقـــوى علـــى فـــساد الأضعف ؛ لذا جاء عقاب الله بهدم ما كان سببا في الطغيـــان والعنـــاد والظلم ،فجاء بعد رد المؤمن مباشرة (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) (الكهف / ٤٢) وهذا يكشف عن أن فكره كان مقلوبا فاعتدل ، حيث إن كلامه بعد زوال جنته انقلب ، فقد عد الشرك بالله ســـببا في زوال النعمة ، بعد ما كانت النعمة في نظره سببا في الشرك بالله.

وكانت النتيجة في الواقع مطاقة لما رد به المؤمن عليه ، حيث بدأ في الرد ببيان أن شركه بالله هو أبشع شئ على الإطلاق برده إلى تـــذكر الخلـــق الأول ،وما كان عليه المحاور من الضعف (من تراب ـــ ثم من نطفـــة ـــ ثم سواك رجلا) ثم بادر بالإقرار بالتوحيد ، ثم دله بعد ذلك علـــى أنـــه لابد أن يقترن دخوله جنته بتذكر أن هذه نعمة التوحيد ،وأنه لولاه مـــا

أوتي هذه الجنة (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بـــالله) ثم لفته إلى أن زوال جنته من أيسر ما يكون على الله إن أراد ، فهو إن كان يملك سقيها والعناية بها ، فهو لا يملك أن يدفع عنها شرا من السماء ، بل إنه إن كان يملك سقيها فهو لا يملك الماء الذي يسقيها به (أو يصبح غورا فلن تستطيع له طلبا) وهذا إبطال لمقالات الكافر بـــأقوى طريق ؛ لذا جاء الرد مقلوبا على عكس ترتيب مقالات الكافر،وأسلوب اللف والنشر هنا هو الملائم لسياق الحال والمقال ،ولم يكن من البلاغـــة على الإطلاق أن يعقب كل مقالة بالرد عليه ؛ لأن مقالات الكافر بمثابة المقدمة التي تؤدي إلى نتيجة في زعمه ، فجاء أسلوب النشر من أبلغ مـــا يكون بإبطال النتيجة المزعومة ،والتأكيد على فسادها وبطلانها بإبطـــال مقدماتها المزعومة ، فلم يبق للكافر من بعد ذلك شئ ، فلله نـــور هـــذا البيان .

١٣ ـــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولـــوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرســـول إلا البلاغ المبين ﴾ (النور / ٥٤)

صرح العلامة الصاوي بأن في الآية لفا ونشرا غير مرتب ، فاللف في قوله : (فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) والنشر في قوله : (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) فقوله : (وإن تطيعوه تهتدوا) راجع لقوله : (وعليكم ما حملتم) وقوله : (ومـــا علـــى الرســـول إلا

البلاغ المبين) راجع لقوله (فإنما عليه ما حمل)"([1]) وهذا الذي ذكـــره الصاوي ذكره السابقون غير أهم لم ينصوا على أن في الأســـلوب لفـــا ونشرا ([2]) ففي الأسلوب لف ونشر غير مرتب .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب في سياق الحديث عن المنافقين وكذبهم ؛ لذا كشف ابـــن عاشور عن المناسبة قائلا : ــ بعد ذكر الآية محل الـــشاهد ــ " تلقـــين آخر للرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ بما يرد بهتانهم بقلة الاكتـــراث بمواعيدهم الكاذبة ،وأن يقتصروا من الطاعة على طاعة الله ورسوله فيما كلفهم دون ما تبرعوا به كذبا "([3]) يشير بذلك إلى قوله : ــ تعالى ــ (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرهم ليخرجن قـــل لا تقـــسموا طاعـــة معروفة إن الله خبير بما تعملون) (النور / ٥٣) لذا جاء الأسلوب المبني على ثقة السامع في رد ما لكل إليه ؛ تناسبا مع هؤلاء المنافقين ؛ إلماعا إلى ظهور الحق ووضوحه ، وأنه أظهر من أن ينص عليه ،و لا يعمـــي عليـــه قسم ولا غيره من وجوه التعمية ؛ لذا قال لهم قبل الأســـلوب (قـــل لا تقسموا طاعة معروفة) وختمت الآية بقوله : (إن الله خبير بما تعملون) " من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب

([1]) ينظر الصاوي على الجلالين ١٣٦/٣ .

([2]) ينظر المحرر الوجيز ١٩٢/٤ ، مفاتيح الغيب ٤١٢/٨ ، تفسير الخازن ٤٤٤/٤ ، وتفـــسير البغوي ٤/ ٤٤٤ ، والسراج المنير ٦٣٥/٢ ، و التحرير والتنوير ٢٨١/١٨ .

([3]) التحرير والتنوير ٢٧٩/١٨ ، ٢٨٠ .

المؤكدة بالأيمان الفاجرة ،وما تضمرونه في قلوبكم من الكفـــر والنفـــاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر"([1]) وقد ناسب قوما كهؤلاء في الخطاب أن يقال لهم : (قل أطيعوا الله وأطيعـــوا الرســـول) فقد " كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به ،والإشعار بـــاختلافهم "([2]) أي : ما عليك إلا العناية بالتبليغ ، وهو ما ختمت الآية به تصريحا ، بعد أن اشعر مفتتحها تلميحا .

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب متعانقا مع السياق ،ومفتتح الآية في التأكيد علـــى مهمـــة الرسول ـــ ﷺ ـــ المحصورة في التبليغ ،وقد وقع اللف جـــواب شـــرط لقوله : (فإن تولوا) تخفيفا لمعاناته ـــ ﷺ ـــ وتسلية له حيـــث كـــان باخعا نفسه على عدم إيمانهم ، وجاء اللف بإنما الـــتي تـــرد في مقامـــات مخاطبة غير المنكر ؛ إلماعا إلى وضوح الأمر وظهوره ،وإن اجتهدوا هم في الذهاب به إلى غير هذا الاتجاه ،وبدأ بالجزء الأول من اللـــف بقولـــه : (فإنما عليه ما حمل) وثنى بالجزء الثاني (وعليكم مـــا حملـــتم) لحظـــا للترتيب الطبعي ، فإنما يكون التبليغ أولا ، ثم الاستجابة وعدمها " ولعل التعبير يالتحميل أولا ؛ للإشعار بثقل الوحي في نفسه ،وثانيـــا للإشـــعار بثقل الأمـــر عليهم ،وقيل : لعل التعبير بذلك في جانبهم للإشعار بثقلـــه

([1]) إرشاد العقل السليم ١٣٨/٤ .

([2]) إرشاد العقل السليم ١٣٨/٤ .

وكونه مؤنة باقية في عهدهم بعد . . . والتعبير بـــه في جانبـــه ـــ عليـــه الصلاة والسلام ـــ للمشاكلة "([1]) وهـــذه المـــشاكلة يناســـبها مجيـــئ الأسلوب على اللف جمعا لكل مع مشاكله ومناسبه .

وجاء النشر على عكس اللف " إشارة إلى أن الترهيب أولى بهم، وأنهـــم ملابسون لما يقتضيه ، وفي الإرشاد : تأخير بيان حكم الطاعة عن بيـــان حكم التولي ؛ لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب ،وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم "([2]) كما أن في تعكيس النشر ؛ إشارة إلى أن قيام الرسول ـــ ﷺ ـــ بما حمله مؤكد الحصول ؛ لذا لم يسارع في النص على عاقبته ، وقدم عاقبة من كان قيامهم بما حملوه مشكوكا فيه ؛ ترهيبا لهم ، وقد جاء الطرف الثاني من النشر بأسلوب القصر ،وبأقوى أدواته ،وفيـــه تخفيف عنه ـــ ﷺ ـــ في تحميل نفسه ما لم يكن عليها من الحزن والأسى على توليهم وإعراضهم ، فقد جمع اللف بين المهمتين،وجمع النـــشر بـــين العاقبتين ، وجعل كل في طرف كشفا عن ارتباطهما في الواقـــع،والتلازم القوي بين المهمتين والعاقبتين ،وهم يوقنون بأنه ـــ ﷺ ـــ قـــام بمهمتـــه على خير وجه وأبينه ، فبقي الاتجاه بالترهيب إليهم في ذروته بأبلغ بيـــان وأوجز تعبير ، وفي التركيب وجوه أخر من التأويل ، ولكل وجه إضاءاته ، ولم نذكرها ؛ لأنها تخرج بالأسلوب عن كونه لفا ونشرا .

([1]) روح المعاني ٩/ ٣٩١ .

([2]) روح المعاني ٩/٣٩٢ .

١٤ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴾ الشعراء/١٠:١٥)

نص الآلوسي ــ رحمه الله ــ على أن ههنا أسلوب لف ونشر غير مرتب ،وذلك أن موسى ــ عليه السلام ــ طلب طلبتين ــ عندما أمر بالذهاب إلى فرعون ــ الأولى : (إني أخاف أن يكذبون . . .) الثانية : (فأرسل إلى هارون) فأجابه الله إلى الطلبتين ،وبدأ بالثانية (قال كلا فاذهبا) وهي جواب لطلبه : (فأرسل إلى هارون) وثنى بالأولى : (إنا معكم مستمعون) جوابا لطلبه (إني أخاف أن يكذبون) ([1]) والحق أن الآلوسي ــ رحمه الله ــ ليس له في هذا إلا النص على أن في الأسلوب لفا ونشرا معكوسا ، فقد سبقه المفسرون إلى القول بأن في الكلام طلبتين وجوابين لهما قال البيضاوي : " قوله (كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) إجابة إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف ،وضم أخيه إليه في الإرسال ([2]) وقال أبو السعود " قوله : (قال كلا فاذهبا . . .) حكاية لإجابته ــ تعالى ــ إلى الطلبتين لدفع المفهوم من الردع عن الخوف ،وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما

([1]) روح المعاني ١٠/٦٦ .

([2]) أنوار التتريل ٣/٤٦٦ .

بطريق التغليب . . . كأنه قيل : ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته . . . (إنا معكم مستمعون) تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية "([١]) وذكر ذلك غيرهما من المفسرين ([٢]) ففي الآيات لف ونشر غير مرتب .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب في سياق تسليته ـ ﷺ ـ والتخفيف عليه من هلاك نفسه لعدم إيمانهم (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) (الشعراء /٢) وقد بدأ السورة بأكثر الأنبياء تحملا ، وأكثر الأقوام عنادا ،وفي ذلك من التخفيف عنه ـ ﷺ ـ في هذ الفترة من الدعوة بمكة ما فيه ، فأورد ذلك على سبيل اللف والنشر جمعا لحالي ضعف موسى ـ عليه السلام ـ في جنب واحد ،وسوقا لطف الله ـ تعالى ـ به في الجنب الثاني ،وذلك ألصق بمقام التسلية ، والتخفيف من التفريق ، فإن أوصاف الخوف إذ ذكرت متتابعة كان ذلك أدل على الضعف ، أي : مهما بلغت من الضعف أيها النبي فلن تبلغ مبلغ أخيك موسى ، وأوصاف الطف والعناية إذا ذكرت متتابعة كان ذلك أدل على الامتنان من تفريقها ؛ لذا بدأ في هذه السورة الكريمة بذكر قصة موسى ـ عليه السلام ـ على خلاف الترتيب التاريخي ؛ لأن مكابرة قوم موسى أشد

([١]) إرشاد العقل السليم ٤/ ٢٠٥ .

([٢]) مفاتيح الغيب ٨/٤٩٥ ، زادة على البيضاوي ٣/٤٦٦ .

من غيرهم ،وإيرادها كذلك أولا ألصق بسياق التسلية ألا تراه ذكـــر في صدر السورة قوله : (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) (الشعراء /٣) وجاءت القصة مفتتحة بـــ (إذ) ويحتمل أن يكون العامل : ذكرهم ، أو اذكر ، وفي السياق ما يؤيد ذلك ، فالقصة تسلية لـــه ـــﷺ ـــ ورد على مشركي مكة .

من أسرار نظم الأسلوب

صور أسلوب اللف ما يعين الكليم ـــ عليه السلام ـــ على الامتثـــال ، حيث ذكر على وجه التتابع ما يمكن ألا يعينه على الامتثال من الخـــوف من مجابهته بالتكذيب من أول الأمر لمكانته منهم ، ولما عنده من حبـــسة اللسان ، والذي يدل على ذلك أنه طلب إنفاذ ما يعينه علـــى الامتثـــال التام ؛ لذا قال أبو السعود : " وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقـــي الأمر في شئ ، وإنما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه "([1]) ومجيئ الأسلوب على اللف يصور تلهفه ـــ عليه السلام ـــ لأمر به ، حيث جاءت مطالبه متلاحقة ،وهو العليم أن ربه ـــ سبحانه ـــ قـــدير على تلبيتها ؛ لذا امتثل فور إجابة مطالبه تمام الامتثال ، كمـــا يـــصوره البيان القرآني حيث حذفت قصة تلبيتهما قوله ـــ تعالى ـــ (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنـــا بـــني إســـرائيل) (

([1]) إرشاد العقل السليم ٤/٢٠٥ .

الشعراء /١٦،١٧) فحذف جملا كثيرة تدل على سرعة التلبية حيث جاء بعد ذلك بجواب فرعون : (قال ألم نربك فينا . . .) .

ثم جاء النشر على عكس اللف (كلا فاذهبا بآياتنا) وقد ذكر الآلوسي أنه قد جاء كذلك " لاختصاص ما قدم بموسى عليه السلام "([1]) وقد جاء النشر أيضا مصورا سرعة التلبية ، ملائما حال الطالب في تلهفه على تمام الامتثال ، وكان المعتاد أن يقال : أجبناك إلى طلبك ، فمر هارون يذهب معك . . . ولكن الرد جاء طاويا كل ذلك ، موجها عنايته بما يترتب على جواب الطلب ،وإني أبصر أن تقديم جواب الطلب الثاني ــ مع ما قاله الآلوسي ــ تأكيدا لإنفاذ الطلب الأول فأخره ليؤكده بطريقتين التلميح إلى إجابته بإجابة ما هو دونه ؛ تنبيها بحصول الأدنى على حصول الأعلى ، ثم جاء التصريح ليؤكد التلميح ، ومما زاده تأكيدا مجيئه بأسلوب الكناية (إنا معكم مستمعون) وهو آكد في إزالة الخوف ، من قولنا : اذهبا بآياتنا ولا تخافا ، كذلك لم يكن (إنا معكم) مع كونه كافيا ، لكنه زاده توكيدا بقوله : (مستمعون) لأن الاستماع أقوى من غيره في هذا المقام ،وأعون على قول الحق بكل سبيل ؛لأن السميع مستمع لما يقال، ثم إنه قال : (إنا معكم) وكان مقتضى الظاهر : إنا معكما ، ولكنه جاء بالجمع ليشمل المرسل إليهم موسى ــ عليه السلام ــ والخلاصة أن النشر جاء على نهج اللف في تمام التلبية مع ما فيه من الإيجاز ، وإثارة النفس .

([1]) روح المعاني ١٠/٦٦ .

١٥ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴾ (الشعراء /١٨:٢٢)

نص البقاعي والشهاب الخفاجي والآلوسي على أن في الآيات لفا ونشرا غير مرتب ،وذلك أن في كلام اللعين أمرين تصدى لهما موسى ــ عليه السلام ــ فردهما على سبيل اللف والنشر المشوش ، فرد أولا بقوله : (قال فعلتها إذ وأنا من الضالين . . .) على قوله ثانيا : (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) ورد ثانيا بقوله : (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) على قوله أولا : (ألم نربك فينا وليدا . ..) "([1]) وإرجاع الكلام إلى ماله ذكره كثير من المفسرين ([2]) دون تصريح بأن الأسلوب من اللف والنشر .

علاقة الأسلوب بالسياق

سبق أن أسلفنا أن السياق لتسليته ــ ﷺ ــ والتخفيف عنه ؛ لأنه باخع نفسه على ألا يكونوا مؤمنين كما جاء في صدر السورة الكريمة ، ومن التسلية أن يعرض له أحوال السابقين ، مظهرا مكابرة

([1]) ينظر نظم الدرر ٣٥٣/٥ ، والشهاب على البيضاوي ٩/٧ ،وروح المعاني ٦٨،٦٩/١٠ .

([2]) ينظر الكشاف ١١٠/٣ ، ١١١ ، أنوار التنزيل ٤٦٧/٣ ، مفاتيح الغيب ٤٩٦،٤٩٧/٨ ، إرشاد العقل السليم ٢٠٧/٤ ، التحرير والتنوير ١١٥:١١٣/١٩ .

الكافرين وتعنتهم مع الأنبياء ؛ لذا ورد في قصة موسى ــ عليه السلام ــ هنا ما لم يرد في مواطن أخر من الذكر الحكيم (قال ألم نربك فينا وليدا . . .) فأورد الله ــ تعالى ــ مقالات اللعين متتابعة لتصوير قوة المجابهة التي كان يلقاها موسى ــ عليه السلام ــ وذلك ألصق بسياق التسلية ،وقد جاء هذا الأسلوب شافعا الأسلوب السابق في تتابع طلبي موسى ــ عليه السلام ــ لمعرفته بمن سيرسل إليه ،ولو فرق أجزاء اللف وأتبع كلا رده لما كانت له هذه البلاغة في إظهار جبروت اللعين ، وجاء النشر كاشفا عن قوة الحجة بأبلغ ما يكون في مقابلة إظهار الجبروت ،وذلك هو الأليق بسياق التسلية .

من أسرار نظم الأسلوب

صور القرآن الكريم طريق المراوغة في الحجاج الذي اتبعه اللعين حيث بدأ كلامه بما لا ينكره موسى ــ عليه السلام ــ وهو الجزء الأول من اللف (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) وأطال الكلام فيها ؛ استمتاعا بإظهار منته عليه ؛ طمعا في رده عما أرسل به إليه ،وترى ذلك واضحا في تركيب هذا الجزء من استفتاحه بالاستفهام التقريري ، وبعنوان التربية (نربك) وذكر هذه القيود (فينا) و(وليدا) إبرازا لضعفه ذاك الوقت ،وحنو اللعين عليه مع ضعفه ، ثم ذكر الزمن،وأعيد ذكر القيد (فينا) تأكيدا للامتنان ،والتنبيه على طول فترة المنة ، (من عمرك سنين) أي : أنت مدين لنا بحياتك ،وقد ذكروا أنه لبث فيهم نحو أربعين سنة .

ثم أتبع اللعين ذلك بالتهديد ، قال البقاعي : " ولما ذكـــره منـــة تحمله على الحياء منه ذكره ذنبا هو أهل لأن يخاف من عاقبته ، فقـــال : ــ مهولا له بالكناية عنه ــ (وفعلت فعلتـــك . . .)"([1]) وإنمـــا جـــاء التهويل من نظم الأسلوب (وفعلت فعلتك التي فعلت) وهو تركيـــب نادر لم يرد في غير هذا الموضع من الذكر الحكيم ،وتـــرى الأســـلوب متظاهرا على تبشيعها ،وكان يمكن أن يقال : وقتلت نفسا بغير حق ، إلا أن في ذكرها على هذا النهج تهويلا ما بعده تهويل ،وأتبع ذلك بجملـــة حالية (وأنت من الكافرين) وضعا للمقالة الثانية مـــع الأولى في ســـياق واحد ، أي : أن كفرك بنعمتنا عليك أولا حملك على فعل ذلك ثانيـــا ؛ زيادة في توبيخه ــ عليه السلام ــ ولومه ، وهذا من أسرار اللف أيـــضا ، فلو فرق في الأجزاء ما اجتمع له هذا القدر من التوبيخ واللوم، حيـــث أظهر الأسلوب أن كفره أولا دفعه إلى فعلته ثانيا ، وثالثا بمجابهتـــه مـــن أنعم عليه بما يغضبه .

وجاء النشر بأبلغ بيان حيث بدأ برد ما يجافي نبوته أولا (قـــال فعلتها . . .) من جنس الكلام ، وكان يمكن أن يقال : قتلته ، لكن لن يكون على هذا الحد من البلاغة ، وقد بدأ به اهتمامـــا ، كمـــا ذكـــر الآلوسي ([2]) وأضيف أن في البدء به بلاغة أخرى ، هي إيهامـــه علـــى فرعون أنه أقر بالأولى ، وآية ذلك أنه اهتم بنفي آثارها ، الـــتي أوهـــم

([1]) نظم الدرر ٥/ ٣٥٣ .

([2]) روح المعاني ١٠/ ٦٩ .

فرعون أن فعلته الثانية من آثار كفران الأولى ،وهذا تناسب في الرد مـا بعده تناسب ؛ لذا جاء بذكر عذر عن الفعلة (وأنا من الـضالين) ردا على مقالة فرعون (وأنت من الكافرين) ووسم نفسه بالـضلال فيـه عذر، أي : أنا إن كنت فعلت لم أفعله تعمدا ، وإنما كان ذلـك علـى سبيل الخطأ والجهل ، والعرب تضع الضلال موضع الجهل ، كما أن فيه مجاراة له أنه فعل ،وهو غير ثابت ؛ لعدم معرفته أن مجرد وكزة تـؤدي إلى القتل ، ثم فاجأه بعد ذلك بانتفاء ما بني عليه اللعين كلامه بـالعودة لرد ما وبخه به أولا (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) كأنه قال له إنما ألجأني إلى تربيتك لي قوة ظلمك ، وقد كنت في غنى عن ذلك لولا صنيعك ببني إسرائيل من تعبيدهم ،وذبح أبنائهم ، فقد هدم الـرد الهرم من أعلاه ثم من أسفله ، فلم يبق للعين شئ ،وهذا من بدائع أسرار اللف والنشر ،وقد أحسن اللعين ذلك ، ألا تراه انتقل سريعا إلى قـضية أخرى طيا للأولى التي لم يفلح فيها حيث جاء عقب الرد مباشرة (قـال فرعون وما رب العالمين) (الشعراء / ٢٣) ما كان للعين أن يـصنع إلا كذلك ، فقد ألجأه الكليم إلى الهروب بعدما حول ما زعمه فرعون نعمة إلى نقمة بما هو أخزى له وأردع .

١٦ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (لقمان /١٨)

صرح بعض العلماء بأن الآية من اللف والنشر غير المرتب، فقوله : (مختال) راجع لقوله : (ولا تمش في الأرض مرحا) وقوله : (فخور) راجع لقوله : (ولا تصعر خدك للناس) ([1]) ومن لم ينص على أن في الأسلوب لفا ونشرا غير مرتب نص على إرجاع كل طرف إلى ماله على نحو ما ذكره الناصون على أنه لف ونشر غير مرتب ، أو على نحو يجعله من المرتب ([2]) وأول من فتق الأسلوب في الآية الزمخشري ، حين قال : " والمختال : مقابل للماشي مرحا ، وكذلك الفخور للمصعر خده تكبرا " ([3]) ثم تابعه العلماء .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقع الأسلوب في سورة لقمان ، و" مقصودها : إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله ــ سبحانه ــ في أقواله وأفعاله ،وقصة لقمان المسمى به السورة دليل واضح على ذلك "([4]) ومقصود السورة هو الكاشف عن سر اختصاصها قصة لقمان ، التي فيها سوق الحكم ،

([1]) ينظر زادة على البيضاوي ٣٨/٤ ، الشهاب على البيضاوي ١٣٨/٧ ،ونظم الدرر ٢١/٦ ، ألوان من البديع ١١٤ .

([2]) ينظر أنوار التنزيل ٣٨/٣ ، إرشاد العقل السليم ٣٧٨/٤ ، التحرير والتنوير ١٦٧/٢١ .

([3]) الكشاف ٢١٣/٣ ، ٢١٤ .

([4]) نظم الدرر ٣/٦ .

ولما كانت هاتان الصفتان مذمومتين ومنافيتين للحكمة ، ومتقاربتين ناسب ذلك

إيرادهما بأسلوب اللف والنشر ، لا سيما أنهما في آداب المعاملة مع الناس ،وفي ذلك ما فيه من الالتباس القاضي بالتروي في فقه هذه الآداب ،وقد أشار الفخر الرازي إلى لطيفة في المناسبة حيث قال : " وفي الآية لطيفة ،وهو أن الله ـ تعالى ـ قدم الكمال على التكميل حيث قال : (أقم الصلاة) ثم قال : (وأمر بالمعروف) وفي النهي قدم ما يورثه التكميل على ما يورثه الكمال ،حيث قال : (ولا تصعر . . .) ثم قال : (ولا تمش. . .) لأن في طرف الإثبات من لا يكون كاملا لايمكن أن يصير مكملا ، فقدم الكمال ،وفي طرف النفي من يكون متكبرا على غيره متبخترا ، لأنه لا يتكبر على الغير إلا عند اعتقاده أنه أكبر منه من وجه ،وأما من يكون متبخترا في نفسه لايتكبر ،ويتوهم أنه يتواضع للناس ، فقدم نفي التكبر ثم التبختر ؛ لأنه لو قدم نفي التبختر للزم منه نفي التكبر ، فلا يحتاج إلى النهي عنه ، ومثاله أنه لا يجوز أن يقال : لا تفطر ولا تأكل . . . ويجوز أن يقال : لا تأكل ولا تفطر "[1]

([1]) مفاتيح الغيب ١٢٢/٩ .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح أسلوب اللف بالنهي عن تصعير الخد ، أي : " لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك ، كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد،وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه "([1]) ففي الأسلوب استعارة حيث استعار حال لي عنق البعير من داء أصابه لحال من يميل عنقه إلى جانب تكبرا على الناس ، وفيه ما فيه من المبالغة في تقبيح هذه الصفة ، وأتبعه النهي الآخر ، بطريقة التمثيل أيضا للاختيال (ولا تمش في الأرض مرحا) والصفتان متقاربتان ومتلازمتان ؛ لذا ساغ إيراد النهي عنهما بأسلوب اللف ؛ إشارة إلى اجتماعهما وانضمامهما ، فجمع بينهما في النهي .

ثم جاء النشر مؤكدا بإن واسمية الجملة ،ولفظ الجلالة الذي هو أهيب أسماء الله ــ سبحانه ــ ولفظ العموم (كل) وكان يكفي أن يقال : إن الله لا يحب المختال الفخور ، لكن لفظ العموم دل على عدم قبول ذلك من أي واحد من الناس ، مهما بلغت منزلته ، وقد ذكروا أن السر في مجيئ النشر على عكس اللف هو رعاية الفاصلة ([2]) والذي أبصره أن السر وراء هذا التعكيس علاوة على ما قالوا أنه قدم الأعلى في الذم على ما دونه ، حيث إن (المختال) يؤذي غيره بمجرد مشيته التي تظهر

([1]) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٧٨ .

([2]) ينظر زادة على البيضاوي ٣٨/٤ ، الشهاب على البيضاوي ١٣٨/٧ ، إرشاد العقل السليم ٣٧٨/٤ .

تعاليه، أما الفخور فلا يظهر ذلك منه إلا بالتعامل معه ، فقدم ما هـــو في الإيذاء أعم على ما دونه ويؤيد ذلك ما جاء بعده (واقصد في مشيك) (لقمان/١٩) فقدم الأمر بالقصد في المشي بما لا يوحي بالاختيال بحال .

١٧ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وما يستوي الأعمـــى والبـــصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئ قلـــيلا مـــا تتـــذكرون ﴾ (غافر/٥٨)

الآية من اللف والنشر غير المرتب عند بعض أهـــل العلـــم ([1]) ومنهم من ذكر المقابلات دون النص على أن الأسلوب من اللف والنشر غير المرتب ، فقوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهو المـــذكور من النشر أولا ، راجع لقوله : (البصير) وهو المذكور من اللف ثانيـــا ، وقوله : (المسيئ) وهو المذكور من النشر ثانيـــا ، راجـــع إلى قولـــه : (الأعمى) وهو المذكور من اللف أولا .

علاقة الأسلوب بالسياق

ورد الأسلوب في سورة غافر التي تتظاهر تراكيبها على تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين كما ذكر البقاعي ([2]) لذا اختصت الـــسورة بمحاورة مؤمن آل فرعون قومه ،ومحاورة المستكبرين الضعفاء يوم القيامة ، فمعظم تراكيب السورة في الحوار بين أهل الحق وأهـــل الباطـــل بمـــا

([1]) ينظر نظم الدرر ٥٢٨/٦ ، الشهاب على البيضاوي ٧/ ٣٧٨ ، الصاوي علـــى الجلالـــين ١١/٤ ، روح المعاني ١٢ / ٣٣٢ .

([2]) نظم الدرر ٤٨٢/٦ .

يكشف عن بصر أهل الحق ،وعمى أهل الباطـــل ، فجـــاء الأســـلوب كالفذلكة لكل ما سبق من الحوار على نحو يلائـــم الحـــوار الجـــاري في السورة .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح الأسلوب بقوله : (وما يستوي) وهذا الافتتاح تنبيه إلى أن ما سيرد بعده سيكون على وجه التضاد ، وفي اللف قدم ذكر الأعمى مسارعة إلى بيان عدم تساويه ، وقد ذكر الشهاب أنه " قـــدم الأعمـــى لمناسبته لما قبله من نفي النظر والتأمل "([1]) وذلك أنه أخبر عنه في السياق بقوله (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) (غافر/ ٥٦) وقوله من قبل : (أولم يـــسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) (غافر / ٢١)

وفي النشر قـــدم (الـــذين آمنـــوا . . .) " لمجـــاورة البـــصير ولشرفهم،وفي مثله ظرف أن يجاور كل ما يناسبه . . . وأن يقـــدم مـــا يقابل الأول ،ويؤخر ما يقابل الآخر "([2]) وكان الظاهر أن يقـــال : ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا الـــذين كفـــروا ، أو يقـــال : ولا المحسن ولا المسيئ ، لكن مجيئه كذلك فيه ضرب من الإيجاز بديع ، حيث

([1]) الشهاب على البيضاوي ٣٧٨/٧ .

([2]) الشهاب على البيضاوي ٣٧٩/٧ .

إن الأسلوب مع كونه من اللف والنشر من وادي الاحتباك ، فذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولا دليل على حذف مقابله ثانيا ، وتقديره : ولا الذين كفروا وعملوا السيئات ،وذكر المسيئ ثانيا دليل على حذف مقابله أولا ،وتقدير الكلام : والمحسنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وسره أنه ذكر الصلاح ؛ ترغيبا ،والإساءة ترهيبا [١] وما ذكره البقاعي هو سر ذكر طرفي الاحتباك " ولعل السر في حذف (والمحسنين) الاكتفاء بإثبات مقابله ؛ إيجازا ولفتا لانتباه السامع والقارئ ، فيتوصل إلى إثباته بنفسه ،وحذف في الطرف الثاني (الذي يعمل السيئات) اكتفاء بوصفه بالإساءة ؛ وإيجازا ، إذ لا يطلق المسيئ إلا على من يعمل السيئات "[٢]

وقد ذكروا سرا لـ (لا) في قوله : (ولا المسيئ) وهو التأكيد على عدم المساواة حيث " أعيدت تذكيرا للنفي السابق لما بينهما من الفصل بطول الصلة ، لأن المقصود بالنفي أن الكافر المسيئ ، لا يساوي المؤمن المحسن، وذكر عدم مساواة الأعمى للبصير توطئة له،ولو لم يعد النفي فيه ربما ذهل عنه ، وظن أنه ابتداء كلام "[٣] المهم أن في تقديم الأعمى في اللف معاجلة بنفي استوائه بالمؤمن ،وفي تقديم الذين آمنوا وعملوا الصالحات إظهار لشرفهم وعلو مكانتهم .

([١]) ينظر نظم الدرر ٥٢٨/٦ .
([٢]) الاحتباك في الذكر الحكيم ٦٣ .
([٣]) الشهاب على البيضاوي ٣٧٩/٧ .

١٨ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإمــا كفورا إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا إن الأبرار يــشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ (الإنسان / ٣:٥)

الآيات من اللف والنشر غير المرتب عند كثير من أهل العلم ، وقد صرح بذلك كثير منهم ([1]) ، وتأول الآيات آخرون بما يدخلها في اللف والنشر غير المرتب دون تصريح بالأسلوب ([2]) فقوله : (إنا أعتدنا . . .) راجع لقوله : (كفورا) وهو المذكور ثانيا ، وقوله : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) راجع لقوله : (شاكرا) وهــو المذكور أولا ،وقد ذكروا سر مجيئه على عكس الترتيب ، كمــا ســيأتي بيانه .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقع الأسلوب في سورة الإنسان التي تتظاهر تراكيبها على بيان مقصودها وهو : " ترهيب الإنسان . . . من العرض على الملك الــديان بتعذيب العاصي في النيران وتنعيم المطيع في الجنان "([3]) لــذا افتتحــت بتعريف الإنسان بحال ابتداء أمره بما لايجوز معه كبر ولا اعتقاد ســيادة ، وقد قدم ذكر أهم نعمتين في التعرف على السبيل (فجعلناه سميعا بصيرا)

([1]) ينظر نظم الدرر ٢٦٦/٨ ، الشهاب على البيضاوي ٢٨٨/٨ ، الــصاوي علــى الجلالــين ٢٥٩/٤ ، التحرير والتنوير ٣٧٩/٢٩ .

([2]) ينظر مفاتيح الغيب ٧٤٣/١٠ ، إرشاد العقل الــسليم ٤٣٥/٥ ، زادة علــى البيــضاوي ٥٨٧/٤ .

([3]) نظم الدرر ٢٥٩/٨ .

(الإنسان /٢) وقوله (إنا هديناه السبيل) يقتضي الإنباء بحال الناس عند بيان السبيل فجاء التقسيم (إما شاكرا وإما كفورا) وقد اقتضى التقسيم ذكر الجزاء ، فكان اللف والنشر أنسب الأساليب ، وألصقها بهذا السياق ، فالهداية يقابلها الضلال ، فكان القسمان التابعان لهما متقابلين ،والجزاء لابد أن يبنى على التقابل .

من أسرار نظم الأسلوب

في أسلوب اللف قدم (شاكرا) في الذكر ؛ لأنه أشرف ،وعبر باسم الفاعل ؛ تنبيها على أنه لايقوى أحد على المبالغة في الشكر ، على العكس من الجزء الثاني من اللف (كفورا) تنبيها على مبالغته في الإعراض عن قبول الحق ،والوفاء بحق نعمة بيان الهداية ، وقد جاء النشر على عكس اللف بتقديم ما للجزء الثاني (إنا أعتدنا . . .) على ما للجزء الأول لأسرار ذكرها العلماء ، منها : " أن الإنذار أهم وأنفع ،وتصدير الكلام ، وختمه بذكر المؤمنين "([1]) " والإنذار أنسب بالمقام وحقيق بالاهتمام "([2]) وشئ آخر ذكره العلامة ابن عاشور حيث علل لعكس الترتيب بقوله : " ليتسع المجال لإطناب الكلام على صفة جزاء الشاكرين ، وفيه من الخير والكرامة ؛ تقريبا للموصوف من المشاهدة المحسوسة "([3]) ويؤيده أن جزاء الشاكرين قد استغرق معظم السورة من

([1]) أنوار التنزيل ٤/٥٨٧ .

([2]) الشهاب على البيضاوي ٨/٢٨٨ .

([3]) التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٧٩ .

الآية (٥) إلى الآية (٢٢) حيث ختم الحديث عن جزائهم بما يلفت إلى الجزء الأول من اللف (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) (٢٢) ألا تبصر أنه يلفت إلى قوله : ــ تعالى ــ (إما شاكرا) .

وقد أبصر ابن عاشور ما أبصره من كلام أبي السعود ، حيث قال : " وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلا ، ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم "(١) وهذا حق لأنه إن بدأ بذكر ما للأول (إن الأبرار . . .) لاقتضى ذلك إتباعه بما بعده من تفصيل الجزاء ،وهذا يعني أن يذكر الطرف الثاني من النشر بعد (١٨) آية من ذكر الطرف الأول ،وهو مما يقضي بأن ألصق أقسام اللف والنشر بهذا السياق اللف والنشر غير المرتب ،وشئ آخر أنه قدم جزاء الكافرين ؛ تعجيلا بالعقوبة ،وأخر جزاء الشاكرين وأطال تفصيله ؛ تحسيرا للكافرين ؛ وترغيبا للمؤمنين ، مع ما في اللف والنشر من الإيجاز والإثارة .

١٩ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ (البقرة / ١٨٥)

---

(١) إرشاد العقل السليم ٥/٤٣٥ .

عدها الزمخشري ــ رحمه الله ــ من اللف حيث قال : ــ تعليقا على الآية ــ " الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) فعل ذلك يعني جملة ما ذكر من أن الشاهد بصوم الشهر وأن المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة الفطر، فقوله : (لتكملوا العدة) علة الأمر بمراعاة العدة ، و (لتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء ،والخروج عن عهدة الفطر (لعلكم تشكرون) علة الترخيص والتيسير ، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك ، لا يكاد يهتدي إليه إلا النقاب المحدث من علماء البيان "([١]) وقد نقل كلامه جمع من أهل العلم قديما وحديثا ([٢]) وقد عرف سعد الدين هذا النوع بقوله : هو أن يذكر متعدد على التفصيل ، ثم يذكر ما لكل ،ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال ملفوظا أو مقدرا ، فيقع النشر بين لفين أحدهما مفصل والآخر مجمل ،وهذا معنى لطف مسلكه ([٣]) وقد ناقشه السيد الشريف في وجه اللطافة هذا ،ورفض أن يكون وجه اللطف في مجرد وقوع نشر بين لفين ،ورأى أن وجه اللطافة في الآية راجع لما فيها من دقة وجه العلية ،ولطافة جهة المناسبة "([٤])

([١]) الكشاف ١٧٢/١

([٢]) المطول ٤٢٧ ، الأطول ١٩٨/٢ ، خلاصة المعاني ٤٢٤،٤٢٥ ، معجم المصطلحات البلاغية ٥٢٦ ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٨١ ، ألوان من البديع ١١٩،١٢٠

([٣]) المطول ٤٢٧ .

([٤]) حاشية السيد الشريف على المطول ٤٢٧ .

وقد أوردت إشكالات على الزمخشري ، حيث إنه من تفاصيل المعللات ، أمر الشاهد بصوم الشهر ، ولم يجعل شيئا من العلل راجعا إليه، وجعل (لتكبروا . . .) علة ما علم من كيفية القضاء ،وهو مما لم يذكره في تفاصيل المعللات ، فما ذكره في بيان تطبيق العلل غير موافق لما ذكر من تقدير الكلام ،وقد أجاب السعد عن ذلك بأن جعل أمر الشاهد بصوم الشهر غير معلل ، وإنما هو توطئة وتمهيد ليفرع عليه عدة أمور : الترخيص ـــ مراعاة العدة ـــ كيفية القضاء ، ثم جعل كل واحد من العلل راجعا إلى واحدة من هذه الثلاثة ، وبهذا يكون كلام الزمخشري وافيا "(١)

ورأى السيد الشريف أن كل واحد من العلتين الأخيرتين (ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) يمكن إقامتها مقام الأخرى بحسب الظاهر ، ورأى أنه بالتأمل الصادق ينكشف أن الشكر أولى بنعمة الترخيص ، كما أن التكبير على الهداية أنسب بتعليم كيفية القضاء (٢) وللعصام رأي جيد ، فعنده أن قوله : ـــ تعالى ـــ (فعدة من أيام أخر) مشتمل على (الترخيص ـــ تعليم كيفية القضاء ـــ أمر المرخص برعاية العدة) فالترتيب المرعي في النشر باعتبار أنه يستفاد منه رعاية العدة أولا ، ثم كيفية القضاء من كون يوم بيوم ، ثم الترخيص ، وبهذا اندفع أنه لم يذكر المتعدد أولا مفصلا ؛ لأنه أدى بلفظ واحد فما

---

(١) ينظر المطول ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢) حاشية السيد الشريف على المطول ٤٢٧ .

جاء بعده نشر له بحسب المعنى من غير أن يكون في اللفظ اقتضاء ، بل مع اقتضائه خلافه ، وعد هذا من وجوه لطافته ([1])

أما الفخر الرازي والبيضاوي فقد رأيا أن المذكور أولا أمور ثلاثة (الأمر بصوم العدة ــ وتعليم كيفية القضاء ــ والرخصة في إباحة الفطر) وقد جاءت بعد هذه الأمور الثلاثة علل ثلاثة: (لتكملوا العدة) علة للمر بمراعاة العدة ، و (لتكبروا . . .) علة ما علمتم من كيفية القضاء (ولعلكم تشكرون) علة الترخيص والتسهيل ([2]) ويدل كلام القرطبي على أن اللف يشمل الشاهد ،والمرخص له ، وعليه فقوله تعالى : ــ (ولتكملوا العدة) فيه تأويلان : أحدهما : إكمال عدة الأداء لمن أفطر في سفره أو مرضه ، الثاني : عدة الهلال سواء كانت تسعا وعشرين أم ثلاثين ([3]) وقد ذكر الآلوسي ــ رحمه الله ــ أنه يمكن أن تكون هذه العلل عللا لأفعال مقدرة كل فعل مع علة ،والتقدير : أوجب عليكم عدة أيام أخر (ولتكملوا العدة) علمكم كيفية القضاء (ولتكبروا الله على ما هداكم) رخصكم في الإفطار (ولعلكم تشكرون) ([4]) وقد ذكر الآلوسي أن " في ذكر الأحكام تفصيلا أولا ، وإجمالا ثانيا

([1]) الأطول ١٩٩/٢ .

([2]) مفاتيح الغيب ٢٥٨/٢ ، أنوار التنزيل ٤٩٤/١ ، وزادة عليه ٤٩٤/١ .

([3]) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/٢

([4]) روح المعاني ٤٥٩/١ .

،وتعليلها من غير تعيين ثقة على فهم السامع بأن يلاحظها مرة بعد أخرى ، ويرد كل علة إلى ما يليق به ما لا يخفى من الاعتناء "([1])

والذي أبصره أن الأسلوب هو في قوله : ــ تعــالى ــ (فمــن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) وتقدير الأسلوب يكون على هذا النحو عل تقدير حذف :

١ ــ فمن شهد منكم الشهر فليصمه (لف) يقابله في النشر (ولتكملوا العدة)

٢ ــ ومن كان مريضا أو على سفر : يفطر (لف) يقابلــه في النــشر (ولعلكم تشكرون)

٣ ــ فإن أفطر فعدة من أيام أخر (لف) يقابله في النشر (ولتكبروا الله على ما هداكم)

وما ذكرته هو توليف من آراء العلماء السابقين ،ولا ينافي هــذا ما ذكره جار الله وغيره من أن هذا النوع لطيف المسلك لأنه لا يتوصل إليه إلا بعناء ودقة نظر وحسن تأمل ، وعليه فأسلوب اللف هو قولــه : ــ تعالى ــ (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو علــى سفر فعدة من أيام أخر) والنشر في قوله : (ولتكملوا العدة ولتكــبروا

([1]) روح المعاني ١/ ٤٥٩ .

الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) والشاهد على هذا التأويل من اللف والنشر غير المرتب ،وهو مختلط الترتيب .

علاقة الأسلوب بالسياق

حين نتدبر سياق الآية المقالي والمقامي نرى التيسير ظاهرا واضحا في التشريع ، فلقد كان الأمر بالصوم في المدينة المنورة بعد فترة من الهجرة ؛ لأنه مغالبة لشهوة النفس وهواها ، فإن التيسير يظهر فيها ؛ لذا لا نجد في الذكر الحكيم كله في تشريع أية عبادة ،ولا حتى الجهاد ، لا نجد (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقد سبق الحديث عن الصوم حديث عن حدود وعبادات ، كان اليسر ظاهرا فيها ، ففي حديث القرآن عن القصاص قال ربنا : (فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) (البقرة/١٧٨) وفي الحديث عن الوصية قال ربنا : (فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) (البقرة/١٨٢)

فقد جاء الحديث عن الصوم في سياق إظهار اليسر في التشريع، فجاء الحديث عنه كذلك مبنيا على اليسر ، كما جاء في أشباهه في السياق ، وقد لمح البقاعي مناسبة بين الحديث عن الصوم ، والحديث عن القصاص ، " من حيث إن في القصاص قتل النفس حسا ، وفيه حياة الأجساد معنى " ([1]) كما لمح مناسبة بين الحديث عن الوصية والحديث

([1]) نظم الدرر ٣٣٧/١ .

عن الصوم من حيث إن الوصية مدعاة إلى التحلي من الدنيا، والاستعداد للآخرة ، والصوم مدعاة إلى التخلي من الـــدنيا ،والتحلـــي بأوصـــاف الملائكة ([1])

والملحوظ أن حديث القرآن عن الصوم جـــاء مبـــهما أولا :
(أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) (البقرة/١٨٤) فالآية تدل على أن المطيق مخير في الصوم والإفطار والفدية ،وقد ذهب أهل العلم إلى أن الآية منسوخة بما بعدها ([2]) وهذا من مظاهر اليـــسر ؛ تطابقـــا مـــع حـــال النزول،وقد جاءت الآية محل الشاهد ناسخة للتخيير ؛ لذا " أعـــاد مـــا للمريض والمسافر لئلا يظن نسخه " ([3]) وقد جاءت الآية على نهج اللف والنشر للإلماع إلى أن العلل المذكورة (ولتكملوا العدة . . .) تصلح أن تكون للمذكور من أحوال الشاهد والمسافر والمريض ،وذلك إذا تـــدبرنا حكمة تشريع الصوم ،وفوائده النفسية والجسمانية ،ولو جـــاءت الآيـــة على غير أسلوب اللف والنشر لما صلح أن تكون العلل المذكورة لحـــالي الشاهد والمريض والمسافر ؛ لذا لو قلنا : فمن شهد منكم الشهر فليصمه لتكملوا العدة ومن كان مريضا أو على سفر يفطر لعلكم تشكرون ، فإن

([1]) ينظر نظم الدرر ٣٣٧/١ .
([2]) ينظر مفاتيح الغيب ٢٤٩/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٣/٢ .
([3]) نظم الدرر ٣٤٤/١ .

أفطر فعدة من أيام أخر لتكبروا الله على ما هداكم ، لو كـــان الــنظم كذلك لما كان له هذه الإيحاءات ، ولا ذلك الإعجاز .

من أسرار نظم الأسلوب

بني الكلام بأسلوب الشرط ،وهو الأليق بالتشريع المبني علـــى شرائط ، وقال ربنا (فمن شهد) لأن الشهود حضور تام برؤيـــة بينـــة لهلال الشهر ؛ لذا أكد على هذا بالإتيان بالمفعول به (الـــشهر) بـــدل الهلال ؛ تعبيرا بالمسبب عن السبب ؛ زيادة في إيجاب التحقق من رؤيـــة الهلال ، وزاده تأكيدا بترتيب جواب الشرط على الرؤية المحققة للـــهلال ،وقدم أمر العزيمة على أمر الرخصة ؛ تناسبا مع ما سبق الآية من الدلالة على تخيير المطيق ، ثم عطف على أسلوب الشرط أسلوب شرط آخـــر؛ تأكيدا على الرخصة (ومن كان مريضا أو على سفر) وفي تقدم المريض على المسافر ؛ إيحاء بتأكيد الرخصة للمريض ، وأن رخصة المسافر أقـــل، وقد حذف الرخصة هنا (يفطر) إيحاء بكتمان الإفطار للمـــرخص لـــه، وعدم المجاهرة به ؛ إجلالا للشهر ، وتعظيما له ؛ لـــذا لم نجـــد الإفطـــار مصرحا به في آيات الصيام ،وقد حذفه أيضا في تعليم كيفيـــة القـــضاء (فإن أفطر) واكتفى بجواب الشرط ،وجاء بجواب الشرط جملـــة اسميـــة (فعدة من أيام أخر) للدلالة على وجوب تمام عدة الـــشهر ، وأنـــه لا ينبغي أن يدخلها تغيير في القضاء ، وفي قوله (أخر) زيادة في التيـــسير حيث لم يعقد القضاء بشهر معين ، وكان يمكن أن يقال : فعدة من أيـــام

الشهر التالي ، أو فعدة من شوال ، وإنما قال (أخر) ليكـــون التعجيـــل بالقضاء على الاستحباب ، لا على الوجوب .

وجاء قوله : ـــ تعالى ـــ (يريد الله بكم اليسر ولا يريـــد بكـــم العسر) إظهارا لرحمة الله بعباده على وجه مؤكد بالغ ؛ إظهارا للامتنان ، ولفتا إلى اكتشاف ما في وجوب الصوم على الشاهد من اليسر الذي ظاهره المشقة والعسر ، وجاء قوله : (ولتكملوا العدة) مقابـــل لأمـــر الشاهد بالصوم ؛ تأكيدا على التحقق من رؤية الهلالين : هلال رمضان، وهلال شوال ؛ حرصا على إتمام العدة ، وجاء قوله : (ولتكـــبروا الله على ما هداكم) ويمكن إرجاعها للحالين حال المشاهد من هداية الله لـــه وتوفيقه أن صام ،وهدايته لرؤية الهلال ، ويمكن إرجاعها للمرخص له من هداية الله له بتعليمه كيفية القضاء ،وهذا من لطف موقعها ، وجاء قوله : (ولعلكم تشكرون) مقابل الرخصة المحذوفة (يفطر) إظهارا للامتنان ؛ وتنبيها إلى الشكر على مظاهر اليسر التي جاءت رحمة للعباد ، هذا ومجيئ الأسلوب على اللف والنشر فيه كثير من اللطائف سلف إيراد بعـــضها نقلا عن المفسرين .

ويضاف إلى ذلك أن لطف المسلك في هذا الأسلوب أن العلـــل المذكورة تصلح لحال الشاهد والمسافر والمريض ،وهذا من لطف مسلك هذا اللون من اللف والنشر ، فقد ذكر العصام " أن من موجبات لطفـــه أن يكون اثنان من المتعدد معا متعلق واحد من النشر ،وأن يكون المتعدد مذكورا بلفظ واحد يستنبط منه على الترتيـــب ، فيقـــع الترتيـــب في

الاستنباط ، لا في الذكر صريحا ؛فإن قوله (فعدة من أيام أخر) مشتمل على الترخيص وتعليم كيفية القضاء ،وأمر المرخص له برعايــة العــدة، فالترتيب المرعي في النشر باعتبار أنه يستفاد منه رعايــة العــدة أولا ، ثم كيفية القضاء من كون يوم بيوم ثم الترخيص ([1]) وإمكانية تأويل الآيــة كل هذه التأويلات مما يضاعف من ثرائها ؛ لأن لكــل تأويــل معــنى ولطائف ليست لغيره ،ومجيئ الآية على اللف والنشر هــو أحــد هــذه التأويلات،وأسلوب اللف والنشر يقتضي مزيد لطف وفضل تدبر وحسن تأت لفقهه ،وهو المناسب للحديث عن الصوم الذي يقتضي مزيد لطــف لاكتشاف يسره ، وحسن تأت لاستنباط حكمه ؛ لذا كان أسلوب اللف والنشر أنسب للمقصد والغرض ،وألصق بالمقام والسياق .

([1]) الأطول ٢/١٩٩ .

٢٠ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ (الروم/٢٣)

قال الزمخشري : " هذا من باب اللف وترتيبه : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار ، إلا أنه فصل بين القرينتين الأوليين بالفريقين الآخرين ؛ لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ،ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين ،وابتغاؤكم فيهما ،والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن ،وأسد المعاني ما دل عليه القرآن "([1]) وقد تابعه كثير من أهل العلم ،وقد يورد بعضهم رأيه بصيغة التمريض ، بعد قولهم : بأن العرف يجيز كل واحدة من النعمتين في الزمانين ([2]) وقد استشكل صاحب عروس الأفراح أن تكون الآية من اللف والنشر من وجوه ، أولا : أنه على ذلك يكون النهار معمولا لــ (ابتغاؤكم) وهو مصدر ،ولا يسوغ تقدم معموله عليه، ثانيا : أن الواو في (وابتغاؤكم) كيف موقعها ، ثالثا : أنه يعكر على ما تقدم من حد اللف والنشر ؛ فإن تعريف البلاغيين حد اللف والنشر يشعر أنه لابد من تقدم اللف بجملته ، ثم يأتي النشر بعده ،وهذا الموضع وقع فيه

([1]) الكشاف ٢٠١/٣ .

([2]) ينظر أنوار التنزيل ٢٤/٤ ، التبيان للطيبي ٤٠٠ ، إرشاد العقل السليم ٣٥٨/٤ ، المحرر الوجيز ٣٣٣/٣ ، مفاتيح الغيب ٩٣/٩ ، زادة على البيضاوي ٢٤/٤ ، الإتقان ٩٤/٢ ، عروس الأفراح ٣٣٤/٤ ، الصاوي على الجلالين ٢٣١/٣ ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٨٠ ، ألوان من البديع ١١٦،١١٥ .

بعض النشر (منامكم) قبل تكميل اللف ([1]) لذا عد ابن عاشور كــون الآية من قبيل اللف والنشر من التكلف ([2])

وقد تعرض الشهاب الخفاجي لإصلاح هذا الاستشكال ، حيث رأى أن تعريف أهل المعاني لا يمنع من أن يكون ذكر المتعــدد تقــديرا، وأن الجار والمجرور (بالليل والنهار) حال مقدمة من تأخير ، أو خــبر لمبتدأ محذوف ،والتقدير : وذلك بالليل والنهار ،والجملة تكون معترضــة بين متعاطفين ،والواو في (وابتغاؤكم) على ذلك عاطفة ، وبذلك يرتفع إشكال موقع الواو ،وإشكال تقديم المعمول (النــهار) علــى عاملــه (ابتغاؤكم) ولا يحتاج إلى تقدير حرف الجر في (والنهار) ([3])فإن قلت : قد يعكر على ذلك ورود هاتين النعمتين والزمانين في مواطن من الذكر الحكيم على غير نهج اللف والنشر ، كالذي ورد في سورتي النمل وغافر (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصرا. . .) (النمل / ٨٦) و(الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) (غافر / ٦١) قلت : ما ورد في سورة الروم نمط وحده ، فلم يرد على نهــج اللــف والنشر كالذي جاء في سورة القصص (ومن رحمته جعل لكــم الليــل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله . . .) (القصص/٧٣) ولم يــرد على نهج ذكر كل نعمة بإزاء زمانها كالذي في سورتي النمــل وغــافر،

([1]) ينظر عروس الأفراح ٣٣٤/٤ .

([2]) التحرير والتنوير ٧٦/٢١ .

([3]) ينظر الشهاب على البيضاوي ١١٨/٧،١١٧ .

وذلك ما حمل الزمخشري على عد هذا الموضع من اللف والنشر على نية التقديم والتأخير ،ولا يمنعه تعريف البلاغيين كما مضى بيانه ؛ لذا يحسن إجراء الآية على اللف والنشر ،ويكون في التقديم والتأخير نكات بلاغية لم تكن فيما ذكر في آية القصص الوارد على نهج اللف والنشر دون إشكال .

علاقة الأسلوب بالسياق

ورد الأسلوب في سورة الروم التي تتظاهر تراكيبها على إثبات مقصودها ،وهو " إثبات الأمر كله ، فتأتي الوحدانية والقدرة على كل شئ ، فيأتي البعث ونصر أوليائه وخذلان أعدائه ([١]) لذا اشتملت السورة على تتابع بيان آيات الله وقدرته ، فتكرر فيها قوله : (ومن آياته) سبع مرات ([٢]) من إحدى عشرة مرة في الذكر الحكيم ، وقد جاءت ناظرة إلى قوله ــ تعالى ــ في السياق بما لا نظير له في الذكر الحكيم (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) (الروم/ ١٧) فجاء ذكر المنام مقدما على الابتغاء ؛ تناغما مع السياق ؛ وكشفا عن إحاطة نعم الله بعباده في الزمن كله ، فالزمن ليل ونهار ؛ لذا جاء أسلوب اللف تصويرا لتلك الإحاطة الرحيمة ،وقد ذكر العلماء أن هاتين النعمتين حالتان متعاورتان على الناس ، قد اعتادوهما فقل من يتدبر في دلالتهما على دقيق صنع

([١]) نظم الدرر ٥/٥٨٢ .

([٢]) يراجع في المصحف الشريف سورة الروم الآيات ٢٥،٢٤،٢٣،٢٢،٢١،٢٠، ٤٦ ، سورة فصلت ٣٩،٣٧، والشورى ٣٢،٢٩.

الله"(١) وكأن إيرادهما على هذا النحو من التركيب إحالة إلى تأملهما وتدبرهما .

من أسرار نظم الأسلوب

الملحوظ أن أسلوب اللف هنا جاء عكس ما في سورة القصص ، فما كان لفا هناك، جاء نشرا هنا (الليل والنهار) وما كان نشرا هناك (لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) جاء مقابله لفا هنا (منامكم . . . وابتغاؤكم من فضله) لإظهار أن النعمة هنا متعلقة بالمنام والابتغاء، وذلك جريا على نمط السياق في تعداد النعم ، تأمل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا . . .) (الروم / ٢١) (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم . . .) (الروم / ٢٢) (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا . . .) (الروم / ٢٤) فذكر ما يعود على النفس من هذه الآلاء ، فجاء الأسلوب مناغما سياقه في إبراز ما يعود على النفس من آلاء الله ؛ لذا قدم في أسلوب اللف ما به راحة البدن والنفس (منامكم) على ما به مشقة البدن ، وهم النفس (وابتغاؤكم من فضله) ألا تراه صنع هذا في نعمة الزواج (ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . .) فاهتم بإبراز الراحة ،والسكون ؛ لذا قدمها في الحديث ،ونراه بعد الجزء الأول من اللف قد عاجل بالنشر بالجزء الأول منه (الليل) حتى يكون مجاورا لنعمة المنام ؛ اهتماما بإبراز الراحة والسكون ،وتعظيما لهذه النعمة

---

(١) التحرير والتنوير ٧٦/٢١ .

،وشئ آخر هو أن هذه النعمة تقوية لما بعدها ، من الابتغاء فلولا الراحة ما كان العمل .

وقد ذكر الشهاب نكتة ذلك حيث قال : " والنكتة فيه الاهتمام بشأن الظرف لأن الآية (الليل والنهار) في الحقيقة ، لا المنام والابتغاء،مع تضمين توسطهما مجاورة كل لما وقع فيه "([١]) ونحن معه في الشق الثاني من النكتة في أن فضيلة التوسط تؤدي إلى مجاورة كل نعمة زمانها، ولسنا معه في الشطر الأول منها ، لأن الأمر لو كان كذلك لقال : ومن آياته الليل والنهار ومنامكم وابتغاؤكم فيهما ، لكن التركيب بالهيئة التي ورد عليها يسلط وصف النعمة على ما يحدث في الملوين ، حيث جاء (ومن آياته منامكم . . .) مع تناغم ما قلناه مع السياق ، كما أنه يتأيد بما بعده (ومن آياته يريكم البرق . . .) ولم يكن متجها إلى بيان أثر النعمة ،وعد الأثر من الآلاء ، لقال : ومن آياته يظهر البرق خوفا وطمعا . . . والذي أبصره أن في توسط الزمانين أيضا إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الزمانان منحصرين بين هذين الحدثين (النوم والابتغاء) ولا يخرج الزمانان عن هذين الحدثين بإفساد وعربدة وسكر وما إلى ذلك ، وذلك ألصق بسياق تعداد الآلاء وآثارها ،وشئ آخر أن في هذا التوسط ؛ إنباء بما سيكون حيث لم يكن من عادة الناس عند نزول القرآن العمل ليلا ، لكن مستجدات الزمان بما أنعم الله على البشرية من الإضاءات الصناعية أدت إلى العمل ليلا ، فجاء الزمانان

([١]) الشهاب على البيضاوي ١١٧/٧ .

متوسطين ؛ إشارة إلى أن كل واحد منهما صالح للابتغاء والمنام ، مع ما في مجاورة كل لما يحدث فيه من بيان الأصل ، وهذا كله لا يظهر إلا بالتوسط ؛ لذا لم يقرن كل زمن بما يحدث فيه ، ولم يأت قارنا بين الزمانين، ثم ما يحدث فيهما على نهج ما في سورة القصص (٧٣) .

وقد جاء هذا المعنى بأسلوب اللف والنشر ؛ تناسبا مع المقصد والواقع من حركة الليل والنهار الملفوفة كما بين القرآن (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) (يس/٣٧) والآية مع ما فيها من اللف والنشر ونكاته هي من وادي الاحتباك أيضا ، فقد " دل ذكر النوم على القيام منه،ودل الابتغاء على الانقطاع عنه،حذف نهاية الأول،وبداية الثاني "([1]) وتقدير المعنى : ومن آياته منامكم بالليل وانقطاعكم عن طلب المعاش ، وقيامكم بالنهار ، وابتغاؤكم من فضله ، ولعله أسقط الانقطاع عن طلب المعاش ؛ إلماعا إلى انتفائه تماما،وأثبت النوم لبيان أنه نعمة مقصودة ذاتها،وفي الطرف الثاني حذف القيام ؛ توفيرا للعناية على الغرض من القيام للابتغاء من فضل الله "([2])

([1]) نظم الدرر ٦٥١/٥ .

([2]) الاحتباك في الذكر الحكيم ٣٣،٣٤ .

الفصل الثالث

اللف والنشر المجمل في الذكر الحكيم

مواقعه ـــ أسراره

توطئة

وقع اللف والنشر المجمل (التقديري) في خمسة مواضع من الذكر الحكيم ، يجري الأسلوب فيها بغير تكلف ، وأشار العلماء إلى مواضع أخر لا يتم إجراء اللف والنشر المجمل فيها إلا بتكلف ، فاستبعدتها ، ورأيت إثباتها في صدر هذا الفصل إتماما للفائدة ،وهي على النحو التالي :

١ ـــ قال : ـــ تعالى ـــ (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم . . .) (البقرة / ١٧ : ٢٠) ذكر الشهاب الخفاجي أن التشبيه يمكن أن يعد من التشبيه المتعدد على اللف والنشر الإجمالي (ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ١/ ٣٧٧:٣٩٨)

٢ـــ قال: ـــ تعالى ـــ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (البقرة / ١٨٧) ذكر السيوطي أنها من اللف و النشر المجمل ، وذلك على تأويل أبي عبيدة الخيط الأسود بالفجر

الكاذب ، وقد ذكر السيوطي أن النشر هنـا مجمـل واللـف مفـصل (ينظر : الإتقان ٢/٩٣)

٣ــ قال : ــ تعالى ــ (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمـن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) (الفرقان / ٦٢) ذكر الطيبي أنه يمكن عـد الآية من اللف التقديري من حيث المفهوم (ينظر : التبيان /٤٠١)

مواضع اللف والنشر المجمل في الذكر الحكيم
دراسة تحليلية

١ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة/١١١)

الآية الكريمة شاهد علم في كتب البلاغيين على اللف المجمل ، وأول من ذكرها شاهدا لذلك الزمخشري ،وذكرها من بعده الخطيب القزويني ، ثم تناقل الناس ذلك قال الخطيب:" جعلوا الضمير في (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى . . . فلف بين القولين ؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ؛ وأمنا من الإلباس ، لما علم من التعادي بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منهما صاحبه "([1]) ولم يضف مَنْ بعده إلى كلامه شيئا ([2]) عدا ما ذكره السيوطي من تعليل مجيئ الكلام على اللف

([1]) الإيضاح ٣١/٤،٣٠ .

([2]) ينظر التبيان ٤٠١ ، شرح التلخيص للبابرتي ٦٣٢ ، المطول ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، الأطول ١٩٨/٢،١٩٧ ، الطراز ٤٠٥/٢ ، فيض الفتاح ٢٧٩/٣ ، خلاصة المعاني ٤٢٤ ، شروح التلخيص ٣٣٣/٤، حسن الصنيع ١٧٦ ، الأصول الوافية ٢٠٨ ، حاشية المنياوي ١٦٧ ، علوم البلاغة للمراغي ٣٣١ ، معجم المصطلحات البلاغية د / مطلوب ٥٢٧ ، علم البديع د/ عبد العزيز عتيق ١٧٨ ، دراسات في علم البديع د / فتحي فريد ٧٣ ، المفصل في علوم البلاغة د/ العاكوب ٥٧٩ ، ألوان من البديع د / عبد الله عليوه ١٢٠.

، حيث قال : " وإنما سوغ الإجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى "([1]) وقد أجمع المفسرون على أن الآية من اللف والنشر ([2]) ومن لم يصرح بذلك يؤدي تأويله إليه ، حيث تجد في كلامهم أن تفصيل الكلام : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ([3])

علاقة الأسلوب بالسياق

الآية الكريمة من خصائص سورة البقرة ، فلم ترد في غير السورة الكريمة ، نعم جاء الجمع بين أقوال اليهود والنصارى ، أو الحديث عنهم في مواضع أخرى من الذكر الحكيم ، في المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق . . .) (المائدة /١٨) وأصل الكلام ، وقالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه ،وقالت النصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه ، لكن الكلام مختلف هنا عما في سورة البقرة ، وسورة البقرة أوسع السور حديثا عن أهل الكتاب ،واليهود خاصة ،وسورة البقرة هي أوسع سور القرآن كشفا عن تخليطهم وعنادهم ،وذكر مثالبهم مع أنبيائهم بما لا حاجة للنص عليه ،وقد سبق في السياق حكاية قولهم (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما

([1]) الإتقان ٩٣/٢ ، شرح عقود الجمان ٢١٨ .

([2]) ينظر الكشاف ٣٠٤/١ ، المحرر الوجيز ٣٣٠/١ ، نظم الدرر ٢٢٢/١ ، البيضاوي ٣٩٠/١ ، زادة على البيضاوي ٣٩٠/١ ، الشهاب على البيضاوي ٢٢٣،٢٢٤/١ ، الصاوي على الجلالين ٤٩/١ ،روح المعاني ٣٥٧/١ ، التحرير والتنوير ٦٧٢/١ ، ٦٧٣ .

([3]) ينظر مفاتيح الغيب ٥/٢، تفسير الجلالين ٤٩/١ ، تفسير المراغي ١٦٣/١ .

معدودات قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) (البقرة/٨٠) ووقعت الآية محل الشاهد بعد قوله : ــ تعالى ــ (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على شئ قدير) (البقرة/١٠٩) وهذه الآية التى لم ترد في غير سورة البقرة تكشف عن أن مجيئ الشاهد على نهج اللف والنشر ، إنما هو مطلب للسياق ، وذلك أن أسلوب اللف والنشر يكشف عن اتفاق اليهود والنصارى في التخليط على المؤمنين بغرض إخراجهم من الإيمان إلى الكفر ، ولذلك جاء الأسلوب كاشفا عن عنادهم فيمن يدخل الجنة ،وكأن الجنة إما لليهود وإما للنصارى ،وليست لأحد سواهم ؛ لذا يقول الفخر في التقديم للآية محل الشاهد : " اعلم أن هذا هو النوع الرابع من تخليط اليهود ، وإلقاء الشبه في قلوب المسلمين "([1]) فجاء أسلوب اللف والنشر ليجمع صورة القول ،وصورة القائلين في محل واحد ؛ تنبيها لاتفاق المقولتين ،والقائلين في التخليط على المسلمين .

ويكشف البقاعي ــ رحمه الله ــ عن مناسبة الآية لما قبلها قائلا : " ولما ذكر دعواهم في مس النار ،وأبطلها من وجوه كثيرة ، أحاطت بهم فيها الخطايا إحاطة اقتضت خلودهم فيها من جهة ضلالهم إلى آية النسخ، مرقيا الخطاب من سيئة إلى أسوأ منها ، ثم من جهة إضلالهم لغيرهم من

([1]) مفاتيح الغيب ٢/٥ .

آية النسخ عطف على تلك الدعوى الإخبار بدعواهم في دخول الجنـــة ؛ تصريحا بما أفهمته الدعوى الأولى تلويحا ، وقرن بذلك مثل ما ختم به ما قبلها من أن من فعل خيرا وجد على وجه بين أن ذلك الخـــير الإســـلام والإحسان ، فقال ــ تعالى ــ (وقالوا لن يدخل الجنة . . .)"([1]) وهـــو ــ رحمه الله ــ يعقد الآية بقوله:ــ تعالى ــ (وقالوا لن تمسنا النار . . .) (البقرة/ ٨٠) وأما ما بينهما إنما هو إبطال لما قـــالوه في الآيـــة الأولى ، ولمح التشابه في التعقيب على المقالتين حيث عقب على مقولتـــهم الأولى بقوله : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنـــة هم فيها خالدون) (البقرة /٨١،٨٢) وعقب على مقولتـــهم الثانيـــة بقوله : (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (البقرة/١١٢) أبصر كيف يضيئ الله لأهـــل البصائر كلامه ؟ فالمقولة الأولى حديث عن عدم مـــس النـــار إيـــاهم ، والمقولة الثانية تأكيد لها ، فهي تأكيد على قصر الجنة على واحـــد مـــن الفريقين ، وكله تخليط ، فقد جاءت الآية على نهج اللف والنـــشر ذروة سياق تخليط اليهود والنصارى ، فجاء الأسلوب شبيها بالمقصد والغرض الذي يرمي إليه اليهود والنصارى .

([1]) نظم الدرر ٢٢١،٢٢٢/١ .

من أسرار نظم الأسلوب

أول ما يلقانا في الأسلوب قوله : (وقالوا) بواو العطف ، التي تؤكد على عدم فصل ما بعدها عما قبلها ،وهو معلم ظاهر على عقد الآية بسياقها ؛ لذا جاء المسند إليه ضميرا ، نجد مرجعه فيما مضى في السياق (أهل الكتاب) في الآيتين (١٠٩ ، ١٠٥) إلى قوله : (وقالوا لن تمسنا النار . . .) (البقرة/٨٠) وغير ذلك ، بل إلى بداية الحديث عنهم في السورة ، كما أن مجيئ المسند إليه ضميرا (واو جماعة) مجملا هكذا يؤكد على اتفاق اليهود والنصارى على إضلال المؤمنين ، نعم ، إن هذا المؤدى يتأتى على تفصيل المجمل : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، ولكن التركيب بهذه الهيئة لا يصور الاتفاق التام الذي يسمو فوق الخلافات بينهما على التخليط على المؤمنين ،وهذا هو السر في الإجمال فيما أبصر .

وقد عبر بـ (لن) التي تفيد تأكيد النفي ، أو تأبيده على مذهب الزمخشري ،وهذا مما يكشف عن تظاهر كل فريق بإبداء الثقة فيما يقول ؛ لذا لم يقل : لا يدخل الجنة . . . وكل إظهار للثقة في مقالتهم يؤكد التخليط على المؤمنين ومرادهم بإظهار الثقة زعزعتها عند الفريق المقابل (المؤمنين) ثم تأمل كيف عبروا بـ (يدخل) ولم يقولوا مثلا : لن يحظى أو : لن يحصل على الجنة ،أو لن يسكن الجنة . . . إلى آخره مما يمكن أن نقترحه ، ما من ريب في أن ما عبروا به (يدخل)

يضاعف من إظهار الثقة ، حيث توجه النفي المؤكد على مجرد الدخول،وإذا ما انتفى الدخول ، كان ما بعده آكد في عدم الوقوع، فوق أن الأسلوب اشتمل على أسلوب قصر ،وبأصرح الأدوات ليلائم حال العناد بين الفريقين ،وحال الاتفاق على هز الاطمئنان في قلوب المؤمنين .

وقد جاء المستثنى منه محذوفا ،والتقدير : أحد ؛زيادة في إظهار الثقة ؛ وتوكيدا لعدم دخول غيرهم ، وليعم عدم الدخول غير اليهود أو النصارى ؛ لذا لم يقل : لن يدخل الجنة أحد ،وقدم اليهود على النصارى في المستثنى ؛لحظا للأسبقية ، وتقديما لأشدهما عنادا على صاحبه ، وربما تلحظ تأكيدا على مقالتهم ،وإظهارا للثقة التي يراد منها التأثير على المؤمنين ، ربما ترى ذلك في قوله (من كان) بالأسلوب الماضي ، فلم يقل : إلا من يكون هودا أو نصارى ؛ لأن النفس إذا تعلق أملها بشئ أخرجته مخرج المتحقق الكائن ، وهذا كائن في الماضي ،وهو الناظر للسياق السابق (ود كثير من أهل الكتاب) لذلك لم يقل أيضا : وقالوا لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى ، حتى لايدخل معهم من لم تتحقق يهوديته أو نصرانيته ، ما هذا العناد ؟ والصلف ؟ والإصرار على التخليط على المسلمين ؟ والآية من أبدع الإيجاز وأروعه ؛ لذا ترى المرحوم ابن عاشور لا يرى ما ذكره البلاغيون من تنويع الإيجاز إلى نوعين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف كافيا في تصنيف الآية في أي منهما ، ورأى أنه ينبغي أن يعد قسم ثالث من أقسام الإيجاز ،وهو إيجاز حذف

وقصر معا (¹) كما أن في مجيئ الآية على نهج اللـــف والنـــشر إيحـــاء بالتمهل، وإعادة النظر في شبه اليهود والنصارى وإبطالها برويـــة وتـــأن، ولأنه ليس من الأساليب المباشرة ناسب الشبه ؛ لأنها تنتهج نهجـــا غـــير مباشر دائما .

٢ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ (البقرة /١٣٥)

لم يصرح جمهور المفسرين بأن الآية من اللف والنشر المجمل ، غير أنهم تأولوها على ذلك ، فإما أن يشيروا إلى أن الآية نظـــير قـــولهم (²): (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) ، أو يقولون : المـــراد : أن اليهود تدعو إلى اليهودية والنصارى تدعو إلى النصرانية ، أو دعـــت كل فرقة إلى ما هي عليه (³) وكلها تأويلات على طريقة اللف والنـــشر المجمل ، وقد ذكر الشيخ زادة أن الآية من قبيل اللف والنشر ، حيـــث ذكر فيها متعدد على الإجمال ؛ لأن ضمير (قالوا) لفريقي أهل الكتاب اليهود والنصارى ، إلا أنهما ذكرا بالإجمال ، حيث عبر عنـــهما بـــضمير الجمع ، ثم ذكر مقالة كل واحد من هذين الفريقين ، من غير أن يعين أن كل مقالة لمن هي اعتمادا على أن السامع يرد إلى كل فريق مقالته ، ولا

(¹) التحرير والتنوير ٦٧٣/١ .

(²) المحرر الوجيز ١/ ٣٦٧ .

(³) ينظر مفاتيح الغيب ٧٠/٢ ، الجامع لأحكـــام القـــرآن ٩٥/٢ ، نظـــم الـــدرر ٢٥٣/١ ، البيضاوي ٤٣٥/٤ ، روح المعاني ٣٩١/١ ، تفـــسير المراغـــي ١٨٦/١ ، التحريـــر والتنـــوير ٧٣٦/١ .

يذهب إلى وهمه أن قول : (كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) مقول كلا الفريقين . . . للعلم بأن كل فريق لايقول في حق صاحبه : إنه مهتد بل يضلله ، ويكفره ،ويقول في حقه : إنه ليس على شئ من الدين والهدى"([1])

علاقة الأسلوب بالسياق

الآية الكريمة من خصائص سورة البقرة ، فلم ترد في غير هذا الموطن من الذكر الحكيم ، والملحوظ أنها تنادي على أختها (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . . .) (البقرة/١١١) غير أن الأولى إثبات لتعاندهم في العاقبة ، وهذه إثبات لتعاندهم في سبب العاقبة، فالهداية مآلها الجنة والغواية مآلها الجحيم ، وكأن الآيات المتقاربة وتوزيعها على السورة معالم على علائق الآيات في السورة الواحدة وترابطها، تأمل كلمة البقاعي البصير في مناسبة الآية " ولما أخبر ـــ تعالى ـــ أنهم تركوا السنة في تهذيب أنفسهم بالاقتداء في الاهتداء بالأصفياء من أسلافهم، وبين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه ، وأوضح أنه محض الضلال، بين أنه عاقبهم على ذلك بأن صيرهم دعاة إلى الكفر . . فقال ـــ تعالى ـــ معجبا منهم ، عاطفا على قوله : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) (البقرة / ١١١) أي : الفريقان من أهل الكتاب لأتباع الهدى (كونوا هودا . . .) أي : لم يكفهم ارتكابهم للباطل

([1]) زادة على البيضاوي ٤/٤٣٥ .

وسلوكهم طرق الضلال حتى دعوا إلى ما هم عليه ووعـــدوا بالهدايـــة الصائرة إليه . . . "([1])

ومجيئ الآية على نهج اللف والنشر تصور تعانـــدهم ، وكأنهـــا ارتقاء لتصوير تعاندهم الذي جاء قبل الآية على غير نهج اللف والنشر : (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالـــت النـــصارى ليـــست اليهود على شئ . . .) (البقرة/١١٣) فلم تـــصور الآيـــة الكريمـــة تعاندهم إلى حد التداخل والتشابك ، كما صورته الآية محل الـــشاهد ، كما أن الآية محل الشاهد وردت عقب قصة يعقوب ــ عليه الـــسلام ــ التي تؤكد على ارتباط كل الأنبياء برب واحـــد ، وعقيـــدة واحـــدة ، والتحامهم في ذلك ، وكأن مقالات الضلال المتداخلة جـــاءت مقابـــل مقالات الهدى المتعانقة .

من أسرار نظم الأسلوب

افتتح هذا الأسلوب على نهج ما قبله بقوله : (وقالوا) وقد جاء بالواو عقدا للأسلوب بسياقه ، وفي ذلك يقول ابن عاشور : " والواو في (وقالوا) عائدة لليهود والنصارى بقرينة مساق الخطاب في قولـــه : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت . . .) (البقرة/١٣٣)([2]) وقد جاء الفعل ماضيا ؛ دلالة على وقوع إضلالهم ذاك ، وقد جاء المسند إليه واو جماعة ؛ تأكيدا لاتفاق أهل الضلال على المقصد والغاية ، وإن اختلـــف

([1]) نظم الدرر ٢٥٣/١ .

([2]) التحرير والتنوير ٧٣٦/١ .

المسلك والسبيل ، كما أن مجيئ المسند إليه كذلك على سبيل اللف المجمل دون تفصيل يدل على اتفاق الفريقين على إضلال المؤمنين في حصر الهداية في التلبس بإحدى الديانتين (اليهودية أو النصرانية) دون غيرهما ،وهو مما يزحزح بعض المسلمين عن إسلامهم ، حيث لم يدخل اليهود والنصارى الإسلام في عنادهم ذلك ، ولو جاء على التفصيل : وقالت اليهود للنصارى كونوا هودا ، وقالت النصارى لليهود كونوا نصارى ، لما دل على أن مقصودهم التخليط على المؤمنين كالذي جاء عليه أسلوب اللف المجمل ، وجاء قولهم : (كونوا) تأكيدا لأن تكون الهداية بالتلبس بإحدى الديانتين ، لا بغيرهما ، لأن الهداية محتملة في أحدهما دون سواهما ، ولم يقل : وقالوا : هودوا أو تنصروا ؛ لأن ما جاء عليه النظم هو آكد ، لأن المراد منه طلب التحقق والتلبس بإحدى الديانتين ، لا عرضهما فقط ، وقسمه على قولنا : أسلم ـــ كن مسلما ، فالأول طلب فيه عرض ، والثاني : طلب فيه تحقق وتلبس .

وقد جاء أسلوب اللف والنشر مؤكدا ، حيث بني بأسلوب الطلب ، وقد وقع قوله : (تهتدوا) جواب طلب ،وهو مما يؤكد عزمهم على التخليط على المسلمين ، وإدخال الشبهة عليهم ، وقد أبصر ابن عاشور أن كل فريق منهم قد " قد حصر الهدى في دينه ،ووجه الحصر من جزم (تهتدوا) في جواب الأمر ، فإنه على تقدير شرط ، فيفيد مفهوم الشرط أن من لم يكن يهوديا ، لا يراه اليهود مهتديا ، ومن لم يكن نصرانيا لايراه النصارى مهتديا . . . وجزم (تهتدوا) في جواب

الأمر للإيذان بمعنى الشرط ، ليفيد بمفهوم الشرط أنكم إن كنتم على غير اليهودية والنصرانية فلستم بمهتدين "([1])

٣ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ (المائدة / ٣٣)

الآية من اللف والنشر المجمل عند الشهاب الخفاجي والآلوسي ــ رحمهما الله ــ وعند جمهور المفسرين على الراجح ، لكن لم ينص المفسرون ــ فيما توفر لذي من مراجع ــ على أن الآية من اللف والنشر المقدر ، غير ما رأيت في حاشية الشهاب والآلوسي ([2]) والمفسرون والفقهاء على قولين في (أو) أولهما : أنها للتقسيم ([3]) وثانيهما : أنها للتخيير ، فعلى الأول تكون الآية من اللف والنشر ، وإن لم ينص علي ذلك جمهور المفسرين .

والقول بأنها للتقسيم هو الأليق والأعلى لتأييده بالأدلة النقلية والعقلية ، فقد رووا أن أنس بن مالك قال سأل رسول الله ــ ﷺ ــ جبريل ــ عليه السلام ــ عن الحكم في المحارب ، فقال : من أخاف

([1]) التحرير والتنوير ٧٣٦/١ .

([2]) ينظر الشهاب على البيضاوي ٢٣٩/٢ ، روح المعاني للآلوسي ٢٩٠/٣ .

([3]) قد تجد من المفسرين من ذكر أنها للتفصيل أو للترتيب أو للتنويع ، وعلى كل هذه المعاني تكون الآية من اللف والنشر .

السبيل ،وأخذ المال فاقطع يده للأخذ ، ورجله للإخافة ،ومن قتل فاقتله، ومن جمع ذلك فاصلبه ، ويؤيد كونها للتقسيم تفاوت الجرائم الذي يقابله بالضرورة تفاوت العقوبات ،وشئ آخر هو التفريق بين حدود المحـــارب وحدود غير المحارب ، فهناك فرق بين سارق محارب وسارق غير محارب، فقتل العمد يوجب القتل ، فغلظ ذلك في قاطع الطريق ، وصار القتـــل حتما لايجوز العفو عنه ، وأخذ المال يتعلق به القطع في غير قاطع الطريق، فغلظ ذلك في قاطع الطريق بقطع الطرفين ، وإن جمعوا بين القتل وأخـــذ المال جمع في حقهم بين القتل والصلب ؛ لأن بقاءه مصلوبا في الطريـــق ، يكون سببا في اشتهار هذه العقوبة ، فإن اقتصر على الإخافة اقتصر على النفس يقتل ، فالمحارب حسب القسمة العقلية تتفاوت جريمته : فهو إمـــا أن يقتل وإما أن يأخذ المال ، وإما أن يأخذ ويقتل ، وإما أن يخيـــف دون أخذ أو قتل ، ولا يخرج حاله في الجريمة عن هذه الأحوال الأربعة ؛ لـــذا كانت العقوبات على حسب جريمتـــه ، فيتـــأتى العـــدل علـــى عـــد (أو للتقسيم) ويمرض القول بأنها للتخيير : أنهم لم يبيحوا للإمام التخيير بين القتل والنفي ،وهذا ينقض احتجاجهم بأن (أو) حيثما كـــررت في آية في فرض فرضه الله فهي للتخيير ، فلماذا جعلوها للتخيير في القتـــل والصلب والقطع ، ولم يجعلوها لتخيير بين ما مضى وبين النفي ؟ وقـــولهم بأن (أو) حيث كررت في القرآن فهي للتخيير قول مرجـــوح لأن (أو)

تكرر في كلام العرب لغير التخيير ([1]) فبقي القول بأن (أو) للتقسيم هو الحق الأزهر لتأييده بأدلة العقل والنقل .

علاقة الأسلوب بالسياق

وقعت الآية الكريمة في سورة المائدة ،وسورة المائدة هي سورة الوفاء بالعقود ؛ لذا اشتملت على كثير من الحدود ،وقد وقعت الآية في سياق الحديث عن أول جريمة قتل على ظهر الأرض ،وهي من خصائص سورة المائدة ، وكذلك الآية محل الشاهد من خصائص سورة المائدة، ولأجل قصة ابني آدم بين ربنا أنه شرع الحدود لكل الأمم ؛حقنا للدماء؛ وتعظيما لحرمتها ، وقد وقعت الآية ترقيا في الزجر مقابل الترقي في الجريمة ،وهو ما ألمع إليه البقاعي ، حيث أشار إلى مناسبة الآية لما قبلها، حيث ختمت الآية السابقة على هذه الآية بقوله : ـ تعالى ـ (ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) (المائدة / ٣٢) قال البقاعي : " ولما كان هذا الإسراف بعد هذه الموانع محاربة للناهي عنه ، وكان تارة يكون بالقتل ، وتارة بغيره ، وكان ربما ظن أن عذاب القاتل يكون بأكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعا ، وصل ـ سبحانه ـ قوله

([1]) ينظر جامع البيان للطبري ١٣٦/٤ ،الكشاف ٣٣٥،٣٣٦/١ ، مفاتيح الغيب ٣٤٦/٤ ، ٣٤٧ ، المحرر الوجيز ١٨٤/٢ ، القرطبي ٩٩،١٠٠/٦ ، البيضاوي وزادة عليه ١١٠/٢ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٤/٤ ، وما بعدها بهامش الطبري ، الشهاب على البيضاوي ٢٣٩/٢ ، لباب التأويل ومعالم التنزيل ٢٦١/٢ ، الجلالين بهامش الصاوي ٢٦٤/١ ، روح المعاني ٢٩٠/٣ ، التحرير والتنوير ١٨٥/٦ .

على طريق الحصر (إنما جزاء الذين يحــاربون . . .)"[١] وقــد جــاء أسلوب اللف والنشر أشبه بحال المحارب ،وأهل الحرابة فهم يتبعون مـــن الطرقات أوعرها مسلكا ، ومن الطرائق أكثرها غموضا ، وذلـــك هـــو سبيل اللف والنشر المجمل ، فكان أنسب الأساليب في التعبير عن حـــد الحرابة ، أضف إلى ذلك أن حد الحرابة جاء في تضاعيف الحديث عـــن اليهود ، فقد سبق بالحديث عنهم ، وأتبـــع بالحـــديث عنـــهم ، فهـــم (سماعون للكذب أكالون للسحت . . .) (المائدة/ ٤١) وقـــد جـــاء الحديث عنهم على نهج اللف والنشر المجمل في موضـــعين مـــن ســـورة البقرة، فجاء أسلوب اللف والنشر المجمل هنا مناســـبا ســـياق الحـــال (حال المحارب) وسياق المقال وجود الآية في تضاعيف الحـــديث عـــن اليهود .

من أسرار نظم الأسلوب

الآية من اللف والنشر المجمل ، حيث ذكر حال المحارب مجمـــلا (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورســـوله ويـــسعون في الأرض فـــسادا) وجاءت العقوبات مفصلة (أن يقتلوا) (أو يصلبوا) (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) (أو ينفوا من الأرض) وتقدير المعنى كمـــا قـــال الفخر الرازي : " أن يقتلوا إن قتلوا أو يصلبوا إن جمعوا بين أخذ المـــال والقتل أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا اقتصروا على أخذ المال،

---

(١) نظم الدرر ٢/٤٥١ .

أو ينفوا من الأرض إن أخافوا السبل ([1]) وقد جاء الأسلوب (بإنما) حصرا للعقوبات ؛ وفيه بيان أن حد الحرابة مما لا يرفضه من كان عنده مسكة من عقل لأنه أحفظ للمال ، وأصون للدم ، وأبقى لهيبة الحكم ، فسيق مساق ما لاينكر ، على حسب موضوع (إنما) كما قال الإمام عبد القاهر ،وقد بين النظم الكريم فظاعة المحارب بجعل حربه حربا لله ورسوله وهو إيماء إلى وجه بناء العقوبة، فقوله: (يحاربون الله ورسوله) تفظيع للجناية مؤذن بتفظيع العقوبة ، وفي النص على كون العقوبة (جزاء) بيان لوجه استحقاق العقوبة ، وأنها بمثابة الجزاء ، وقد صيغ الفعلان بصيغة المضارع (يحاربون) (يسعون) دلالة على تجدد ذلك وحدوثه ، وفي إسنادهما إلى واو الجمع تكثيف للفظاعة ؛ لأن المعصية تعظم باجتماع جماعة من الناس على ارتكابها ؛ لذا يختل المعنى لو قيل : إنما جزاء الذي يحارب الله ورسوله ،ويسعى في الأرض فسادا ، وهذا كله مما يؤذن بتغليظ العقوبة ، ويلائم واقع حال المحاربين ، فإنهم لا يكونون إلا جماعة .

وقد جاء قوله:(ويسعون . . .) معطوفا على (يحاربون . . .) " لبيان القصد من حربهم الله ورسوله ، فصار الجزاء على مجموع الأمرين فمجموع الأمرين سبب مركب للعقوبة "([2]) وقد قيد سعيهم بعلة (فسادا) على إعرابه مفعولا لأجله ؛ زيادة في التشنيع عليهم من

([1]) مفاتيح الغيب ٣٤٦/٤ ، ٣٤٧ .

([2]) التحرير والتنوير ١٨٢/٦ .

حيث جعل صنيعهم يكمن وراءه سبب واحد هو الإفساد في الأرض، وفي مجيئ اللف مجملا إيجاز بالغ يطوي تحته كل ما يستجد من صور قطع الطريق ، وإشاعة الخوف ،وغرس الرعب بين الناس ، وفي ذلك ما فيه من صلاحية التشريع لكل زمان ومكان ، وملاءمته كل الأحوال ،وقد طوى الجناية لتجددها وتغيرها بتغير الزمان ، حسبما يستجد من الوسائل،وفصل في العقوبات ؛ تثبيتا للعقوبة ، وبيانا لعدم التصرف فيها .

وقد جاء النشر على نهج المبالغة (يقتّلوا ـــ يصلّبوا ـــ تقطّع) تنبيها على المبالغة في إنفاذ هذه الحدود دون لين ولا رفق ؛ تشديدا عليهم ؛ تناسبا مع فظاعة جنايتهم ، إنها جزاء محاربة الله ورسوله ؛ إفسادا في الأرض ، وقد جاء الأسلوب غاية في الإيجاز ، وجاء على نهج اللف والنشر المجمل ؛ تناسبا مع حال المحارب ، وفصل في العقوبة ؛ ترهيبا له ، وبيانا لعدم إفلاته منها بحال من الأحوال ، مادام قد صدق عليه وصف المحارب استوجب نوع عقوبة يلائم جنايته ، وفي تفصيل العقوبة وحشدها وتتابعها تجييش للترهيب والتهديد ، كل ذلك أداه أسلوب اللف والنشر .

٤ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظــروا إنــا منتظرون ﴾ (الأنعام / ١٥٨)

اشتجر الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في الآية الكريمة، فالمعتزلة يستدلون بها على أن الكافر والعاصي سواء في الخلود في النار ([1]) وأهل السنة يرفضون هذا الاستدلال لقولهم بأن الإيمان المجرد عن العمل لا يخلد صاحبه ، وخرجوا الآية على وجهين ، الأول : أن عدم الانتفاع بالإيمان، أو الكسب مخصوص بهذا اليوم ، حيث قالوا : " قوله : ـــ تعــالى ـــ (أو كسبت) لما عطف على قوله : (آمنت) الواقع في سياق قولــه : (لم تكن) كان المعنى لاينفع الإيمان نفسا انتفى عنها كــل واحــد مــن الإيمان وكسب الخير في ذلك الإيمان قبل ذلك اليوم ، ووجب أن يكون المراد بالإيمان الذي حكم عليه بعدم النفع هو الإيمان الحادث بعد ذلــك اليوم ، فحينئذ لا دلالة في الآية على عدم نفع الإيمان السابق على ذلــك اليوم إذا كان عاريا عن فعل الخير والطاعة ، حتى يقال إنه ــ تعــالى ــ سوى بين النفس الكافرة التي أحدثت الإيمان . . . "([2])

([1]) ينظر الكشاف ٦٣/٢ .

([2]) ينظر البيضاوي وزادة عليه ٢٢٤/٢ ، الشهاب على البيضاوي ١٤٣/٤ ، التحرير والتنوير ١٨٧/٨ .

الثاني : أن الآية من اللف التقديري ، وأصل الكلام : يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ، ولا نفسا لم تكسب في إيمانها خيرا قبل ما تكسبه من الخير بعد ، إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا بلاغة واختصارا وإعجازا "[1] وعلى هذا التقدير يكون أحد أجزاء اللف محذوفا ؛ لدلالة النشر عليه ؛ لذا كان صاحب عروس الأفراح دقيقا حين بين أن الآية من اللف التقديري على أحد التخاريج [2] وقد رد أبو السعود كون الآية من اللف التقديري ، حيث قال : " إن اللف التقديري ليس بواضح فيه ، حيث إن مبناه أن يكون المقدر من متممات الكلام ، ومقتضيات المقام ، قد ترك ذكره ؛ تعويلا على دلالة الملفوظ ، واقتضائه إياه ، ولا ريب في أن ما قدر هاهنا ليس مما يستدعيه قوله : (أو كسبت في إيمانها خيرا) ولا هو من مقتضيات المقام ؛ لأنه ليس مما وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان ، حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه ، إذ ذاك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم من الدواهي ما أصابهم بقاء على السلامة ، وزمانا يتأتى فيه الكسب والعمل فيه ،وفيه من الإخلال بمقام تهويل الخطاب ، وتفظيع الحال ما لا يخفى "[3]

---

[1] ينظر زادة على البيضاوي ٢/٢٢٥ ، الشهاب على البيضاوي ٤/١٤٣ ، الانتصاف لابن المنير ٢/٦٣ ، التبيان ٤٠١ ، روح المعاني ٤/٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ألوان من البديع ١٢٥،١٢٤ .

[2] ينظر عروس الأفراح ٤/٣٣٣،٣٣٢ .

[3] إرشاد العقل السليم ٢/٣١٢ .

والذي أبصره أن اعتراض العلامة أبي السعود علـــى التقـــدير، حيث إنهم أدخلوا الكسب في التقدير ، والقائم عنده أنه لا مهلة لعـــاص حتى يكسب خيرا عند مجيئ الآيات الكبرى أنه قال : (يوم يأتي بعـــض آيات ربك) ولو كان : يوم تأتي آيات ربك ، لاستقام له اســـتدلاله ، ثم إن كلامه يؤول إلى أن المراد : صنف واحد هو من أحدث إيمانا وكسب فيه خيرا يوم يأتي بعض آيات ربك ، وهو غير مستقيم ، إذ كيف قبـــل المهلة في هذا ، ولم يقبلها في الصنف الثاني ، ثم إن مجيئ الآيات هل يكون معها قبض العباد مرة واحدة ؟ الحق أن الثابت : أن الآيـــات الكـــبرى ستبقى زمنا ، كما تدل على ذلك الأحاديـــث ، وأن الكـــلام في الآيـــة مقصود به يوم مجيئ الآيات وما بعده ، ومعلوم أنه لا تقبل فيه توبة يتبعها عمل ، ولا إيمان حادث ؛ لذا أحسن ابن عطية حين قال : " والآية تقطع توبة الصنفين "([1]) على أنني ألحـــظ التكلـــف في التقـــدير الـــسابق ، وأستحسن تقدير الشوكاني " أنه لا ينفع نفسا إيمانها عند حضور الآيـــات منصفة بأنها لم تكن من قبل ، أو آمنت من قبل ولكن لم تكسب في إيمانها خيرا "([2]) وأوضح منه تقدير الصاوي : " قوله : (لاينفع نفـــسا) أي : كافرة أو مؤمنة عاصية ، ويكون قوله : (لم تكن آمنت راجعا لـــلأولى ، وقوله : (أو كسبت) راجعا للثانية ، ويكون التقدير : لاينفـــع نفـــسا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمان الآن ، ولا ينفع نفسا مؤمنة توبتها من

([1]) المحرر الوجيز ١٨٨/٦ .
([2]) فتح القدير ٢٣٠/٢ .

المعاصي ، فقوله : (أو كسبت) معطوف على (آمنت) وحينئذ يكون في الكلام حذف "([1]) .

وحتى نفقه أسلوب اللف والنشر نقول : تقدير المعنى : يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا كافرة ، أو مؤمنة عاصية إيمانها ، ولا كسبها في ذاك اليوم ، فقد اكتفى بالموصوف المجمل (نفسا) عن الوصف المفصل (كافرة ومؤمنة عاصية) بما جاء عليه النشر، فالأسلوب على ذلك من اللف والنشر المجمل ، ولنا أن نتساءل : كيف كان تخريج الآية على اللف والنشر المجمل سبيلا لدحض استدلال المعتزلة بها على تساوي الكافر والعاصي ؟ والجواب : أن الآية دون هذا التقدير الذي يخصص هذا الحكم بذلك اليوم ، يدل على أن الكافر والعاصي سواء في عدم انتفاع الأول بإيمانه الحادث ، وعدم انتفاع المقيم على المعصية بما يكسبه من خير ، لكن التأويل على اللف والنشر يخرج الآية من هذه الدلالة ؛ لأنه باللف والنشر نكون إزاء صنفين للنفس في هذا اليوم، نفس كافرة أحدثت إيمانا في هذا اليوم ، وأخرى مؤمنة لم تكسب خيرا أحدثت كسبا في هذا اليوم .

([1]) الصاوي على الجلالين ٢/٥٥ .

علاقة الأسلوب بالسياق

جاء الأسلوب في سياق سورة الأنعام ، وهي مكية نزلت دفعة واحدة ، وتظاهرت تراكيبها على الاستدلال للتوحيد بأنه ـ سبحانه ـ له جميع الكمالات من الإيجاد والإنعام والقدرة على البعث وغيره ؛ لذلك اشتملت على حجج المشركين وغيرهم من أهل الملل الزائغة (١) لذا جاء الأسلوب حاشدا الوعيد والتهديد ، مسبوقا بأسلوب تهديد ووعيد مقترنا بالسين الدالة على قرب الإنجاز (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) (الأنعام / ١٥٧) فالحديث متجه بالوعيد لمن لا يعتبر بالآيات ، وجاء الاستفهام الذي تصدر الآية محل الأسلوب (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) وهذا يعني أن المخاطبين في منتهى الصلف والغرور ، والتكبر والعناد ، فجاء الأسلوب لافا العصاة المعاندين ، مع الكفرة المتكبرين في حكم واحد هو عدم انتفاع كل بما يحدث عند رؤية الآيات الكبرى وظهورها ، وهو الأنسب بالوعيد والتهديد الذي ورد في السياق .

---

(١) ينظر نظم الدرر ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ .

من أسرار نظم الأسلوب

جاء الأسلوب في السياق الذي أشرت إليه ، وجاء على نهج اللف المجمل ، الذي جعل الصنفين في الظاهر صنفا واحدا ؛ زيادة في التهديد ؛ وإعلاء لشأن الوعيد ؛ تناسبا مع ما ابتدأت به الآية ، وما اختتمت به (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) وفي ختام الآية (قل انتظروا إنا منتظرون) فقد وقع الأسلوب بين طرفين متظاهرين على التهديد والوعيد ، فجاء على هذا النحو دون تفصيل للنفس (لاينفع نفسا إيمانها) واكتفى بتصنيف النفس بما جاء عليه النشر؛ إشارة إلى أن الإيمان والعمل يقبلان غيبا لاشهادة ، واختيارا لا اضطرارا، ونلحظ أنه قدم الظرف (يوم يأتي . . .) على عامله (ينفع) تعجيلا بالوعيد ، وإعلاء لشأن التهديد ، وأضاف الربوبية إلى ضمير الخطاب ـ ﷺ ـ إعلانا للغضب عليهم ؛ لذا لم يقل : بعض آيات رهم، كما نلحظ أن نبرة الغضب تكمن أيضا وراء وضع المضمر موضع المظهر ،حيث قال : أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك، وكان المقتضى أن يقال : أو يأتي بعض آيات ربك يوم تأتي لا ينفع نفسا، وفيه ما فيه من تمتين الوعيد والتهديد ، كما تكمن وراء إضافة الإيمان للنفس (إيمانها) حيث لم يقل : لا ينفع إيمان بالله ، كما أن ذلك كائن وراء حذف المفعول به من الفعل (آمنت) وكذلك في الطرف الثاني من النشر حيث لم يقل : أو كسبت في إيمانها بالله خيرا . . . وكل ذلك تظاهر على تأكيد رد الإيمان الحادث ، والكسب الحادث ، وفيه من

التهديد ما فيه ، كما جاء نفي الإيمان في السابق بجملة اسمية ؛ دلالة على تمكنهم من الكفر ، وتمكن الكفر منهم (لم تكن آمنت من قبل) وجاء القيد (من قبل) زيادة في التوكيد على عدم قبولهم الإيمان في السابق على الإطلاق ، ويمكننا أن نحس هذه المعاني ، وتلك الإيحاءات لو قلنا بدل التركيب القرآني : لا ينفع نفسا إيمانها لم تؤمن ، دون ذكر (تكن) أو (من قبل) وفي ذلك إشعار باستحقاقهم رد إيمانهم الحادث في ذلك اليوم ، وعطف الصنف الثاني على هذا الصنف ، غير أنه لم يقل : لم تكن كسبت في إيمانها خيرا من قبل ؛ إشعارا بعدم التساوي في الحكم ، وهو مما يؤيد مذهب أهل السنة في أن المردود الكسب في هذا اليوم،لا قبله .

٥ ــ قال : ــ تعالى ــ ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾ (هود / ٢٤)

ذكر الزمخشري أن الآية من اللف والطباق ، وتابعه كثير من المفسرين والبلاغيين ([1]) ومن لم يصرح بأن الآية من اللف والنشر تأولها بما يدل على أنها منه ([2]) وابن أبي الأصبع قد جعل الآية من القسم الذي يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه ، لما ترى بين الألفاظ من سوء الجوار ، لعدم الملاءمة ، وإذا

([1]) ينظر الكشاف ٢٦٤/٢ ، و البيضاوي ٤١/٣ ، والشهاب ٨٩/٥ ، وزادة على البيضاوي ٤١/٣ ، ونظم الدرر ٥١٩/٣ ، والتحبير في علم التفسير ١٣٦ ، روح المعاني ٢٣٥/٦ ، التحرير والتنوير ٤١/١٢ ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٨١،٥٨٢ ، ألوان من البديع ١٢٢،١٢٣ .

([2]) ينظر مفاتيح الغيب ٣٣٥/٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٦/٩ .

تؤمل حق التأمل وجد جاريا على منهج البلاغة بحيث لو جاء على ما توهمه المعترض لكان النظم معيبا . . . فإن طريق البلاغة أن يقال : كالأعمى والبصير والأصم والسميع والبصير "([1]) والأسلوب على الراجح من اللف والنشر المجمل ؛ لاعتباره في (الفريقين) ومنهم من عده اللف والنشر المرتب على اعتباره فيما دل عليه قوله : تعالى — (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) (هود / ١٨) وقوله : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .) (هود/ ٢٣) وهو لا يبعد، ولكن المذكور تصريحا أولى ، لذا سنجريه على اللف التقديري ،وأصل الكلام : مثل الفريقين : الكافرين والمؤمنين ، كالأعمى والأصم والبصير والسميع.

علاقة الأسلوب بالسياق

لهذه الآية موقع بديع ، فقد جاءت مقدمة لقصص النبيين في السورة حيث جاء بعدها مباشرة (ولقد أرسلنا نوحا...) (هود / ٢٥) والناس من الرسالات على هاتين الطائفتين المذكورتين في أسلوب اللف والنشر ، كما جاء الأسلوب إجمالا لموقف الناس من البشارة والنذارة في صدر السورة (إنني لكم منه نذير وبشير) (هود/ ٢) كما جاء الأسلوب مبنيا على التقابل ، لتقابل الفريقين في السورة الكريمة ، كما جاء على نهج التشبيه ؛ زيادة تصوير لما سبقه في قوله : — تعالى — (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة . . .) (هود/ ١٧) والملحوظ أن الآية قد أسقطت فريق

([1]) بديع القرآن ١٣٧ .

العميان الصم ، وأصل الكلام : أفمن كان على بينة من ربه كمن لم يكن؛ إيذانا بعدم اعتباره ، فجاء الأسلوب واسطة العقد في السورة الكريمة طيا ونشرا للسابق واللاحق ؛ لذا قال البقاعي : كاشفا عن مناسبة الآية لمـــا قبلها " ولما استوفى أوصاف الحزبين وجزاءهم ، ضرب للكل مثلا بقوله : (مثل الفريقين . . .)"([1]) وقال الفخر : " واعلم أنه ـــ تعـــالى ـــ لمـــا ذكر الفريقين ذكر فيهما مثالا مطابقا ، ثم اختلفوا ، فقيل : إنه راجع إلى من ذكر آخرا من المؤمنين والكافرين من قبل ، وقال آخـــرون : بل رجع إلى قوله : (أفمن كان على بينة . . .)"([2]) والحق أنه راجـــع للكـــل ، فالأسلوب بمثابة التلخيص لما مضى ، والتمهيد لما هو آت ، وموقع كهذا يحتم مجيئ الأسلوب على اللف والنشر .

([1]) نظم الدرر ٣/ ٥١٩ .

([2]) مفاتيح الغيب ٣٣٥/٦ .

من أسرار نظم الأسلوب

لن نقف عند التشبيه والطباق ، ونكتفي بما أشرنا إليه من سر مجيئ الأسلوب على نهج التشبيه ؛ تصويرا لحال الفريقين تجاه البشارة والنذارة ،وهو ما دارت عليه تراكيب السورة ، ومن أجله أورد قصص النبيين ، وكذلك جاء الأسلوب على نهج الطباق ؛ تناسبا مع الموضوع الذي يصف حال فريقين متضادين ، وقد جاء الأسلوب على الإجمال والتفصيل ، تناسبا مع مطلع السورة الكريمة الذي وصف الكتاب بأنه أحكمت آياته ثم فصلت ، من أجل ذلك لم يقل : مثل الكافرين والمؤمنين، وإنما قال مثل الفريقين ، وفي النشر " قدم ما للكافرين ، قيل : مراعاة لما تقدم ، ولأن السياق لبيان حالهم ، وقدم الأعمى على الأصم لكونه أظهر وأشهر في سوء الحال منه "([1])

و" إنما لم يجئ التركيب : كالأعمى والبصير والأصم والسميع، ليكون كل من المتقابلين على إثر مقابله ؛ لأنه ـــ تعالى ـــ لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ، ولما ذكر انفتاح البصر ، أتبعه بانفتاح السمع ، وذلك هو الأسلوب في المقابلة ، والأتم في الإعجاز " ([2]) والواو في قوله (والأصم) للعطف على (الأعمى) وكذل الواو في قوله : (والسميع) للعطف على (البصير) وأما الواو في قوله : (والبصير) فهي لعطف التشبيه الثاني على الأول ، وإنما جمع بين العمى والصمم ؛

([1]) روح المعاني ٦/٢٣٥ .

([2]) روح المعاني ٦/٢٣٥ .

لبيان أن الكافر غير مهتد بحال من الأحوال،وجاءت واو العطف بينهما ؛ زيادة تأكيد على استقلال كل من هذين الوصفين ، وقيام الفساد بواحد منهما ، فماذا إذا تم الجمع بينهما ، ويقال ضـــده في مقابلـــه ، وهـــذا التركيب من خصائص السورة ، فلم يقع في سورة أخرى ، نعم وقع فقط الاستفهام عن خيرية أي منهما في سورتي الأنعام ومريم (فأي الفـــريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) (الأنعام / ٨١) وقوله : (وقال الـــذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) (مـــريم / ٧٣) لكنه لم يأت بالتصوير واللف والنشر كما جاء في الآية محل الشاهد .

الخاتمة

وبعد أن طوفنا بأسلوب اللف والنشر في كتاب الله يمكننا رصد بعض نتائج الدراسة فيما يلي : ـــ

أولا : أن ضابط هذا المصطلح قد ذكره السلف قبل المصطلح ، وأنه من الأساليب التي تنبه إليها السلف مبكرا ، وأنه من الأساليب التي يتم فيها العناية بإشراك المتلقي في الاستنباط .

ثانيا : أن اللف والنشر من الأساليب الكثيرة في القرآن الكريم ، فقد أحصيت له أربعين موضعا عدا ما غاب عني منها .

ثالثا : أن أسلوب اللف والنشر المرتب قد وقع في خمسة عشر موضعا من الذكر الحكيم ، وأنه قد وقع بين اثنين واثنين وثلاثة وثلاثة .

رابعا : أن اللف والنشر غير المرتب أكثر وقوعا في الذكر الحكيم من المرتب فقد وقع غير المرتب في عشرين موضعا ، وجاء مختلط الترتيب في موضع واحد ، ووقع مشكلا في موضع واحد ، ووقع معكوس الترتيب في بقية المواضع ، وأغلب المفسرين يطلق عليه اللف والنشر المشوش ، وقد يطلقون عليه المعكوس .

خامسا : أن اللف والنشر المجمل أو التقديري كما يطلق عليه كثير من المفسرين قد وقع في خمسة مواضع من الذكر الحكيم .

سادسا : اكتفى المفسرون في الغالب بالإشارة إلى الأسلوب دون بيان لأسراره ، وارتباطه بالسياق .

سابعا : أن هذا الأسلوب يغلب وروده في مقامات خطـــاب المعانـــدين ، ومجادلة الجاحدين ، وأنه يحمل في طياته من التوكيد وإثارة الانتبـــاه مـــا يحمل المعاند على الارتداع ،والإقرار بالحق ؛ لذا وقع أربعـــة وعـــشرون موضعا في النازل بمكة ، وستة عشر موضعا في النازل بالمدينة .

وبعد فهذا ما قدر الله تيسيره ، وما فتح به في فقه مرامي هذا الأسلوب ، فإن يكن توفيق فذاك فضل من الله لايقادر قدره ، وعطاء لا يدانى مدده ، وإن يكن غير ذلك فمن عجزي وتقصيري ، وحسبي أنـــني اجتهـــدت وصبرت ، وتأملت وثابرت ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلـــى آلـــه وصحبه وأمته ، وارض اللهم عن والدينا وشيوخنا وعلمائنا آمين .

أهم المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لابن العربي تحقيق محمد عبد القادر عطـــا ، ط ، دار الفكر ، بيروت دون تاريخ .
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي الـــسعود ، ط، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـــ .
٣. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ، تحقيق: هـــ . ريتـــر ، ط المتـــنبي ١٣٩٩هـــ .
٤. أسلوب المدح والذم في الذكر الحكيم ، دراسة بلاغية ، د/ إبـــراهيم صلاح الهدهد ، ط ، دار الاتحاد التعاوني ١٩٩٨م.
٥. ألوان من البديع د/ عبد الله عليوة ، ط ، دار الأرقم ١٤١٤هـــ .
٦. أنوار التتريل وأسرار التأويل للبيضاوي ، بهامش حاشـــية زادة ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ .
٧. الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ط ، دار نهر النيل ، مـــصر ، دون تاريخ .
٨. الأصول الوافية للشيخ محمود عالم المتزلي ، ط ، التقـــدم العلميـــة ، ١٣٢٣هـــ .
٩. الأطول للعصام ، ط ، المطبعة السلطانية ، ١٢٨٤هـــ .
١٠. الإيضاح ، للخطيب القزويني ، ط ، مكتبة الآداب ، دون تاريخ .
١١. بديع القرآن لابن أبي الأصبع ، تحقيق د / حفني شـــرف ، ط ، دار نهضة مصر ، دون تاريخ .

١٢. بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، ط ، مكتبة الآداب ، دون تاريخ .
١٣. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، د/ محمد أبو موسى ، ط ، وهبة ١٤٠٨هـ .
١٤. تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ، تحقيق د/ حفني شرف ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
١٥. تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ .
١٦. تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج .
١٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ط ، المكتبة العصرية ،بيروت ١٤١٧هـ .
١٨. تفسير المراغي لأحمد المراغي ، ط، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨هـ.
١٩. تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ضمن شروح التلخيص ، ط ، السعادة ١٣٤٢هـ .
٢٠. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ، تحقيق / عطية مطر الهلالي ، ط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
٢١. التحبير في علم التفسير ، للسيوطي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

٢٢. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ط ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٤م .
٢٣. الترجي في آي من الذكر الحكيم ، دراسة بلاغية ، د/ إبراهيم صلاح الهدهد ، حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٧م.
٢٤. التفسير القيم ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط مكتبة السنة المحمدية ، دون تاريخ .
٢٥. جامع البيان ، للطبري ، ط الريان ١٤٠٧هـ .
٢٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣هـ .
٢٧. الجنى الداني في حروف المعاني لأبي القاسم المرادي ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة وآخر ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م.
٢٨. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ، ط ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .
٢٩. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين للعلامة الصاوي ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ .
٣٠. حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ .
٣١. حاشية السيد الشريف على المطول ، ط ، المكتبة الأزهرية للتراث ، دون تاريخ .

٣٢. حاشية المنياوي على شرح حلية اللب المصون للمنياوي ، ط ، مصطفى الحلبي ١٣٥٧هـ .
٣٣. حسن الصنيع للشيخ محمد البسيوني البيباني ، ط ، التقدم العلمية ١٣٩٢هـ .
٣٤. حلية اللب المصون للشيخ الدمنهوري،ط،مصطفى الحلبي ١٣٥٧ هـ.
٣٥. حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، ضمن شروح التلخيص ، ط ، السعادة ، ١٣٤٢هـ .
٣٦. الاحتباك في الذكر الحكيم ، مواقعه ـ أسراره د/ إبراهيم صلاح الهدهد ، ط ، مؤسسة الإخلاص ١٩٩٩م.
٣٧. خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، تحقيق عصام شعيتو ، ط دار الهلال ، بيروت ، ١٩٩١م.
٣٨. خزانة الأدب للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر الخانجي ١٤١٦هـ .
٣٩. خصائص التراكيب ، د/ محمد أبو موسى ، ط ، وهبة ١٤١٦م.
٤٠. خلاصة المعاني لمحمد بن الحسين المفتي ، تحقيق د/ عبد القادر حسين ، ط الناشرون العرب ، دون تاريخ .
٤١. دراسات تطبيقية في علم البديع د / فتحي عبد القادر فريد ، نشر المؤلف ، دون تاريخ .

٤٢. دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، د/ عبد الجواد طبق ، ط ، دار الأرقم ١٤١٣هـ .
٤٣ .روح المعاني للآلوسي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ.
٤٤ .رصف المباني للمالقي تحقيق د/ أحمد الخراط ، ط ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٣٩٤
٤٥ . الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، لأبي حاتم الرازي ، تحقيق حسين فضل الله ، ط الرسالة ، ١٩٥٨م .
٤٦ . سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي،ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ .
٤٧ . السراج المنير للخطيب الشربيني،ط ، دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ.
٤٨ . شرح التلخيص للبابرتي ، تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان ، ط ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، ليبيا ١٣٩٢هـ .
٤٩ . شرح عقود الجمان ، للسيوطي ، ط ، مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ.
٥٠ . الصبغ البديعي د/ أحمد موسى ، ط ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٨هـ .
٥١ . الصاحبي لابن فارس ، تحقيق ،السيد أحمد صقر ، ط ، عيسى الحلبي ، دون تاريخ .
٥٢ . الطراز المتضمن لعلوم البلاغة وحقائق الإعجاز ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ .

٥٣ . عروس الأفراح ، ضمن شروح التلخيص ، ط ، السعادة ، ١٣٤٢هـ .
٥٤ . علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ .
٥٥ . علم البديع ، د/ عبد العزيز عتيق ، ط ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٤٠٥هـ .
٥٦ . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، تحقق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ، دار الجيل ، بيروت ١٤٠١هـ .
٥٧ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري بهامش الطبري ، ط ، الريان ١٤٠٧هـ .
٥٨ . فن البديع د/ عبد القادر حسين ، ط ، دار الشروق ١٤١٥هـ .
٥٩ . فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح للخطيب الشربيني ، ط ، مطبعة والدة عباس الأول ١٩٠٧م .
٦٠ . القاموس المحيط للفيروزآبادي ، ط ، بيروت ، دون تاريخ .
٦١ . الكشاف للزمخشري ، ط ، مصطفى الحلبي ١٣٩٢هـ ، وط ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .
٦٢ . الكليات لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق د/ عدنان درويش ومحمد المصري ، ط ، مؤسسة الرسالة ، سورية ١٤١٣هـ .
٦٣. الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، ط ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، دون تاريخ .

٦٤ . لباب التأويل في معاني التتريل المسمى بـ (الخازن) لعلاء الدين البغدادي ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ .
٦٥ . لسان العرب لابن منظور ، ط ، دار المعارف بمصر .
٦٦ . مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين ، نشر الخانجي بمصر ، دون تاريخ .
٦٧ . مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ، ط ، السعادة ،١٣٤٢هـ.
٦٨ . مختار الصحاح للرازي ، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوي ، ط ، دار المنار
٦٩ . معجم البلاغة العربية د/ بدوي طبانة ، ط ، دار المنارة السعودية ١٤٠٨هـ .
٧٠ . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦م.
٧١ . معالم التتريل (تفسير البغوي) تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣١٥هـ .
٧٢ . معاهد التصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي
٧٣ . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، دون ١٩٨٧م.

٧٤ . مفتاح العلوم للسكاكي تحقيــق نعــيم زرزور ، ط ، دار الكتــب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـــ .

٧٥ . مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ط ، دار إحياء التــراث العــربي ، بيروت ، ١٤١٧هـــ .

٧٦ . مع النظم القرآني في سورة النور د/ الشحات أبــو ســتيت ، ط ، الأمانة ، ١٤٠٧هـــ .

٧٧ . مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، ضمن شروح التلخيص ، ط ، السعادة ١٣٤٢هـــ .

٧٨ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، تحقق عبد الســلام عبد الشافي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـــ.

٧٩ . المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي د/ فريد النكلاوي ، ط ، الأمانة ، ١٤٠٦هـــ .

٨٠ . المصباح في المعاني والبيان لابن مالك ، تحقيق د/ حسني عبد الجليل ، ط ، مكتبة الآداب ، دون تاريخ .

٨١ . المطول لسعد الدين التفتازاني ، ط ، المكتبة الأزهرية للتــراث ، دون تاريخ.

٨٢ . المعجم الوسيط ، ط ، مجمع اللغة العربية بمصر .

٨٣ . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق سيد كيلاني ، ط الحلبي ، ١٣٨١هـ .
٨٤ . المفصل في علوم البلاغة د/ عيسى على العاكوب ، ط ، دار القلم ، الإمارات ١٤١٧هـ .
٨٥ . المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ، ط ، قبرص ، ١٤٠٧هـ .
٨٦ . المقام والمقتضى في السور الخالية من الأسماء الحسنى، د/إبراهيم صلاح الهدهد ، ط الجريسي ١٤٢٢هـ .
٨٧ . المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي ، تحقيق د/ علال الغازي ، ط ، مكتبة المعارف ، الرباط ١٤٠١هـ .
٨٨ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ .
٨٩ . نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي ، تحقيق د/ بكري شيخ أمين ، ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥م.
٩٠ . الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بهامش الكشاف ، ط ، مصطفى الحلبي ١٣٩٢هـ .
٩١ . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق د/ محمود الطناحي ، ط بيروت ، دون تاريخ .

****

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني :

(اللف والنشر غير المرتب في الذكر الحكيم)

